

د. منصور محمد الكيخيا

التقاويم والمواقيت والمواسم

بين الواقع والتراث

التقاويم والمواقيت والمواسم
بين الواقع والتراث

{{ إن الإلمام بالتراث يغير الأفكار وينير طريق الحياة }}

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

عنوان الكتاب: التقاويم و المواقيت والمواسم بين الواقع والتراث

اسم المؤلف: د. منصور محمد الكيخيا

سنة النشر: 2020 م

ردمك: 8 - 2256 - 1 - 9959 - 978 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولى الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازى - ليبيا

البريد الالكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين..

نحن والتراث:

تذكر أيام الصبا يبهج النفس بألق ذكريات سعيدة، ترتاح إليها نفوسنا، كما ترتاح لهبوب نسمات أمسيات الربيع الدافئة العطرة. شرد الذهن إلى ماض غير قريب، إلى خمسينيات القرن العشرين، إلى أيام الفتوة والنشاط والحيوية، إلى حياة المخيمات الكشفية في سواني بن يادم وفي جودايم، حينما كنا نستقي أصول التربية الكشفية من نبعها الغزير الصافي، من مؤسسها في ليبيا علي خليفة الزائدي، رحمه الله وأكرم مثواه.

لست بصدد الحديث عن الحركة الكشفية في ليبيا، ولكني أذكرها هنا وأذكر مؤسسها، لأن لها وله فضل لا ينكر في إحياء تراثنا الليبي الأصيل. كان –رحمه الله– يقول: "أمة لا تراث لها.. لا شخصية ولا ملامح لها". ونظراً للثقافة الموسيقية الفنية التراثية التي اكتسبها الزائدي وتميز بها، أفسح لدراسة التراث الليبي العريق مجالاً واسعاً في العمل الكشفي، رغم قلة الموارد وفقر الإمكانات في ذلك الوقت.

لا يسمح المقام في هذه العجالة بسرد كل الجهود التي بذلتها الحركة الكشفية الليبية في سبيل إحياء التراث الليبي، في زمن كان الفن فيه مضيعة للوقت، ومدعاة إلى الخجل، ولكن أود هنا أن أذكر لمحة من ذكريات ربيع العمر، تذكرتها في خريف العمر، تتعلق بدراسة التراث.

خلال المخيمات والتجمعات الكشفية في ذلك الوقت كان المرحوم الزائدي يختار بعض الكشافين الذين يمتلكون بعض المواهب في الشعر الشعبي وفي الألحان والأهازيج الشعبية وفي الرقصات الشعبية وفي القصص الشعبي، وفي الفروسية وغيرها، ويقيم لهم خيمة خاصة في أحد أركان المخيم، تفرش بالفرش الأرضي على الطراز الشعبي، يجمعهم للإقامة في تلك الخيمة، ويسمح لهم بعدم التقيد بمنهاج المخيم، ويوفر لهم (عدالة الشاهي) وكل ما يلزمها، في الوقت الذي لا يتناول بقية المخيمين إلا الشاي الخفيف المخلوط بالحليب، مرتين في اليوم، الأولى مع طعام الإفطار، والثانية في فترة بعد الظهر، بعد القيلولة. أما سكان تلك الخيمة فليس لهم برنامج يومي محدد، بينما يطبق البرنامج بكل دقة وصرامة في بقية أقسام المخيم، إضافة إلى إعفائهم من كل الخدمات في مرافق المخيم. كل ذلك لتتاح لهم فرصة التفرغ للإنتاج والتأليف والتدريب، كل في مجال تخصصه الفلكلوري.

وبعد مضي عدة أيام يطلب المرحوم الزائدي منهم عرض إنتاجهم في مختلف مجالات التراث الشعبي، الممثل للمناطق التي جاءوا منها، وكان يناقش كل واحد منهم فيما أنتجه بحضور بقية زملائه، الذين يشاركون بآرائهم ونقدهم. وهكذا تميزت الحركة الكشفية الليبية في ذلك الوقت المبكر بإحياء الحفلات الكشفية التي تقام داخل ليبيا وخارجها، زاخرة بهذه الفنون من أهازيج وألحان ورقصات وأزياء ومقتنيات وغيرها.

استطاع بعض أولئك الشباب، الذين صقلت مواهبهم تلك الخيمة التراثية في مخيمات الكشافة، أن يواصلوا المسيرة، ويبدعوا في مجال التراث، ويتميزوا فيه. لقد أسعدني الحظ برفقة وصداقة بعضهم، ممن هم من جيلي، مثل محمد سعد و محمد سعيد القشاط وأحمد النويري والبخاري سالم حودة ورافع المالكي ومحمد الكور ومحمد خليل عبدالكريم وعبد الرحمن قنيوة وغيرهم كثير، ممن تركوا بصماتهم على الجهود المبذولة لإحياء وتطوير التراث الشعبي في بلادنا، فقد قاموا بتأليف ونشر الكتب والبحوث والمقالات، وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وتأسيس وتدريب فرق الفنون الشعبية، وإحياء الحفلات والمهرجانات وغيرها من أعمال إحياء التراث والمحافظة عليه. وكانت صحبتي لتلك الشخصيات فرصة مكنتني من معرفة العديد من مظاهر التراث في مختلف أنحاء ليبيا.

ثم سنحت لي فرصة أخرى عندما توليت مسؤولية عمادة كلية الآداب بالجامعة الليبية في أوائل سبعينيات القرن الماضي، فقد علمت أن الأستاذ عبد المولى دغمان –رحمه الله– رئيس الجامعة الليبية الأسبق، بالتعاون مع قسم الدراسات الاجتماعية بالكلية، كان قد وضع برنامجاً لجمع إنتاج فحول الشعراء الشعبيين. وقد توقف ذلك البرنامج بعد انقلاب 1969. كان ذلك البرنامج في بدايات العمل والتطبيق قبل توقفه، فقررت إحياءه من جديد. وبعد التشاور ودراسة الموضوع مع بعض الزملاء من أعضاء هيئة التدريس الليبيين، أذكر

منهم الدكتور عمر التومي الشيباني والدكتور محمد دغيم والدكتور علي الساحلي والدكتور يونس فنوش والدكتور مراجع الغناي، استقر الرأي على تشكيل لجنة ملحقة بإدارة الكلية، يعهد إليها بمتابعة هذه المهمة. وبناء على ذلك أصدرت قراراً بتشكيل (لجنة جمع التراث)، برئاسة الدكتور علي الساحلي -رحمه الله- وانتدبنا لها موظفين شابين هما: سالم حسين الكبتي ، والسنوسي محمد البيجو، يتوليان الأعمال الإدارية والتنفيذية. وباشرت لجنة جمع التراث عملها، بمواصلة جمع وتحقيق وتدوين الشعر الشعبي. وبعد فترة قصيرة تركت عملي كعميد لكلية الآداب، وواصلت اللجنة عملها، وبذل أعضاؤها جهداً موفقاً، أسفر عن نشر مجلدين بعنوان (ديوان الشعر الشعبي)، صدرا ضمن منشورات جامعة قاريونس، وتضمن ديوان الشعر الشعبي نماذج مختارة من شعر كبار الشعراء الشعبيين المتوفين. وكانت تلك اللجنة قد وضعت خطة طموحة لجمع وتحقيق وتدوين الشعر والقصص الشعبي، والأمثال الشعبية وغيرها من أوجه التراث الشعبي في ليبيا، غير أن الظروف الصعبة التي مرت بها الجامعة الليبية، لم تمكنها من تحقيق تلك الخطة، فتوقف عمل اللجنة، واقتصر إنتاجها على نشر هذين الجزأين من ديوان الشعر الشعبي فقط.

مواكبتي لبدايات عمل لجنة جمع التراث واحتكاكي بالعديد من الإخوة العاملين فيها، زاد من تعلقي بقضية دراسة وإحياء التراث الشعبي الليبي، كما فتح أمامي فرصة جديدة لمعرفة وفهم المزيد منه.

عندما أصف العمل على إحياء التراث والمحافظة عليه بأنه (قضية) فأنا أعني ما أقول، لأن حقيقة دراسة التراث والاهتمام به تعد سلاحاً ذا حدين، لأنه في الواقع عمل يؤدي إلى نتيجتين، ويفرض علينا أن نحدد، عند دراستنا للتراث، إلى أيهما يجب أن نتجه ونسعى، فالنتيجة الأولى نصل إليها عندما تكون دراستنا للتراث بهدف التمسك به كنمط وأسلوب حياة، بمعنى أن نتمسك بعاداتنا وتقاليدنا التراثية في تعاملنا مع الحياة التي نعيشها اليوم، أي التمسك بالتراث وتطبيقه عملياً في حياتنا اليومية، كما كان الأجداد يطبقونه في العصور الخالية. وهذه نتيجة سلبية، ترجع بنا إلى المعيشة التي كان أجدادنا يعيشونها، بنمط حياة قد يكون صالحاً لزمانهم، ولكنه غير صالح لزماننا، لأننا نعيش زماناً تقدمت الإنسانية فيه بمراحل، عن زمانهم الذي مضى، وحقق البشر فيه تقدماً وتطوراً حضارياً، يفوق بمراحل ما كان عليه الحال في ذلك الزمان القديم.

إذا تمسكنا بالتراث كنمط حياة فهذا يعني أننا سنلزم أنفسنا بالعيش في الزمن الماضي، في الوقت الذي يعيش فيه غيرنا في الزمن الحاضر، زمن التطور والحداثة، أي أننا سنعيش حياة التخلف التي تجعلنا عاجزين عن مواكبة العصر وإثبات وجودنا فيه. إننا لا نستطيع أن نعتمد على تراثنا، مهما كان عريقاً ومضيئاً، لإثبات وجودنا ومجابهة تحديات العصر ومجاراة عالم التقنية والعلم والثقافة والانفتاح والمنافسة.

أما النتيجة الثانية التي يجب أن نتجه إليها في العمل لإحياء التراث فهي أن نتمسك بالمفهوم العلمي الحديث للتراث، أي أن نحافظ على تراثنا باعتباره ركناً في بناء شخصيتنا الوطنية. ولكي نصل إلى هذه النتيجة، ونحقق هذا الهدف، علينا ألا ننساق وراء من ينادون بضرورة التمسك بحذافير ذلك التراث، من أصحاب الآراء السلفية المتشددة المتخلفة، الذين يدعوننا إلى قولبة جميع مظاهر حياتنا وثقافتنا في قالب ضيق لا نحيد عنه، قالب لا ينتمي إلى عصرنا. تلك هي النتيجة السلبية لإحياء التراث والتمسك به، وجعله يتحكم في حياتنا وعلاقاتنا وتطورنا، ويشدنا شداً إلى الوراء.

التراث الذي يجب أن نتمسك به هو التراث الشعبي الوطني في مفهومه العلمي المعاصر، أي التراث الذي يمثل بعض جوانب الصفات والممارسات والمظاهر التي تعطي لفنوننا وآدابنا ومناسباتنا وأعيادنا، وتجهيز مطبخنا وطعامنا، وملابسنا الوطنية، وهندسة بعض مبانينا وأسواقنا، إلى غير ذلك من مظاهر حياتنا المحلية الوطنية، طابعاً خاصاً، يميزنا ويظهر ملامح هويتنا، دون أن يحول بيننا وبين مشاركة الإنسانية مسيرة تطورها وازدهارها، ودون أن يمنعنا من ربط علاقات سليمة تعاونية متوازنة مع غيرنا من الناس.

هذا هو الهدف الذي يجب أن نسعى إليه من وراء العمل على إحياء تراثنا الوطني والتمسك به، لتحقيق ذاتنا وهويتنا الوطنية، دون أن يحول ذلك العمل

بيننا وبين الاندماج في روح العصر والمساهمة في تطوير المفاهيم الإنسانية الحديثة.

هذا ما أراه صواباً في فهم تراثنا الليبي الأصيل، منذ أن بدأ اهتمامي به كجزء من نشاطنا الكشفي، أي منذ أكثر من ستين عاماً، ومروراً بمشاركتي في العمل من أجله في مجال النشاط الثقافي في كلية الآداب، وصولاً إلى التصدي لهذه المحاولة البسيطة في دراسة جانب من جوانبه.

لا أدعي لنفسي شرف الإحاطة العميقة بكل جوانب تراثنا وخفاياه، ولا بقدرتي الفائقة على إيصاله إلى القارئ الكريم، كاملاً مستوفي الشروط، إلا أنني أرجو من كل من يتصدى لدراسة التراث والتعريف به، أن يتنبه إلى خطورة تحكم الأفكار الجامدة المتعصبة البالية في نظرتنا للتراث، وأن يضع كل منهم نصب عينيه معالجة (قضية) التراث بروح العصر، وبالذهن المتفتح، وبوضع التراث في مساره الصحيح.

إن التصدي لمعالجة مشكلة أو قضية التراث في ليبيا يمثل اليوم أمراً ملحاً وواجباً وطنياً، لأن الأجيال الحديثة من الليبيين أصبحت تجهل الكثير من مظاهر تراثها، وبدأت آثار ذلك الجهل تظهر في تشتت لحمتنا الوطنية، وفي نشأة طابعنا الوطني، وفي تدني مستوى فهمنا لتراثنا. وهذا خطر يهدد كياننا ووجودنا، يدعونا إلى قرع ناقوس الخطر، والطلب من الدولة ضرورة تدارك هذا الموقف العصيب، بالعمل الجاد للمحافظة على تراثنا في كل جوانبه ومظاهره، وتطويعه لروح العصر ومقتضيات التطور الحديث. وأعتقد أن ذلك ليس بالأمر

العسير أو المستحيل. ولنا في التجارب الناجحة لكثير من الدول، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية، مثال يحتذى وتجارب يستفاد منها، فما على دولتنا إلا أن تقتنع بعدالة القضية وأهميتها، ووضع مخططات مدروسة، وبرامج عملية موثوقة، والعمل على تنفيذها والتشجيع عليها، بهدف إحياء تراثنا الوطني، في مختلف مجالاته ومكوناته. ولابد في هذا المقام من التنبيه إلى أن معالم تراثنا، ومن ثم ملامح هويتنا الوطنية، أصبحت معرضة للخطر، فهي تقف اليوم في موقع صعب، يتجاذبها تياران متعارضان متنافران: أحدهما ينظر إلى التراث كنمط حياة وطني تقليدي، يجب الرجوع إليه والتقيد به، في مختلف مناحي حياتنا وعلاقاتنا وأسلوب معيشتنا، فهو منقذنا من شرور الأفكار الهدامة المستوردة. أما التيار الآخر فيجذب القضية إلى الاتجاه المخالف، الذي يدعو إلى التخلي عن التراث، والانسلاخ عن كل ما هو قديم، لأنه يعرقل مسيرة تطورنا الحضاري، ويقف حاجزاً بيننا وبين بناء حضارتنا الحديثة في عصر العلم والتقنية والتنمية.

تياران متعارضان متناقضان لا يتفقان إلا في اعتناقهما لفكر متطرف، مجانب للصواب. ولهذا يجب التخلي عنهما وتجاهلهما بانتهاج السبيل القويم الذي يدعو إلى التمسك بالمفهوم العلمي الحديث، الذي يساعدنا على الاحتفاظ بمعالم هويتنا وشخصيتنا الوطنية، ويمكننا في الوقت نفسه من مواصلة مسيرتنا نحو التطور الحديث، وإثبات وجودنا بين الأمم في عالم اليوم. هذا هو المنهج الذي يجب أن نسلكه، ويجب على دولتنا أن تمهد أمامنا السبيل لتحقيق أهدافنا

في بناء دولتنا الحديثة المتطورة، وفي المحافظة على تراثنا، والتمسك بهويتنا وشخصيتنا.

حالف التوفيق بعض الجهود التي بذلت في ليبيا لإحياء التراث والمحافظة عليه، ولكنها لم تقوَ على المداومة والاستمرار، لأنها كانت جهوداً متفرقة مشتتة، لا تنسيق ولا تعاون بينها، يستوي في ذلك الجهود التي بذلتها الدولة، عن طريق بعض المؤسسات الحكومية، والجهود غير الحكومية التي بذلتها بعض المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني. هذا التشتت في الجهد والعمل كان السبب الأول في عدم تواصلها ودوامها. فكنا نراها تعاني وتتخبط في عملها، ثم يخبو نورها، ويطويها ظلام الإهمال والفشل، ولا يبقى منها إلا بعض الأثر الذي يعطي صورة باهتة مشوهة عن تراثنا. هذا ما يدعونا إلى تكرار القول بضرورة تحمل الدولة مسؤوليتها وواجباتها تجاه تراث شعبها وحمايته.

تتناول هذه الدراسة أحد جوانب تراثنا الشعبي وثقافتنا الوطنية؛ جانب لم يحظ بالاهتمام الكافي في ليبيا، حتى أصبحنا نراه اليوم في وضع أقرب إلى النسيان والاندثار؛ ونقصد بذلك الموروث الشعبي في مجال التقاويم والمواقيت والمواسم والفصول وحساب الزمن، وهو مجال كان له في تراثنا حظ وافر، ونصيب مميز، ولكنه أصبح اليوم من أكثر مجالات التراث الشعبي تعرضاً للإهمال والضياع. يرجع ذلك إلى سببين اثنين:

الأول: التطور التقني في مجال قياس الوقت والتقاويم. والثاني: تخلي أغلب الليبيين عن العمل في مجال الزراعة والرعي التقليديين والاتجاه للعمل في مجال الخدمات.

من المعلوم أن هذا النوع من التراث ارتبط بحياة الريف والبداوة، أكثر من ارتباطه بحياة المدن والتحضر. وهكذا واكبت سرعة اختفائه سرعة اختفاء مظاهر حياة الزراعة والرعي التقليديين، بعد اكتشاف النفط في بلادنا. وقد واكب ذلك سرعة تطور آلات الرصد ووسائل التقويم والمواقيت التي توفرت بكثرة وتيسر استعمالها، والاستفادة منها، الأمر الذي ساعد الناس على التخلي عن الاعتماد على الوسائل التقليدية في قياس الزمن، ومعرفة مواسم الحصاد والبذر وجز الصوف واستغلال المراعي وغير ذلك، بل ومعرفة مواقيت الصلاة والصيام والحج. حتى أننا أصبحنا نرى بعض الليبيين من الأجيال الحاضرة يستغربون عندما يعلمون أن أجدادهم كانوا يحددون مواقيت عملهم وعباداتهم بواسطة تقاويم ومواقيت قديمة، متوارثة معتمدة على حركة الكواكب والنجوم، وهي خبرة وثقافة كان بعض الأجداد يمتلكونها ويعملون بها، كما يستغرب شباب اليوم أيضاً عندما يعلمون أن للشهور القمرية والشمسية أسماء تعرف بها، وحسابات تحسب بها في التراث الليبي القديم، وأن للمجتمع الليبي القديم عادات وتقاليد مرتبطة بأشهر معينة، وأيام معينة. لا نطلب من شباب اليوم معرفة كل تفاصيل تراث أجدادهم والعمل به، ولكننا نطالبهم بمعرفته، والمحافظة على بعض جوانبه، التي لا تتعارض مع حياة اليوم، وتساعد في الوقت نفسه على الحفاظ على معالم شخصيتنا. إننا نرجو ونتمنى ألا يكون

ابتعاد غالبية الشباب الليبي عن تراثهم الوطني، سبباً في ابتعادهم عن مقومات هويتهم الوطنية.

قد لا يجد القارئ الكريم في هذه الدراسة المختصرة تحليلات علمية وافية لتفسير التقاويم والمواقيت، أو تحليلاً مفصلاً لاستعمال تلك التقاويم والمواقيت في التراث، ولكنه سيجد تشخيصاً للوضع الذي كانت عليه تلك الظاهرات في تراثنا الليبي، مع إلقاء بعض الضوء على أصولها التاريخية وأهميتها في مجتمعاتنا السالفة.. وهذا هو الهدف الرئيس لهذه الدراسة، التي أرجو أن تكون فاتحة خير لمن يرغب ويستطيع إضافة المزيد المفيد في هذا المجال، والله من وراء القصد وهو الموفق والمعين.

علي يوسف الموشي

قياس الزمن

المواقيت والتقاويم والمواسم تدخل كلها في إطار قياس الزمن. وعرفها البشر تراثياً قبل أن تعرف علمياً، فالإنسان البدائي، منذ أن أوجده الله على سطح هذا الكوكب، وكرمه بالعقل، انتبه إلى أنه يعيش على أرض، لها معالمها المادية الملموسة، التي تختلف من مكان إلى آخر، وانتبه أيضاً إلى أنه يعيش في زمن يتغير من آن إلى آخر، فقد لفت انتباهه وقت تسطع فيه الشمس، وتنير الكون، فيبصر الأشياء ويميزها، ووقت آخر تغيب فيه الشمس، فيظلم الكون، فلا يستطيع رؤية ما يحيط به من معالم. انتبه الإنسان القديم إلى حركة توالي الليل والنهار، وانتظامها، فجعل النهار الذي يبصر فيه وقتاً للعمل والسعي وراء لقمة العيش، وجعل الليل الذي يحول ظلامه دون رؤية الأشياء وقتاً للسكون والراحة والنوم. قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[1]، وقال تعالى {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا}[2].

ثم بدأ الإنسان يهتم بحركة الشمس في النهار، وحركة القمر والكواكب والنجوم أثناء الليل. ومن حركة هذه الظواهر الطبيعية وانتظامها وارتباطها بمتطلبات حياته، وبتغير البيئة الطبيعية من حوله، أي ارتباط تلك الظواهر

---

[1] سورة النبأ: الآيتان 10-11

[2] وسورة الإسراء الآية 12

الكونية، لا بالنور والظلمة فقط، بل أيضاً بتغيرات الجو؛ إذ يبرد أحياناً، ويسخن أحيانا أخرى، ما حتّم عليه معرفة متى يتقي البرد والحر، ومتى يجمع الثمار، ومتى يصطاد الفرائس. وهكذا بدأت مدارك الإنسان تتطور شيئا فشيأ، على مدى أزمنة طويلة، وأجيال متعددة متعاقبة، اكتسب خلالها العديد من المعارف والمعلومات عن مظاهر الطبيعة، واكتسب أيضاً خبرة في كيفية التأقلم معها، والاستفادة منها، إلى أن توصل إلى إدراك مفهوم الوقت أو الزمن، وعرف أن الزمن يمضي، ولا يستطيع إعادة أحداثه إلا صوراً في الذاكرة، ولكنه يستطيع أن يترقب تكرار معالم فصل معين من هذا الزمن، كتوالي فصول الحرارة والبرودة، ومواسم المطر والزرع والحصاد وتوالد المواشي ونضج الثمار.. إلى غير ذلك. وهكذا إلى أن توصل إلى حقيقة مفادها أنه لا يستطيع تشخيص الزمن كظاهرة ملموسة، ولكنه يستطيع قياسه، فالمواسم والتواقيت والتقاويم كلها مقاييس للزمن أو الوقت، بدأ الإنسان يدركها، وينظم بمقتضاها حياته وأعماله، منذ فجر الحضارة الإنسانية، أي قبل أن يكتشف القراءة والكتابة.

يجمع المؤرخون على أن ذلك حدث في وديان الأنهار، مثل دجلة والفرات والنيل وغيرها، عندما اجتاز الإنسان البدائي مراحل الجمع والالتقاط والصيد واستئناس الحيوان، وبدأ مرحلة الزراعة، فمزاولة الزراعة مكنت الإنسان القديم من الاستقرار والارتباط بالأرض، وظهور القرى ثم المدن، حيث بدأ عصر التحضر والاستقرار في عدد من المناطق على سطح الأرض، ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن معرفة قياس الزمن ظهرت في أزمنة متقاربة في عدة أماكن من الكرة الأرضية، غير أن أقدم شواهد تاريخية على قياس الزمن عُثِر

عليها في بلاد الرافدين (دجلة والفرات)، فهي المنطقة التي بدأت فيها أولى محاولات الإنسان للكتابة، وفيها انتهت فترة ما قبل التاريخ، وبدأ عصر التاريخ المدون. يقول مؤلف كتاب قصة الحضارة: "إن تقسيم الشهر عندنا إلى أربعة أسابيع، وتقسيم ساعاتنا إلى 12 ساعة، وتقسيم الساعة إلى 60 دقيقة والدقيقة إلى 60 ثانية، كل هذه آثار بابلية لا شك فيها، باقية من أيامهم إلى وقتنا الحاضر، وإن كان ذلك لا يخطر لنا على بال"[1].

بعد أن تحضر الإنسان، واستعمل الكتابة والتدوين، انتقلت ظاهرة المواقيت والتقاويم من تراث تتناوله الأجيال، عن طريق التلقين والتدريب والتقليد، إلى حقائق علمية، تدون وتوثق وتدرس. وهكذا تناقلتها الأجيال والحضارات، وأخذت تطورها وتصححها، وتضيف إليها، وتثري تجاربها ومعلوماتها ومكتشفاتها، إلى أن وصلت إلينا اليوم، فبعد أن كانت تراثاً متوارثاً، أصبحت الآن علماً يدرس ويتطور. ففي عصور ازدهار الحضارات القديمة كان علم قياس الزمن من أهم العلوم في كل حضارات وادي الرافدين ووادي النيل والهند والصين وأوروبا والأمريكيتين. كانت كل الحضارات الإنسانية تتدارس علوم الزمن والوقت وقياساتها، وتتنافس في تطويرها، باعتبارها أحد معالم التحضر والرقي الإنساني، الذي يدل على تطور تلك الحضارات وأهلها، وعلى سمو مكانتها ومكانتهم بين الأمم والشعوب. {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ

---

[1] ديورانت، الولايات المتحدة الأمريكية، قصة الحضارة، ترجمة، زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص134.

مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إلا بِالْحَقِّ، يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[1].

ارتبط هذا العلم في بداياته القديمة بالخرافات والأساطير، حسب ما كانت عليه معتقدات الأولين، فعلى الرغم من أن معرفة البشر قياس الزمن بدأت برصد حركة الشمس والقمر، وتغيرات الليل والنهار، وانتظام توالي الفصول، فإن تلك الظاهرات كانت تنسب دائماً إلى قوى خارقة فيما وراء الطبيعة، من أرواح شريرة، وآلهة متعددة، ومخلوقات أخرى سماوية وأرضية، لا تدركها حواس البشر. ومن غرائب الأمور أن بعض تلك المعتقدات والخرافات ما زالت راسخة في أذهان بعض الناس، الذين لم يحصلوا على قسط من التعليم والتثقيف السليم، مع أن العلم وضح أسباب تلك الظواهر ومواعيدها والمنافع والأضرار التي قد تنتج عنها. وقد تمت دراسة هذه الظواهر وفهمها منذ وقت غير قريب.

أما في ليبيا فقد أبطل الإسلام أغلب تلك المعتقدات الفاسدة، وأصبحت عقيدة الناس الدينية إسلامية خالصة. أما خارج نطاق المعتقد الديني فإن التراث الليبي ما زال يحتفظ ببعض مظاهر قياس الزمن القديمة، فمواسم الحرث والحصاد وجني الثمار وسقوط الأمطار ومواعيد الحر والبرد، وهبوب العواصف

---

[1] سورة يونس ، الآيتان 5-6

واضطراب البحر، وشدة خطر أمواجه وتياراته، إلى غير ذلك من تغيرات وتقلبات المظاهر الطبيعية وتواقيتها، فإن بعض الناس يعرفونها معرفة جيدة، ويحددون مواسمها ومواقيتها حسب الأشهر الشمسية الرومانية، على الرغم من أن بعضهم من الأميين الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، ولا يفقهون القواعد العلمية لحدوث تلك الظواهر، فهم قد امتلكوا هذه الخبرة المتوارثة عن القدماء، الذين توارثوها جيلا بعد جيل، ويفسرون أسباب حدوثها بقدرة الله سبحانه تعالى، الذي سخر لنا الكون وما فيه، وهو الذي يسيره بقدرته، فهؤلاء (الخبراء) يعرفون هذه الظواهر ويحددون مواعيد ومواسم حدوثها، ويدلون الناس عليها، للاستفادة منها في حياتهم اليومية، أو اتقاء أضرارها، ولكنهم لا يتصدون لتفسير أسبابها وكيفية حدوثها. أما مواقيت الصلاة والحج والصيام وغيرها من المواسم الدينية فهناك العديد من الفقهاء والدارسين لعلم الفلك والتقاويم والمواقيت على الطريقة التقليدية ضمن العلوم الشرعية عند المسلمين، وهم يعتمدون في ذلك على حساب الأشهر القمرية للتقويم الهجري.

مع الليل والنهار كانت البداية

الأيام والساعات

عرف الإنسان أول تنظيم للوقت وقياس للزمن منذ عصور ما قبل التاريخ، العصور التي تعارفنا على تسميتها عصور الحضارات الحجرية القديمة، قد نظم إنسان تلك العصور، على الرغم من أنه لم يعرف بعد الكتابة، وقته بتقسيم اليوم إلى قسمين: النهار، ويبدأ بشروق الشمس وينتهي بمغيبها، ثم الليل، ويبدأ بغروب الشمس وينتهي بشروقها. وقد حاول الإنسان القديم تنظيم حياته ومتطلباتها البسيطة خلال هذين القسمين، فجعل كل نهار وليل يكونان يوماً واحداً، وتحسب الأيام (الوقت) بتكرار الليل والنهار. قال تعالى في القرآن الكريم: { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}[1]. تلك كانت البداية التي أخذت تتطور وتزداد تعقيداً كلما تطورت حياة البشر وازدادت تعقيداً.

(اليوم) هو ركيزة قياس الزمن، فقد قسم الزمن إلى وحدات أصغر من اليوم، وتعد جزءاً منه، هي: الساعة والدقيقة والثانية. ووحدات أكبر منه، ويعد اليوم جزءاً منها هي: الأسبوع والشهر والفصل والسنة والقرن. وقد تحقق هذا التطور لتنظيم وحدات قياس الزمن على مدى عصور طويلة تقاس بالقرون، توالت خلالها الحضارات الإنسانية بمختلف فتراتها الزمنية، وتعدد مواقعها الجغرافية على الكرة الأرضية.

---

[1] سورة الرحمن: الآية 5

ونظراً لأهمية (اليوم) كوحدة لقياس الزمن، وكثرة استعمال الناس لها على مر العصور، فقد تعددت مفاهيمه ومعانيه، كمصطلح في اللغات المختلفة، منها على سبيل المثال:

اليوم الفلكي: وهو الزمن الذي يساوي طول الليل والنهار، أي الزمن الذي يستغرقه دوران الأرض حول محورها، ومدته أربع وعشرون ساعة، تحسب من منتصف الليل إلى منتصف الليل التالي، فالساعة الواحدة بعد منتصف الليل هي أول ساعات اليوم، وساعة منتصف الليل التالي، هي الساعة الرابعة والعشرون، وهي آخر ساعات اليوم.

اليوم الشروقي: وهو اليوم الذي يبدأ بشروق الشمس، ويستمر إلى شروقها في اليوم التالي. أي أنه يستغرق الساعات الأربع والعشرين الفاصلة بين شروقين للشمس. وقد استعمله قديماً الفرس والروم.

اليوم الغروبي: هو اليوم الذي يبدأ بغروب الشمس، ويستمر إلى غروبها التالي. وقد استعمله العرب قبل الإسلام، واستخدمه المسلمون حتى العصر الحديث، وكان مستعملاً في ليبيا حتى أبطله الحكم الاستعماري الإيطالي في أوائل القرن العشرين (1912م).

اليوم الشرعي الإسلامي: هو الزمن الذي يبدأ بطلوع الفجر، وينتهي بالغروب (فترة النهار)، ويستخدمه الفقهاء وعلماء الشريعة في أحكام الصلاة والصوم والحج.

اليوم القطبي: هو اليوم في منطقتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي. وقد يكون كله أو معظمه ليلاً في فصل الشتاء، وقد يكون كله أو معظمه نهاراً في فصل الصيف.

قصة الأيام

أكد العديد من المؤرخين أن الكلدانيين، الذين ينتمون إلى حضارة ما بين النهرين في العراق، هم أول من جعل للأيام أسماء، عرفوها بها، وذلك بتسمية كل يوم باسم أحد الكواكب السيارة السبعة التي كانت معروفة لديهم وهي:

يوم الأحد، سموه باسم الشمس، أي يوم الشمس، واسمها عندهم (إيليوس AELIOS).

يوم الإثنين، سموه باسم القمر، أي يوم القمر، واسمها عندهم (سين SIEN).

يوم الثلاثاء، سموه باسم المريخ، أي يوم المريخ، واسمه عنده (آريس ARIS).

يوم الأربعاء، سموه باسم عطارد، أي يوم عطارد، واسمه عندهم (نابق NABIQ).

يوم الخميس، سموه باسم المشتري، أي يوم المشتري، واسمه عندهم (بال BAL).

يوم الجمعة، سموه باسم اللات، أي يوم اللات، واسمها عندهم (بلتي BELTHI).

يوم السبت، سموه باسم زحل، أي يوم زحل، واسمه عندهم (أوكرونس OCRONS).

ثم جعل العرب في الجاهلية للأيام أسماء كذلك، استمرت مستعملة بينهم داخل شبه الجزيرة العربية حتى قبيل ظهور الإسلام بقليل، وقد حددها بأسمائها الشاعر الجاهلي المعروف النابغة الذبياني في الأبيات التالية:

أؤمل أن أعيش وأن يومي لأول أو أهون أو جبار

أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شبار

هي الأيام دنيانا عليها ممرُّ الليل دأباً والنهار

تغيرت هذه المسميات للأيام بعد البعثة المحمدية. وهناك من المؤرخين من يقول بتغيير أسماء الأيام عند العرب قبيل ظهور الإسلام بسنوات قليلة، حيث تغيرت، لتحل محلها أسماء الأيام التي تعرف بها عند العرب حتى وقتنا الحاضر؛ إذ تغير أول إلى الأحد، وأهون إلى الإثنين، وجبار إلى الثلاثاء، ودبار إلى الأربعاء، ومؤنس إلى الخميس، وعروبة إلى الجمعة، وشبار إلى السبت.

من الواضح أن أسماء الأيام الجديدة مشتقة من الأعداد، ما عدا يومي الجمعة والسبت، فقد سمى العرب يوم (عروبة) الجمعة، لأن شيوخ قبيلة قريش كانوا يجتمعون فيه بدار الندوة، وصار المسلمون يجتمعون فيه بالمسجد الحرام، حيث تقام صلاة الجمعة. وأطلق العرب على يوم (شبار) اسم يوم السبت، وهو مشتق من السبات أو السكينة. وربما أخذ العرب هذه التسمية من اليهود، لأن يوم السبت عندهم هو يوم الراحة، وعطلة نهاية الأسبوع. وقد ورد في الكتاب

المقدس "وبارك الله اليوم السابع، وقدره لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمله الله خالقاً"[1].

أما أسماء الأيام الأخرى فقد اشتقت من الأرقام الحسابية، وابتدأت بالأحد، للاعتقاد السائد منذ القدم بأن الله –سبحانه وتعالى– بدأ فيه خلق الأرض والسماء. فقد خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام، كان يوم الأحد أولها، والإثنين ثانيها، .. وهكذا حتى الخميس خامسها، ولم يذكر في القرآن الكريم أي يوم باسمه إلا يومي الجمعة والسبت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[2]. هذا عن يوم الجمعة، أما عن يوم السبت فيقول الحق تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[3].

اتخذ اليهود يوم السبت عطلة لهم، يمتنعون فيه عن العمل، واتخذ المسيحيون يوم الأحد عطلة لهم، أما المسلمون فيقيمون صلاة الجمعة عند موعد صلاة الظهر، ويمتنعون عن البيع والشراء والعمل خلال الوقت المخصص لخطبة الجمعة وصلاتها. فهم يزاولون أعمالهم المعتادة قبلها

---

[1] سفر التكوين (2–3)

[2] سورة الجمعة: الآية 9.

[3] سورة الأعراف، الآية 163.

وبعدها. غير أن أغلب البلاد الإسلامية الآن تتخذ يوم الجمعة عطلة رسمية لنهاية الأسبوع، كما هو الحال عندنا في ليبيا.

شكل رقم (1)

الكواكب المعروفة في الحضارات القديمة



ارتبطت أسماء الأيام قديماً، عند البابليين والآشوريين والكلدانيين بأسماء الأجرام السماوية التي كانوا يقدسونها، فجعلوا يوم السبت لعبادة (زحل)، ويوم الأحد لعبادة (الشمس)، ويوم الإثنين لعبادة (القمر)، ويوم الثلاثاء لعبادة (المريخ)، ويوم الأربعاء لعبادة (عطارد)، ويوم الخميس لعبادة (الزهرة)، ويوم الجمعة لعبادة (المشتري).

أما الفراعنة في مصر القديمة فقد ربطوا أسماء الأيام بأسماء الآلهة التي كانوا يعبدونها. ويبدو أن الهنود القدماء كانوا متأثرين بحضارة وادي الرافدين، فكانوا يسمون الأيام بأسماء الكواكب السبعة سالفة الذكر. وكان موقع الكوكب في السماء يسمى باللغة الهندية القديمة (بار BAR)، فأطلقوا هذا الاسم على اليوم، فيوم الأحد كان يسمى عندهم (آدت بار)، و (آدت) هو اسم الشمس في لغتهم، فآدت بار تعني (موقع الشمس) أو (يوم الشمس)، وأطلقوا على يوم الإثنين اسم (سُوم بار) أي (يوم القمر)، ويوم الثلاثاء (منكل بار)، أي يوم المريخ، ويوم الأربعاء (بُدَبار) أي يوم عطارد، ويوم الخميس (بَرْهسبتْ بار) أي يوم الزهرة، ويوم الجمعة (شُكْر بار) أي يوم المشتري، ويوم السبت (شنيشجر بار)، أي يوم زحل.

عن البابليين وغيرهم من أهل حضارات الشرق القديم أخذت الحضارات الأوروبية القديمة تلك المسميات، ومنها انتقلت إلى الحضارات الأوروبية

الحديثة، وتطورت حتى استقرت على أسماء الأيام المعروفة اليوم في اللغات الأوروبية، وتصنف على النحو الآتي:

يوم الأحد: كان مكرساً لعبادة إله الشمس، فسمي في اللغة السكسونية القديمة (SUNS DAEG) أي (SUN`S DAY)، وتعني يوم الشمس، ومنها انتقل إلى اللغة الإنجليزية، فأصبح (SUNDAY). وفي سنة 321 ميلادية أمر الملك قسطنطين بمنع العمل في هذا اليوم، وجعله مخصصا للعبادة، فأطلق عليه الرومان اسم يوم الرب (DOMINICA DIES) باللغة اللاتينية، ومنها انتقل إلى اللغة الفرنسية (DIMANCHE).

يوم الإثنين: كان هذا اليوم مكرساً عند شعوب شمال أوروبا قديماً لعبادة إله القمر، فسمي في اللغة السكسونية القديمة (MONAN DAEG)، وتعني يوم القمر (MOON`S DAY)، ومنها انتقل إلى اللغة الإنجليزية الحديثة فأصبح (MONDAY). وسمي في اللغة اللاتينية (LUNAE DIES)، وكان الرومان يرمزون إليه بتمثال الآلهة ديانا (DIANA) إلهة الصيد عندهم، ومن اللاتينية انتقل إلى اللغة الفرنسية الحديثة باسم (LUNDI).

يوم الثلاثاء: كان مكرسا لعبادة إله الحرب، الذي كان يسمى عند الأوروبيين الشماليين (TIWES)، فسمي هذا اليوم في اللغة السكسونية القديمة (TIWES DAEG)، ومنها اشتقت تسميته في اللغة الإنجليزية (TUESDAY). أما الرومان فقد كانوا يسمون إله الحرب باسم المريخ (MARS)، ولهذا سمي

هذا اليوم في اللغة اللاتينية (MARTIS DIES)، ومنها اشتقت التسمية الفرنسية لهذا اليوم (MARDI).

يوم الأربعاء: كان مكرساً لعبادة إله الحكمة عند الشعوب الأوروبية الشمالية، هو الإله (ODIN) أو (WODEN)، نسب إليه اسم هذا اليوم في اللغة السكسونية القديمة (WODENS DAEG) أي (WEDEN`S DAY)، ومنها اشتق اسمه في اللغة الإنجليزية الحديثة (WEDNES DAY). أما الرومان فقد أطلقوا عليه اسم الإله عطارد (MERCURE)، وهو رسول الآلهة عندهم، ولهذا كتب باللغة اللاتينية (MERCURII DIES) ومنها اشتقت تسميته الفرنسية (MERCREDI).

يوم الخميس: كان مخصصا لعبادة الإله (THOR)، إله الرعد والصواعق عند الشعوب الأوروبية الإسكندنافية القديمة، ولهذا سمي في اللغة السكسونية القديمة (THUNRES DAEG) أي (THOR`S DAY)، ومنها اشتق اسمه في اللغة الإنجليزية (THURSDAY)، أما الرومان فقد كرسوا هذا اليوم لعبادة كبير آلهتهم جوبتير (JUPTER)، ومنه اشتق اسم هذا اليوم في اللغة اللاتينية (JOVES DIES)، وعرف فيما بعد في اللغة الفرنسية الحديثة باسم (JEUDI).

يوم الجمعة: كان مكرسا لعبادة الإلهة (FRIGG)، إلهة الحب عند الإسكندنافيين القدامى. ولهذا سمي هذا اليوم في اللغة السكسونية القديمة (FRIGG DAEG) أي (FRIGG`S DAY)، ومنها انتقل إلى الإنجليزية باسم (FRIDAY). أما الرومان فقد خصصوا هذا اليوم لعبادة الإلهة فينوس

(VENUS)، أي الزهرة، وهي إلهة الجمال عندهم، وسموه (VENERIS DIES)، ومنه اشتق اسم هذا اليوم في اللغة الفرنسية الحديثة (VENERDI).

يوم السبت: هو اليوم الوحيد الذي اتفق على تسميته الأوربيون الشماليون والرومان، وكرسوه جميعاً لعبادة زحل (SATURN)، إله الزرع والخصوبة، فسمي في اللغة السكسونية القديمة (SAETERN DAEG)، ومنها انتقل إلى الإنجليزية باسم (SATUR DAY)، وسمي في اللغة اللاتينية (SATURNI DIES)، ومنها اشتق اسمه في اللغة الفرنسية (SAMDI). ومن الملفت للنظر أن اللغتين الأسبانية والإيطالية، وهما لغتان من أ صل لاتيني، أخذتا اسم هذا اليوم من اللغة العبرية القديمة (سبات SABBATH) فهو في اللغة الإيطالية (SABATO) وفي الأسبانية (SABADO).

اختلف المؤرخون في بداية تقسيم اليوم إلى ساعات، والساعة إلى دقائق، والدقيقة إلى ثوان، فمنهم من نسبه إلى الحضارة البابلية في العراق القديم، ومنهم من نسبه إلى الحضارة الفرعونية في مصر القديمة. وأعتقد أن هذا الاختلاف بين المؤرخين كان نتيجة التزامن أو التقارب في وقت ظهور ذلك التقسيم في كلتا الحضارتين. والمهم في الأمر أن كل الحضارات الأخرى أخذت هذا التقسيم عن البابليين أو عن الفراعنة، وهو تقسيم (اليوم) وتفريعاته في قياس الوقت.

عرف العرب القدماء هذا التقسيم. وكما أعطوا للأشهر والأيام أسماء عربية، فقد أعطوا للساعات أيضاً أسماء، وجعلوا لليل 12 ساعة، ومثلها

للنهار، وأطلقوا على كل ساعة من ساعات الليل والنهار اسماً خاصاً بها، كالتالي:

أولا – ساعات الليل:

1-ساعة الشاهد	2-ساعة الغَسَق	3-ساعة العَتْمة
4-ساعة الفَحْمَة	5-ساعة المَوهِن	6-ساعة القطْع
7-ساعة الجَوْسَن	8-ساعة الهُتْكة	9-ساعة التَّباشير
10-ساعة الفجر الأول	11-ساعة الفجر الثاني	12-ساعة الفجر المُعْتَرِض

ثانيا ـ ساعات النهار:

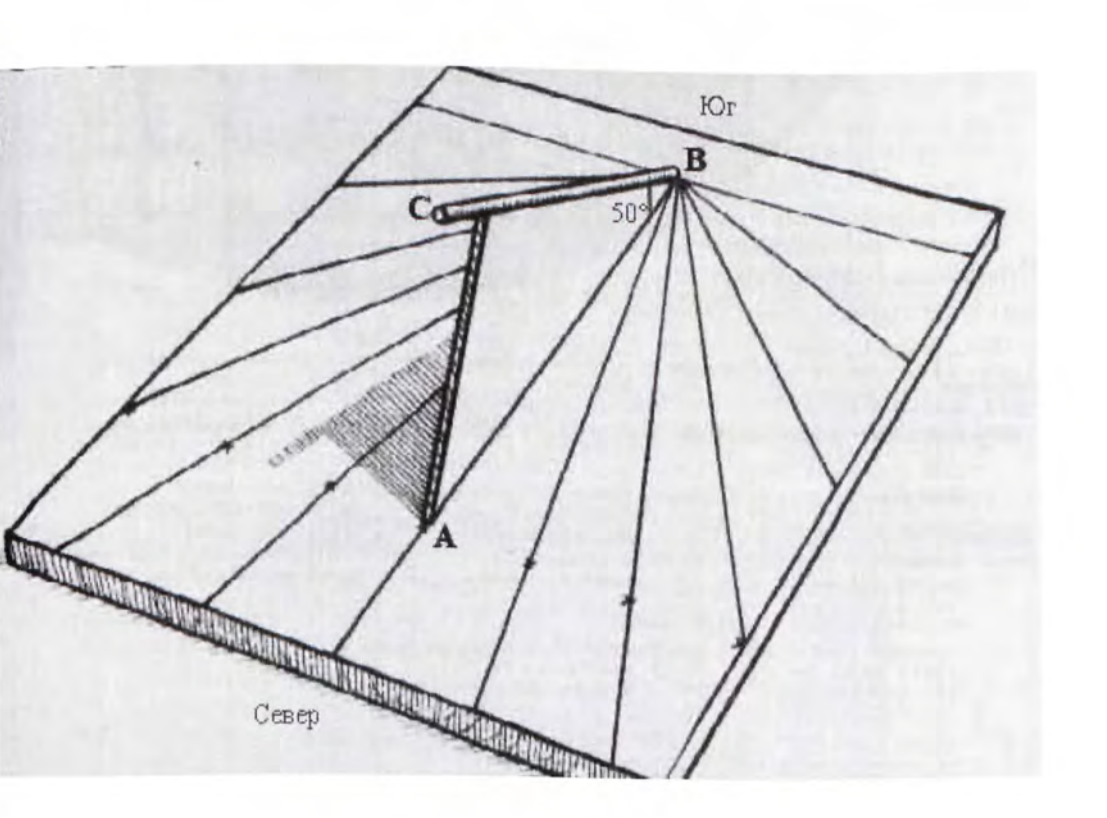
1-ساعة الذَّرور	2-ساعة البُزوغ	3-ساعة الضُّحَى
4-ساعة الغزالة	5-ساعة الهاجرة	6- ساعة الزوال
7-ساعة الدلوك	8-ساعة العصر	9- ساعة الأصيل
10-ساعة الصُبوب	11-ساعة الحُدور	12-ساعة الغروب

عرف العرب القدماء، كغيرهم من الشعوب القديمة، تحديد ساعات النهار بواسطة (المِزولة)، أي باستعمال المزولة (SUN DIAL)، وهي أول آلة استعملها الإنسان لتحديد فترات النهار. وتتكون المزولة من عود مستقيم، أو شاخص، يثبت على الأرض أو على سطح مستوٍ، في مكان مكشوف للشمس، ويستعمل قياس ظل ذلك العود من حيث طوله واتجاهه لتحديد ساعات النهار،

وتحديد وقت صلاة الظهر وصلاة العصر. ومما يدل على استعمال العرب لهذه الآلة البسيطة ذلك المثل القديم الذي يتناقلونه بينهم جيلاً بعد جيل، الذي يقول: "وهل يستقيم الظل والعود أعوج؟"، أي أن ظل عود المزولة لا يمكن أن يكون واضحاً مستقيماً، إذا كان العود نفسه أعوج. وهم يضربون هذا المثل للتدليل على أن الشخص السيئ، لا يمكن أن يكون عمله صالحاً. ومن الغريب أن قياس الوقت عن طريق المزولة استمر معروفاً ومستعملاً حتى وقت قريب. ولعله لا يزال معروفاً مستعملاً حتى الآن في بعض المناطق، رغم اختراع العديد من الآلات الحديثة المتطورة لقياس الوقت بدقة متناهية، فالناس أثناء سفرهم في الصحراء أو تنقلهم خلف قطعان ماشيتهم في البراري يلجؤون إلى طريقة المزولة لمعرفة الوقت أثناء النهار. وقد شاهدت بنفسي خلال سنوات الخمسينيات من القرن العشرين من يستعمل قياس ظل العود لمعرفة وقت صلاة الظهر والعصر، في منطقة لا تبعد عن مدينة بنغازي إلا بمسافة قصيرة، لا تزيد عن أربعين كيلومتراً.

شكل رقم (2)

مزولة (ساعة شمسية SUN DIAL)



تطورت المزولة قليلا، فبدلاً من العود أو العصا استعملت أسياخ من المعدن، مثبتة على سطح مستو، منحوت عليه خطوط تمثل ساعات النهار. ويراقب المشاهدون تنقل ظل الشاخص متنقلاً بين تلك الخطوط، واحداً بعد الآخر، كل ساعة من ساعات النهار. ثم تفنن البعض في صناعة المزولة فجعلوا أسطحها من الرخام، وشواخصها من المعدن المزخرف، وزينوا بها بعض الميادين والمباني العامة، مثل القلاع والمساجد والكنائس والمدارس وغيرها. والمار اليوم أمام السراية الحمراء في طرابلس يشاهد على إحدى واجهاتها مزولة معدنية بسطح مستو، منحوت عليه خطوط ساعات النهار. ربما يرجع تاريخها إلى عصر حكم فرسان مالطا، الذين رمموا القلعة ووسعوها، كما توجد في ليبيا العديد من المزاول أو الساعات الشمسية مثبتة على المباني التاريخية القديمة في مختلف أنحاء البلاد.

بعد المزولة عرف الناس الساعة الرملية والساعة المائية (SAND GLASS) أو (HOUR GLASS)، وهي مثل المزولة آلة لقياس الزمن بسيطة غير آلية أو غير ميكانيكية، فالساعة الرملية جهاز مصنوع من الزجاج مكون من انتفاخين متصلين أحدهما بالآخر، يملأ أحدهما برمل ناعم جاف، وعندما يكون مكانه في الأعلى يتسرب الرمل عبر الثقب الواصل بين الانتفاخين إلى الانتفاخ الفارغ في الأسفل. ويحدد اكتمال تسرب الرمل من الجزء العلوي إلى الجزء السفلي بوقت محدد، كأن يكون ساعة كاملة أو نصف ساعة أو ربع ساعة. وبتكرار تغيير وضع الساعة الرملية تتكرر عملية تسرب الرمل من الأعلى إلى الأسفل، خلال الوقت المحدد. وبذلك تحسب الساعات، وربما أجزاء

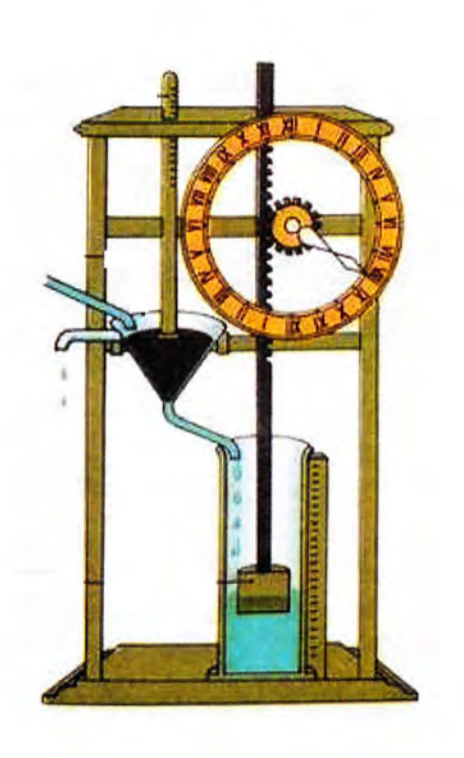
الساعة. وميزة الساعة الرملية أنها يمكن أن تستعمل نهاراً وليلاً، بخلاف المزولة التي لا تستعمل إلا خلال ساعات النهار فقط.

الساعة المائية قامت على فكرة الساعة الرملية نفسها، واستخدم فيها الماء بدلاً عن الرمل، وأدخل على الساعة المائية تطويرات كثيرة، استعملت فيها حركة الماء التي تحرك تروساً متصلة بقضيب مسنن، يتحرك بواسطة دفق مائي منظم، ويحرك الترس مؤشراً يشير إلى الساعات التي كتبت على سطح دائري بالأرقام من 1 إلى 12. والساعة المائية تحدد الوقت بدقة أكثر قليلاً من الساعة الرملية. ويقول بعض المؤرخين إن الساعة التي أهداها الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى الإمبراطور الأوروبي شارلمان، واعتبرها الأوروبيون أعجوبة في ذلك الوقت كانت ساعة مائية، ولكنها ساعة مائية شبه ميكانيكية، لأن بها تروساً وعقرباً أو مؤشراً يشير إلى أرقام الساعات. وقد صنعت بدقة متناهية، وحليت بزخارف بديعة.

اخترع الفلكي المصري ابن يونس البندول أو (الرقاص)، الذي استعمل لتحريك تروس تحرك بدورها مؤشرين (عقرب الساعات وعقرب الدقائق)، بحركة منتظمة على واجهة مستديرة كتبت عليها الأرقام من 1 إلى 12، بعدد الساعات التي تكون نصف اليوم، بحيث تكون حركة أحد المؤشرين محددة، ينتقل فيها المؤشر من موضع رقم إلى موضع الرقم الذي يليه، خلال ساعة واحدة، وهو ما يسمى (عقرب الساعات)، أما المؤشر الآخر فيتحرك بسرعة أكبر، متنقلاً من درجة إلى أخرى في مدى دقيقة واحدة، وهو ما يسمى

شكل رقم (3)

الساعة الرملية والساعة المائية





(عقرب الدقائق)، فيقطع بذلك مدة ستين دقيقة في كل ساعة من ساعات الليل والنهار.

وقد كانت صناعة البندول أو الرقاص بداية صناعة الساعات الآلية أو الميكانيكية ذاتية الحركة. يصر بعض المؤرخين الأوروبيين على أن (جاليليو) هو مخترع البندول، على الرغم من أن هذا الاختراع قد عرفه واستعمله ابن يونس ، المتوفى سنة 1009م، أي قبل جاليليو بعدة قرون. وقد عرف هذا الاختراع أيضاً في الصين في العصور الوسطى، أي قبل ظهوره في أوروبا بعدة قرون.

بنيت صناعة الساعات الميكانيكية على فكرة حركة البندول (الرقاص) الذي يحدد حركته زنبرك، حسب قانون حركة الرقاص، التي وضعها ابن يونس. وقد تفنن العديد من الصناع المهرة في البلاد الإسلامية في صناعة أنواع عديدة من الساعات الآلية، حتى أن ابن الشاطر المتوفى عام 1375م صنع ساعة من هذا النوع، لا يزيد حجمها عن 30×30 سنتيمتر. ثم تطورت الساعات الآلية في أوروبا بعد اختراع (الزنبرك اللولبي)، فتعددت أنواع الساعات وأحجامها، من الساعات الضخمة الكبيرة، التي شيدت لها الأبراج المرتفعة، إلى ساعات صغيرة توضع على المنضدة، إلى ساعات اليد المتناهية الصغر. وقد اشتهرت عدة ساعات آلية متقنة الصنعة مثل ساعة بج بن، في لندن، وساعة جامعة القاهرة وغيرها.

ثم تطورت صناعة الساعات حتى أصبحت تدار بقوة الكهرباء، بدلاً من الزنبرك، حتى وصلنا اليوم إلى الساعات الرقمية ذاتية الحركة، وأصبح كل هاتف محمول يحتوي على ساعة تعمل بمنتهى الدقة إلكترونياً.

ثم اخترعت الساعة الناطقة التي تعلن عن الوقت بالكلام، والساعة المنبه التي تصدر صوتا أو موسيقا لتوقظ صاحبها من النوم، حسب الموعد المطلوب. وهناك ساعات كتبت أرقامها بحروف لغة برايل، ليستعملها المكفوفون، وساعة الإيقاف التي تستعمل في المسابقات الرياضية، بمختلف أنواعها، فتحدد الوقت بالدقيقة والثانية، والجزء من الثانية. وهكذا أثبتت الساعة أنها ليست آلة لتحديد الوقت فقط، بل هي اختراع يواكب تطور الحضارة الإنسانية في كل مراحل تقدمها.

اكتسبت كلمة (يوم) معاني أخرى غير القياس الزمني، أي اليوم بمعنى الوحدة الزمنية التي تستغرق 24 ساعة، فكلمة يوم في اللغة العربية استعملت في مواضع تحمل معاني متعددة ومختلفة، نذكر منها على سبيل المثال:

اليوم بمعنى الآن، أو في الوقت الحاضر، كقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}[1]. وقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس "اليوم خمر، وغدا أمر".

---

[1] سورة المائدة، الآية 3

اليوم أو الأيام بمعنى الدهر أو الوقت غير المحدد. قال الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهناك مثل شعبي ليبي يقول: "اللي ما يربوه ولديه، تربيه الايام والليالي".

اليوم بمعنى موقعة أو حرب أو معركة، فنقول أيام العرب بمعنى حروبهم في الجاهلية، كيوم ذي قار ويوم البسوس ويوم داحس والغبراء وغيرها. وتستعمل كلمة يوم بهذا المعنى في لهجتنا المحلية الليبية، فنقول مثلاً عن معركة جليانا (يوم جليانة)، وعن معركة الهاني (يوم الهاني)، وغيرها الكثير مثل يوم شارع الشط ويوم القرضابية ويوم الكراهب..إلخ

اليوم بمعنى العيد: كقولنا يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم رأس السنة ويوم عاشوراء ويوم الاستقلال..إلخ

وتحمل كلمة يوم عدة معان دينية، كقولنا يوم الدين، يوم القيامة، يوم الحساب، يوم عرفة، يوم التروية، أيام التشريق، أيام الله. فقد ورد في القرآن الكريم {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[1].

---

[1] سورة إبراهيم ، الآية 5.

وتستعمل كلمة يوم كثيراً في الأمثال والحكم الشعبية، من ذلك على سبيل المثال:

(يوم لك ويوم عليك)، بمعنى تداول الأيام بين الناس بالخير والشر، بالعزة والهوان..إلخ.

(رزق اليوم علي اليوم، ورزق بكرة على بكرة)..بمعنى لا تشغل بالك بالدنيا، فكل يوم يأتي رزقه معه.

(يوم أو ليلة قبرك ما تبات خلا).. بمعنى لا تشغل بالك بشيء في الدنيا، فيوم وفاتك ستنام في قبرك.

(اليوم يومك): للتقريع والإنذار، أي سأجعل هذا اليوم يوم القصاص أو الانتقام منك.

(اللي ما له يوم له ساعة): بمعنى لك ظالم نهاية.

(البكا يوم السدوة): نادرة تروى على لسان جحا، وتعني "الأمور بخواتيمها ونتائجها.

(يوم الكساد يجوك معوجين الروس): أي يوم النحس والكساد لا يشتري أحد سلعتك وإن كانت جيدة.

(هذا يوم فلان): أي يوم سعده وتألقه وسداده.

وعرفت في التراث الليبي بعض العادات والمعاملات تتعلق بالأيام نذكر منها:

التبرك بيومي الإثنين والخميس، لإعلان عقود الزواج (الفاتحة) وعقد القران وإقامة احتفالات الزفاف والأفراح.

تأجيل بعض الأعمال التي تحتاج إلى جهد جماعي أو تستغرق وقتاً طويلا إلى ما بعد عطلة نهاية الأسبوع، فيقولون "اليوم خميس، ما هناك الا الصلاة على النبي، وبكرة جمعة راحة وعبادة، ونبدأ يوم السبت إن شاء الله".

التشاؤم من الحلاقة والتزين يوم السبت، وكان بعضهم يقول: "يا محسن سبع سبوت، لابد بالحديد تموت". أي أن الذي يحلق شعره ويتزين يوم السبت، ويكرر ذلك سبع مرات، في أيام السبت، سيموت مقتولاً.

التفاؤل بزيارة الأقارب والأصدقاء والجيران بعد صلاة عصر الجمعة، ويقولون "الجمعة تجمع القلوب"، أي تقوي الألفة وتذهب الأحقاد. أما زيارة المقابر فيفضل أن تكون قبل صلاة الجمعة.

التشاؤم من السفر يوم الأربعاء، وخاصة آخر أربعاء من شهر صفر، وكان بعضهم يقول إن الذي يسافر يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر، لا يحقق الهدف الذي يسافر من أجله، أو أنه لا يعود من سفره أبداً. يقول الشاعر:

اربع ما يدور الصفارين   شهر في اللي قبل الميلود

التفاؤل بالسفر يوم الخميس، ويقولون (الخميس ونيس)، أي أن الذي يسافر يوم الخميس لابد أن يجد من يؤنسه في سفره وغربته. وهناك حديث

نسبه البعض إلى النبي محمد -عليه أفضل الصلاة والتسليم- يقول: "اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها".

التفاؤل بيوم الأحد لبداية البذر والغرس في الزراعة، وكذلك للشروع في أعمال البناء للمساكن الجديدة.

التفاؤل بيوم الإثنين لبداية أعمال التجارة وافتتاح المحلات التجارية الجديدة، وعقد الصفقات التجارية، فيقولون "المكسب يوم الاثنين، بدل الواحد اثنين".أي يكون المكسب مضاعفاً.

يخصص بعض الليبيين يوم الأربعاء من كل أسبوع لدفع أتعاب محفّظ القرآن في خلوات المساجد والزوايا، ويسمونه (حق الأربعاء)، وهو قيمة بسيطة من النقد، أو مقدار من الحبوب أو التمر أو غيرها من المواد الغذائية المتداولة، كل حسب استطاعته. وهناك بعض المناطق في ليبيا تجعل موعد دفع أتعاب محفظ القرآن يوم الخميس بدلاً من الأربعاء، ويسمونها (خميسية الفقي).

يوم أو أيام العمود: يسمي رعاة الإبل اليوم الستين من الصيف، يوم العمود، ويلحقون به يوماً قبله ويوما بعده، فأيام العمود هي أيام 59 و60 و61 من فصل الصيف، التي توافق أيام 27 و28 و29 من شهر يوليو من كل عام. لهذه الأيام الثلاثة أهمية خاصة عند الرعاة والفلاحين، فهم يحرصون على سقاية الإبل قبلها، ويمنعونها منعاً باتاً من الشرب خلال تلك الأيام الثلاثة، لاعتقادهم أن الإبل، إذا شربت الماء خلال أيام العمود، تضعف وتعتل صحتها. ولهذا يصفون الشخص كثير المرض، أو المصاب بالهزال، بأنه مثل

الجمل الذي شرب الماء يوم العمود. الشاعر الشعبي حسن لقطع يقول في قصيدته (سلف مردود):

كما اللي عند الموالين ورد بالنقضة يوم عمود

وأذكر أني، منذ عدة سنوات مضت، كنت مشاركاً في دراسة حقلية مع قسم الجغرافيا بجامعة بنغازي في منطقة هراوة، بخليج سرت، وكنت أستقي بعض المعلومات التراثية من كبار السن، قابلت شيخاً ناهز الثمانين من عمره، وجلسنا في ضيافته في بيته، نتناول الشاي، ونتجاذب أطراف الحديث عن التراث في منطقة خليج سرت، فسألته عن يوم العمود، فأكد لي أنهم يمنعون الإبل عن ورود الماء خلال أيام العمود الثلاثة، لأن الإبل، إذا شربت خلال تلك الأيام لابد أن تصاب بالمرض والهزال. وكانت زوجته، وهي سيدة عجوز، ناهزت السبعين من عمرها، حاضرة، فتدخلت في الحديث مؤكدة كلام زوجها، وأوردت لتأكيد ذلك كلمات (غناوة علم) تقول: "شاربات يوم عمود.. هن ارمحن وراعيهن اهبل". فقلت لها وما دخل الراعي في الأمر حتى يصاب بالجنون؟ فردت قائلة: "لا يصاب الراعي بأي أذى، فالإبل وحدها هي التي تصاب بالأذى، ولكن قائل هذه الغناوة إنما يقصد إخافة الرعاة حتى لا يقدموا على سقاية الإبل يوم العمود.

بعض الخبراء من المزارعين والرعاة يتنبؤون بموسم المطر في العام القادم، ويقولون: إذا ظهر السحاب خلال صباح اليوم الأول من أيام العمود، يكون ذلك علامة على أن مطر العام المقبل ستكون (بدرية)، أي تسقط في أواخر

الخريف، ويمكنهم ذلك من بذر الحبوب، ويكون الزرع البدري (صابة)، أي غزير النبت والإنتاج، وتنمو الحشائش في المراعي في وقت مبكر، فيكون العام كله عام خير. أما إذا تبدت لهم تلك العلامات، أي المزن والطل في صباح اليوم الثالث، فإن موسم المطر سيتأخر، وسيكون الزرع والعشب ضعيفاً، ولا يكون إنتاجه جيداً، إلا إذا هطلت الأمطار في شهر مارس، أي في فصل الربيع.

ونظراً لأهمية المطر في حياتهم فإن بعضهم يهتم بتلك التنبؤات، حتى أنهم خلال أيام العمود، يضعون لفافة من الصوف فوق البيت، لتكون معرضة للهواء والطل، ويتحسسونها في الصباح الباكر، ليتأكدوا من حدوث الطل أثناء الليل عند الفجر، فإذا احتفظت لفافة الصوف ببعض الرطوبة والبلل استبشروا بذلك. أما إذا هبت خلال تلك الأيام الثلاثة رياح القبلي الجافة فيعتبرون ذلك علامة على شح الأمطار في الشتاء المقبل، وأن العام سيكون جافاً، لا تكفي أمطاره لنمو الزرع والمراعي، أي أنهم سيعانون هم ومواشيهم من شح في الإنتاج، وفقر في أعشاب المراعي خلال الموسم المقبل.

يوم أو أيام (أوسّو)، هي أيام تبدأ يوم 54 من فصل الصيف، وتستمر حتى يوم 59 منه، أي خلال الفترة من 25 إلى 31 يوليو من كل عام. ونلاحظ هنا تزامنها مع أيام العمود. يسمي سكان منطقة زوارة هذه الأيام بموسم (أوِسّو)، ويعتقدون أن السباحة في البحر عند الفجر، كل يوم من تلك الأيام، تشفي من العديد من الأمراض، وغالباً ما يجعلون تلك الأيام أيام راحة

واستجمام. ولابد لي أن أسجل هنا أني لم أشاهد هذه العادة إلا عند سكان زوارة، ولم أشاهدها في أي مكان آخر من ليبيا. وعندما سألت بعض سكان زوارة عن أصل هذه العادة وأسبابها لم أجد لديهم أي تفسير، سوى أنهم توارثوها عن الأجيال الماضية.

يوم أو أيام (المقريطة): هي عادة لم أشاهدها في ليبيا إلا في مدينة درنة في شرق البلاد، وفيها تقام حلقات المديح والذكر في الزوايا، وأحياناً يخرج منتسبو الطرق الصوفية في مواكب، تلتقي في ساحة عند قبور "الصحابة"، وتحضر بعض الأسر الحلوى والمكسرات والمشروبات لتوزيعها خلال تلك الحفلات.

يطلق الليبيون على مثل هذه الأعمال اسم (الأسبار)، ومفردها (سبر)، أي تقليد أو عادة، فهم يقدمون على تنفيذ عمل أو الامتناع عن تنفيذه في أيام معينة، كما سبق أن ذكرنا، بحكم العادة المتوارثة، وكل ذلك يدخل في حيز التخمين والظن المتوارث عبر الأجيال. وما زال بعض كبار السن يقومون ببعض تلك العادات، خاصة في البوادي والأرياف. وقد شاهدت بنفسي خلال خمسينيات وستينيات القرن الماضي من يزاول بعض تلك العادات ويتمسك بها. وهم يزاولونها بحكم العادة، دون دراية أو معرفة بأسبابها ودوافعها وأصولها، ولا يهتمون بتفسيرها، ويقولون إنها مجرد (أسبار)، أي عادات تعارف الناس عليها. وأغلب تلك العادات لا يوجد لها تفسير علمي، ولا تعرف أسسها، ولا من أين جاءت. كان هذا في الماضي القريب، أما في الوقت الحاضر فإن غالبية

الليبيين لا يزاولونها ولا يعرفونها ولا يعلمون عنها شيئا، إلا إذا أخبرهم عنها كبار السن، فقد أصبحت اليوم جزءاً من التاريخ؛ إذ تراجع الكثير من هذه (الأسبار) أمام انتشار العلم والثقافة وزيادة الوعي.

مراحل وأوجه القمر

(الأسابيع)

يمر القمر بمراحل أو محطات رئيسة في دورته خلال شهر قمري كامل، ويستغرق القمر حوالي سبعة أيام للانتهاء من كل مرحلة من تلك المراحل، فسميت المدة الزمنية الفاصلة بين بداية ونهاية كل مرحلة يستغرقها كل وجه من أوجه القمر (أسبوعاً)، وهي تسمية مشتقة من الرقم (سبعة)، وسمى القرآن الكريم تلك المراحل للقمر (منازل) {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}[1].

سبق أن عرفنا كيف اعتمد الإنسان في تحديد اليوم على شروق الشمس وغروبها، وتعاقب الليل والنهار، الناتج عن حركة الأرض حول نفسها. أما تحديد الأسبوع بسبعة أيام فقد ارتبط بتغير أوجه القمر وانتقاله من مرحلة (الهلال) إلى مرحلة (التربيع الأول)، إلى مرحلة (البدر)، إلى مرحلة (التربيع الثاني)، إلى مرحلة (المحاق).

وقد ظهر تقسيم الأسبوع إلى سبعة أيام عند البابليين والكلدانيين وغيرهم من الأمم التي كانت تعبد الكواكب، وكانت النجوم والكواكب المعبودة عندهم في ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشر، هي: 1) الشمس 2) القمر 3) زحل 4)المريخ 5) عطارد 6) الزهرة 7) المشتري. فخصصوا لكل واحد منها يوماً

---

[1] سورة يس، الآية 39

يعبدونه فيه. وبما أن عدد تلك الكواكب كان سبعة، فقد أصبحت أيام العبادة كذلك سبعة، وكلما وصلوا في عبادتهم إلى اليوم السابع، أعادوا الكرة من جديد، وهكذا أخذت الأسابيع تتوالى، حتى أصبحت عادة يقاس بها الزمن.

بعد ذلك خصص الفراعنة والإغريق والرومان سبعة من آلهتهم، وأفردوا لكل واحد منها يوما للعبادة. وقد ورد في الكتب السماوية: التوراة والإنجيل والقرآن أن الله –سبحانه وتعالى– خلق الكون في ستة أيام، وفي اليوم السابع استراح!! ثم صحح القرآن الكريم ذلك في الآية التي تقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}[1].

والثابت عند أغلب المؤرخين أن البابليين هم أول من حدد عدد أيام الأسبوع بسبعة أيام، وعنهم أخذ أهل الحضارات الأخرى. وقد قسموا الشهر إلى أربعة أقسام، تتفق مع أوجه القمر، فالشهر القمري يبدأ نصفه الأول ببزوغ الهلال، وينتهي باكتمال البدر، ثم يبدأ النصف الثاني من الشهر باكتمال البدر وينتهي باختفائه، أي مرحلة المحاق. ويكون القمر في منتصف كل واحد من هذين النصفين (تربيعاً). وهكذا قسموا الشهر إلى أربعة أقسام: الأول ما بين الهلال والتربيع الأول، والثاني ما بين التربيع الأول والبدر، والثالث ما بين البدر والتربيع الثاني، والرابع ما بين التربيع الثاني والمحاق. ولاحظوا أن كل

---

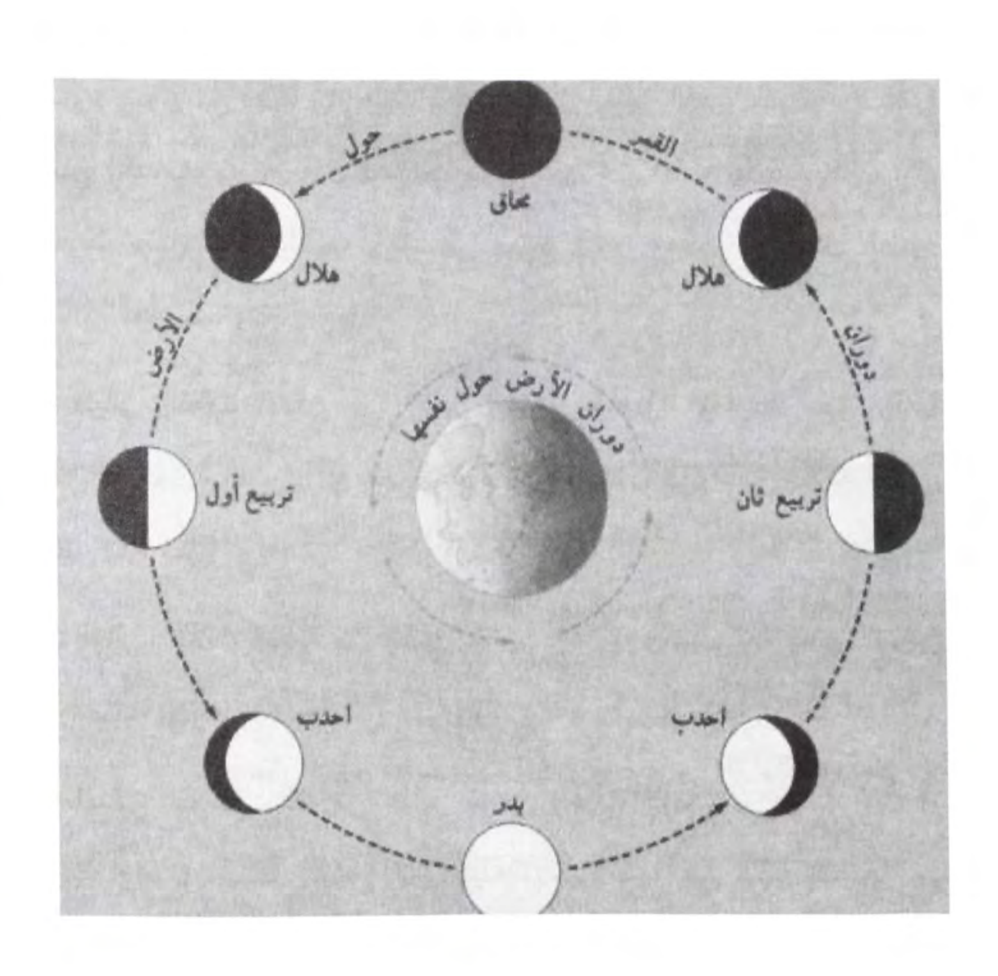
[1] سورة ق، الآية 38

قسم منها يستغرق حوالي سبعة أيام. وهكذا اكتشفوا أن دورة القمر تستغرق حوالي 30 يوماً، وهي مدة الشهر كاملاً.

تنقسم هذه الدورة إلى أربعة أوجه أو مراحل للقمر، وهي الأسابيع. وبما أن المدة التي يستغرقها القمر في الانتقال من مرحلة إلى أخرى تأخذ من الوقت سبعة أيام تقريباً، فقد جعلوا مدة الشهر القمري 30 يوماً، يليه شهر مدته 29 يوماً وهكذا على التوالي. وهكذا عرف الأسبوع المكون من سبعة أيام في بلاد الرافدين والبلاد المجاورة لها.

شكل رقم (4)

أوجه القمر



جعل الفراعنة، قبل عصر الأسرات، الأسبوع عشرة أيام، لأنهم ربطوه بمواسم الزراعة، ثم عدلوه بعد عصر الأسرات، وبعد بناء الأهرامات إلى سبعة أيام. وكذلك فعل الإغريق والرومان الذين جعلوا الأسبوع ثمانية أيام، ثم عدلوه أيضاً إلى سبعة أيام. وكان العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية يجعلون الأسبوع يتكون من ثلاثة أيام فقط، بحيث يتكون الشهر القمري لديهم من عشرة أسابيع (أقسام)، ويتكون كل قسم أو أسبوع منها من ثلاث ليال، يعطون لكل مجموعة منها اسماً خاصاً، يرمز إلى وضع القمر ومقدار أو شكل الضوء الصادر عنه، كما يلي:

الليالي الثلاث الأولى من الشهر وتسمى (غُرراً)، ومفردها غُرّة، والغُرة بياض في جبهة الفرس، أي أنهم شبهوا ضوء الهلال في أيامه الثلاثة الأولى ببياض غرة الفرس.

الليالي الثلاث الثانية من الشهر تسمى (نُفَلاً)، والتنفل لغة يعني المبادرة إلى العطية تطوعاً وإحساناً، أي الهبة، وكأن القمر يهبهم مزيداً من الضوء.

الليالي الثلاث الثالثة من الشهر تسمى (بُهْراً)، لأنها تبهر ظلمة الليل أو تجليها، وتسمى أيضاً (تسعاً) لأن الليلة الأخيرة فيها هي الليلة التاسعة من الشهر.

الليالي الثلاث الرابعة من الشهر تسمى (عُشراً)، لأن أول ليلة فيها هي الليلة العاشرة من الشهر.

الليالي الثلاث الخامسة من الشهر تسمى (بيضاً)، لأنها تكون كلها مضاءة بنور القمر، الذي يصل إلى مرحلة البدر.

الليالي الثلاث السادسة من الشهر تسمى (دُرعاً)، والدرعاء، عند العرب القدامى، هي الشاة التي اسود رأسها وابيض باقي جسمها.

الليالي الثلاث السابعة، من الشهر تسمى (ظُلَماً)، لأن نور القمر يتناقص خلالها، ويغلب عليها الظلام.

الليالي الثلاث الثامنة من الشهر تسمى (حنادِس)، والحِنْدِس هي الظلمة، فالحنادس تعني الليالي المظلمة.

الليالي الثلاث التاسعة من الشهر تسمى (دَآدِئْ)، والدَّآدي صفة لنوع من سير الإبل، تقدم فيها رجلاً، وتتبعها مباشرة الرجل الأخرى، تتعجل وصولها، وفي ذلك إشارة إلى قرب نهاية الشهر القمري.

الليالي الثلاث العاشرة من الشهر هي آخر لياليه، تسمى (مِحاق)، لأن القمر يصل خلالها إلى مرحلة المحاق، معلناً نهاية الشهر القمري.

غير أن العرب، مثلهم مثل غيرهم من الأمم، أبطلوا العمل بهذا النظام، واعتمدوا الأسبوع السبعي، المكون من سبعة أيام، بدلاً من ثلاثة أيام. وفي أيامنا هذه يستعمل العالم كله نظام الأسبوع السبعي، أي المكون من سبعة أيام. وقد اشتق اسم الأسبوع في اللغة العربية من الرقم سبعة، وهو عدد أيام الأسبوع، كما هو الحال في العديد من اللغات الأخرى. والرقم سبعة يعد رقماً

مفضلاً عند المسلمين، وينظرون إليه بنظرة فيها شيء من التقديس، فالسماوات سبع، والأراضين سبع {بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}[1]، ورؤيا فرعون التي فسرها يوسف عليه السلام، ترتبط برقم سبعة {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ}[2]، وأشواط الطواف والسعي في الحج والعمرة سبعة، إلى غير ذلك من المعاني والقيم الإسلامية التي تفضل الرقم سبعة.

وفي تراثنا الليبي يحظى الرقم سبعة بتقدير واهتمام خاص، فأيام الفرح سبعة، آخرها يوم أسبوع العرس، حيث تنتهي احتفالات ومراسم العرس، ويتقبل العروسان في بيتهما الزوار والمهنئين من الأهل والأقارب والأصحاب. وبعد ذلك اليوم يبدؤون مزاولة حياتهم الاعتيادية في الأسرة الجديدة. كذلك تنتهي أيام المأتم في اليوم السابع (يوم أسبوع العزاء)، حيث يخرج أهل المتوفى لزيارة القبر، يقرؤون بعض آيات القرآن الكريم، ويدعون للمتوفى بالرحمة والمغفرة، ثم يعودون إلى مزاولة حياتهم العادية. وهناك بعض المقولات في التراث الليبي القديم، مثلا (نقطع وراه سبع بحور)، دليلاً على التصميم والإصرار على البحث عن شخص أو شيء ما، وضرورة الوصول إليه، وختم العجائز رواية القصص (الخراريف) بعبارة (وسبع ايام وسبع ليالي ما ياكلوا الا من دار السلطان الكريمة، وعاشوا في ثبات ونبات، وخلفوا صبيان وبنات). ويقولون في الحديث

---

[1] سورة النبأ، الآية 12

[2] سورة يوسف، الآية 43

الدارج إن ذلك (من سابع المستحيلات)، أي لا يمكن تحقيقه، أو يستحيل الوصول إليه. ويكون آخر يوم من أيام الاحتفال بالمولود الجديد اليوم السابع، بعد ميلاده، وهو يوم (السبوع) ..إلى غير ذلك مما تزخر به مأثورات التراث الليبي القديم من تقدير وتبجيل الرقم سبعة والتفاؤل به. وهذا الرقم في الأصل هو عدد أيام الأسبوع.

توالي ظهور الشمس والقمر

الأشهر

أولاً – الأشهر الشمسية:

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}[1] صدق الله العظيم. إن حساب الشهور عند كل الأقوام والشعوب من الصين شرقاً إلى أمريكا اللاتينية غرباً مبني على تغير مواقع القمر والشمس، كما يراها الناس على كوكب الأرض، فمنذ فجر الحضارة الإنسانية، عندما بدأ الإنسان يرصد حركة الشمس وحركة القمر ، وبدأ يحدد بمقتضاها حساب الشهور إلى يوم الناس هذا، والشهور جميعها لا تخرج عن كونها شهوراً قمرية أو شهوراً شمسية. فعندما وصل الإنسان قديماً إلى مستوى من الفهم والعلم يؤهله لاستطلاع وفهم ما يشاهده من (حركة الشمس) و(حركة القمر)، تمكن من رصد تلك الظواهر والتحركات وتكرارها وانتظامها، واقتنع بأنها تصلح معياراً لقياس الوقت.

كان الإنسان القديم الذي عاش على ضفاف دجلة والفرات وعلى ضفاف النيل سبّاقاً إلى استعمال ذلك المقياس للزمن. ويؤكد الدارسون المختصون في دراسة آثار الحضارات القديمة أن الفراعنة في وادي النيل والبابليين في بلاد الرافدين والسومريين والأكاديين عرفوا حساب الأشهر القمرية منذ الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح –عليه السلام–، فقد قسموا السنة إلى اثني عشر شهراً،

---

[1] سورة الرحمن، الآية 5

وحددوا دورة الشهر الواحد بالفترة الزمنية الفاصلة بين هلالين متواليين؛ إذ يبدأ الشهر بيوم مشاهدتهم الهلال في أول بزوغ له، ويبدأ الشهر الذي يليه بظهور الهلال مرة أخرى، فكانت مدة الشهر تتحدد مرة بثلاثين يوماً ومرة أخرى بتسعة وعشرين يوماً، ويكون مجموع أيام الاثني عشر شهراً 354 يوماً، هي مجموع أيام السنة القمرية. وبذلك يكون أول تقويم عرفه الإنسان هو التقويم القمري، وعرف التقويم الشمسي في وقت لاحق.

تحديد الأشهر الشمسية:

نعلم أن الإنتاج الاقتصادي لسكان وادي النيل وسكان وادي الرافدين قديما اعتمد على الزراعة، خلال عصور طويلة، عاشتها الحضارات القديمة في هذه الوديان النهرية الكبرى. ولهذا لاحظ أهل تلك الحضارات أن مواسم الحرث والحصاد ومواسم الغراس وجني الثمار، لا تتطابق بشكل منتظم مع شهور السنة القمرية، بل تتوافق مع تغير المناخ في فصول محددة من السنة، بدت لهم أنها تخضع لحركة الشمس، وتوصلوا إلى معرفة أن الشمس في دورتها تتوافق مع حركة الكواكب التي أطلقوا عليها اسم (البروج). وعلى الرغم من اختلاط علم الفلك عندهم بالتنجيم والمعتقدات الخرافية، فقد ثبت لديهم أن دورة الشمس، التي هي في الواقع دورة الأرض حول الشمس[1]، تتم في مدة تنتقل

---

(1) جرت العادة أن نقول (دورة الشمس) ولكنها في الحقيقة هي دورة الأرض حول الشمس. لكن القدماء الذين رصدوا هذه الحركة، وتمكنوا من تحديد مراحلها في مواقع معينة أطلقوا عليها اسم البروج، وحددوا مواقعها ومواقيتها حسب الهيئة التي كانت تبدو لهم وهم يشاهدونها من مراصدهم على الأرض.

فيها الشمس بين البروج، وتستغرق حركتها من برج إلى آخر حوالي ثلاثين يوماً. وبما أن مواقع البروج تتكون من اثني عشر موضعاً، فقد قسموا السنة إلى اثني عشر شهراً.

وتلك البروج هي نفسها البروج المعروفة اليوم وتتوزع كالآتي:

برج الحمل	من 21 مارس إلى 20 أبريل
برج الثور	من 21 أبريل إلى 20 مايو
برج الجوزاء	من 21 مايو إلى 20 يونية
برج السرطان	من 21 يونية إلى 20 يوليو
برج الأسد	من 21 يوليو إلى 20 أغسطس
برج العذراء	من 21 أغسطس إلى 20 سبتمبر
برج الميزان	من 21 سبتمبر إلى 20 أكتوبر
برج العقرب	من 21 أكتوبر إلى 20 نوفمبر
برج القوس	من 21 نوفمبر إلى 20 ديسمبر
برج الجدي	من 21 ديسمبر إلى 20 يناير
برج الدلو	من 21 يناير إلى 20 فبراير
برج الحوت	من 21 فبراير إلى 20 مارس

من الطريف أن هذا التقسيم للبروج، الذي تطور إلى تقسيم السنة إلى 12 شهراً، واستعمل كوسيلة لقياس الزمن، استمر محفوظاً في ذاكرة الشعوب

كوسيلة للتنجيم وأداة للتنبؤ بالمستقبل، واحتفظت البروج بأسمائها القديمة التي عرفت بها منذ قرون حتى وقتنا هذا. فقد نظم الشيخ نصيف اليازجي مقامة سماها (الفلكية)، وردت من ضمنها هذه الأبيات التي تحصي البروج الفلكية بأسمائها:

من البروج في السماء الحمل تنزل فيه الشمس أو تعتدل

والثور والجوزاء نعم المنزلة وسرطان أسد وسنبلة

كذلك الميزان ثم العقرب قوس وجدي ودَلْوِ حوت يشرب

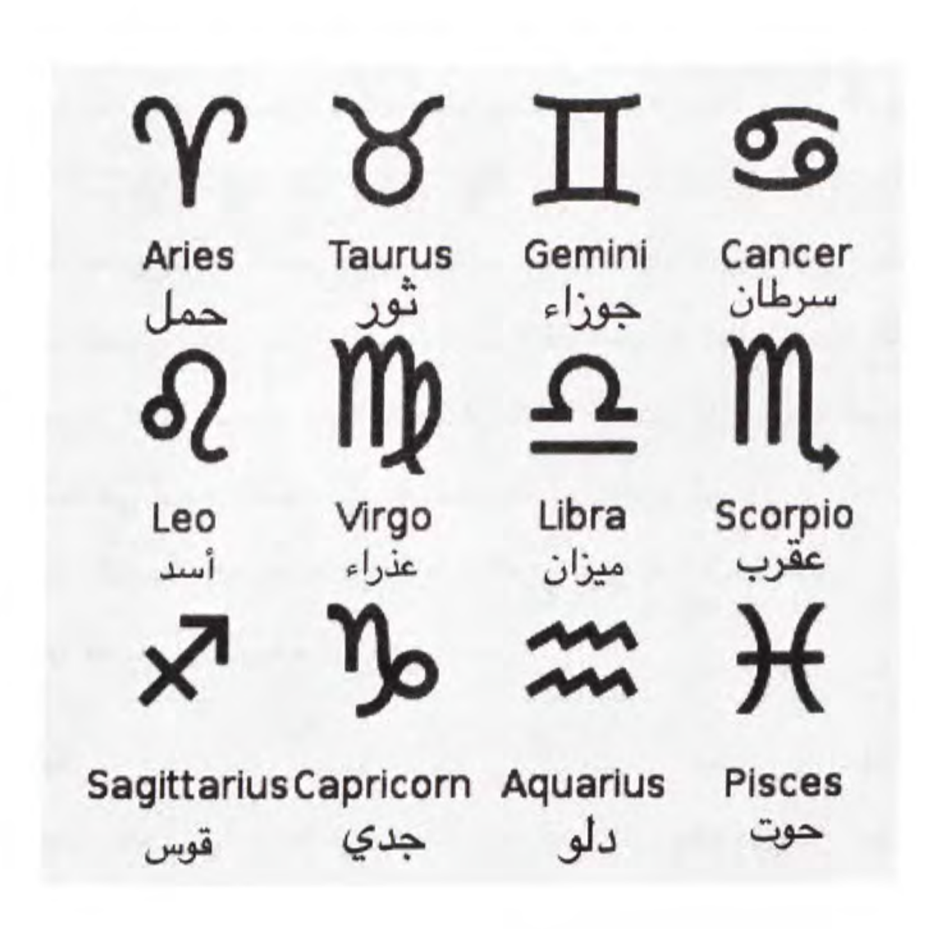
وعلى الرغم من أن الديانات السماوية أنكرت التنجيم، فإن رواسب المعتقدات الوثنية القديمة بقي لها بعض التأثير في عقول الناس حتى العصر الحاضر، ولم يعد التنجيم جزءاً من المعتقدات الدينية، ولكنه أصبح عادة يزاولها بعض الناس كهواية وتقليد من تقاليد التراث الإنساني. وقلما نجد في وقتنا الحاضر مجلة من المجلات على اختلاف اتجاهاتها ولغاتها، تخلو من جدول الأبراج، يتنبأ بالأحداث التي ستمر في حياة الناس، كل حسب البرج الذي ولد فيه.

من تصنيف هذه الأبراج جاء تقسيم السنة إلى اثني عشر شهراً، بعدد البروج الفلكية، ومدة كل شهر شمسي هي المدة التي تستغرقها الشمس في الانتقال من برج إلى البرج الذي يليه، وهي ثلاثون يوماً. وهكذا توصلت الحضارة الإنسانية قديما في كل من وادي النيل ووادي الرافدين إلى تقسيم السنة إلى 12 شهراً، يستوي في ذلك الحساب القمري والحساب الشمسي. ومن

الطبيعي أن تلائم الأشهر الشمسية مواعيد ومواسم الزراعة، فصارت مع مرور الزمن أكثر استعمالاً، وأكثر رسوخاً، وبدأت الأشهر بمسمياتها الفرعونية القديمة، ثم اكتسبت بعد ذلك أسماءها القبطية المعروفة بها اليوم، كما تواصل استعمال الأشهر الشمسية في بابل، بعد أن وفق البابليون بينها وبين الأشهر القمرية،

شكل رقم (5)

الأبراج الفلكية



بنظام الكبس لتضييق الفارق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، ذلك الفارق الذي يبلغ تسعين يوماً في كل ثماني سنوات، أي أحد عشر يوماً في السنة تقريباً[1]، فأضافوا شهراً في بعض السنوات ليتمكنوا من التوفيق بين الأشهر القمرية والأشهر الشمسية، ولكي يجعلوا الأشهر القمرية تتفق مع مواسم الزراعة وتغير المناخ في الفصول بشكل منظم ثابت. وقد انتقل هذا النظام لأشهر السنة إلى بقية شعوب بلاد الرافدين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية. وقد تغيرت بعض أسماء الأشهر البابلية لتأثرها بلغات الأقوام الذين انتقلت إليهم، ومنهم السريان سكان سوريا القدماء. وعن اللغة السريانية انتقلت أسماء تلك الشهور إلى اللغة العربية. ولهذا نلاحظ في الوقت الحاضر أن الأسماء العربية الخاصة هي أسماء الأشهر القمرية المستعملة في التقويم الهجري. أما أسماء الأشهر الشمسية المستعملة في الوطن العربي فهي إما قبطية معربة، أو سريانية معربة، أو لاتينية معربة وهي كالتالي:

---

[1] تتكون السنة الشمسية من 365 يوماً و5 ساعات و48 دقيقة و46 ثانية، وهي المدة الفاصلة بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة الاعتدال الربيعي. أما مدة السنة القمرية فهي 354 يوماً و8 ساعات و48 دقيقة، وهي المدة الفاصلة بين ظهور هلالين متواليين اثنتي عشرة مرة.

ترتيب الشهر	أسماء الأشهر الشمسية المعربة عن اللاتينية	أسماء الأشهر الشمسية المعربة عن السريانية	أسماء الأشهر الشمسية المعربة عن القبطية
الشهر الأول	يناير	كانون ثان	توت
الشهر الثاني	فبراير	شباط	بابة
الشهر الثالث	مارس	آذار	هاتور
الشهر الرابع	أبريل	نيسان	كيهك
الشهر الخامس	مايو	أيار	طوبة
الشهر السادس	يونيو	حزيران	أمشير
الشهر السابع	يوليو	تموز	برمهات
الشهر الثامن	أغسطس	آب	برمودة
الشهر التاسع	سبتمبر	أيلول	بشنس
الشهر العاشر	أكتوبر	تشرين أول	بؤونة
الشهر الحادي عشر	نوفمبر	تشرين ثان	آبيب
الشهر الثاني عشر	ديسمبر	كانون أول	مسرى

هذه هي الأشهر المستعملة في التقويم الشمسي (الميلادي) في البلاد العربية اليوم، فالأشهر المنقولة عن اللاتينية تستعمل في أقطار الشمال الأفريقي والجزيرة العربية، والأشهر المنقولة عن السريانية تستعمل في بلاد الشام والعراق، والأشهر المنقولة عن القبطية تستعمل في مصر والسودان، إلى جانب الأشهر اللاتينية. وهذه الأشهر الشمسية، بمختلف مسمياتها، تستعمل في توقيت المواسم الزراعية، وفي تحديد المناسبات والأعياد الدينية للنصارى

من العرب. أما توقيت المناسبات الدينية الإسلامية فيحدد عن طريق الأشهر القمرية (الهجرية). ونستعرض الآن نبذة مختصرة عن هذه الأشهر.

1)الأشهر المنقولة عن السريانية:

الأشهر الشمسية المعربة عن السريانية أشهر بابلية الأصل، انتقلت إلى السريانية، ومنها إلى العربية، وفي ذلك يقول أبو الريحان البيروني: "وإن أهل سوريستان، أي بلاد الشام، وكانوا قبل الإسلام نصارى، فهم الذين أوجدوا هذه الأسماء، وتوسطوا بين الروم واليهود بهذه الأشهر"[1]. وهذه الأشهر هي:

كانون الثاني: والكانون في اللغة العربية هو الموقد الذي توقد فيه النار للتدفئة، ومنه اشتقت تسمية الكانونين: كانون الأول الذي يكون في نهاية العام، وكانون الثاني الذي يكون في بداية العام. وهما شهران يقعان في وسط فصل الشتاء، وهما أشد أشهر السنة برودة في المنطقة العربية، أي في الفترة التي تكون التدفئة فيها ضرورية. وهناك رِأي يقول إن اسم الكانونين اشتق من فعل (كَّن) أي ثبت واستقر، لأن الناس خلال هذين الشهرين يعطلون أغلب أعمالهم، ويكنون في بيوتهم. وربما يكون كلا التفسيرين صحيحاً، لأن اسم هذا الشهر في الأصل، أي في اللغة البابلية القديمة (طبتو)، وهو لفظ بعيد في نطقه عن لفظ كانون. ومدة هذا الشهر 31 يوماً.

---

[1] أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية من القرون الخالية، دار صادر، بيروت، ص59.

شباط: لفظ مشتق من اسمه في البابلية القديمة (سباتو) أو (شاباطو)، وهو اسم إله العواصف والزوابع عند البابليين القدماء. ولفظ (شبط) في اللغة السريانية يعني هبوب الرياح القوية، ويعني كذلك الضرب بالسياط أو الجلد. وقد أطلق هذا الاسم على الشهر الثاني من السنة لاشتداد الرياح والعواصف فيه. وعدد أيام هذا الشهر 28 يوماً في السنة البسيطة، المكونة من 365 يوماً، و29 يوماً في السنة الكبيسة المكونة من 366 يوماً.

آذار: مشتق من اسمه في اللغة البابلية القديمة (أدارو)، وكان مخصصاً عند البابليين لعبادة الإله آشور، كبير الآلهة، وكانوا يصفونه بأنه شهر الخير والبركة، لأهمية أمطاره وفائدتها للزرع. وتعني كلمة (آدار) في اللغة السريانية النور والإشراق، وسمي بها هذا الشهر لأنه يأتي في بداية أشهر الربيع وبداية سطوع الشمس لفترات طويلة من النهار، ومدته 31 يوماً.

نيسان: مشتق من اسمه في اللغة البابلية القديمة (نيسانو)، وتعني البداية، لأن السنة الدينية عندهم كانت تبدأ يوم 21 من هذا الشهر، وهو يوم الاعتدال الربيعي. وتعني لفظة نيسان في اللغة السريانية اخضرار الأعشاب ونموها، ومدته 30 يوماً.

آيار: مشتق من اسمه في البابلية القديمة (أيارو)، وهي كلمة تعني تفتح الأزهار. وكلمة أيار في اللغة السريانية تحمل المعنى نفسه، وتعني أيضاً الربيع. وما زال أهل بلاد الشام إلى اليوم يقولون (نيسان يأتي بالأمطار وآيار يأتي بالأزهار). ومدته 31 يوماً.

حزيران: هو لفظ في اللغة السريانية يعني الحصاد، ويعني كذلك السنابل. وسمي هذا الشهر بهذا الاسم لأنه يوافق موسم الحصاد. وهو لفظ لا يتوافق مع اسمه البابلي القديم (سيمانو). ومدة هذا الشهر 30 يوماً.

تموز: مشتق من اللفظ السرياني القديم (دوموزي)، وهو اسم أحد الآلهة المشهورة في العالم القديم، فقد عرفه الفينيقيون باسم (أدونيس) أو (تموز)، وهو زوج عشتروت إلهة الأمومة والخصوبة، وعرفه الفراعنة باسم (أزوريس). ومدة هذا الشهر 31 يوماً.

آب: مشتق من التسمية البابلية القديمة (آبو)، وتعني النبات. ولفظة آب في اللغة السريانية تعني الغلال والثمار الناضجة، ومنها اشتقت اللفظة العربية (أبّ) وتعني الزرع والعشب. وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، فهو الشهر الذي تنضج فيه الغلال والفواكه. وهو من أكثر شهور السنة حرارة في المنطقة العربية، ويصفونه في بلاد الشام بأنه (آب اللهاب). ومدته 31 يوماً.

أيلول: مشتق من التسمية البابلية القديمة (أولولو). وكلمة أيلول في اللغة السريانية تعني العويل والنواح. وفي اللغة العربية أيضاً (وَلّ) بمعنى العويل والصراخ. وقد سمي أيلول بهذا الاسم لأنه كان مخصصاً للإلهة عشتروت في الديانات الشرقية القديمة، ففي هذا الشهر كانت تقام المآتم والمناحات على الإله تموز. ومدة هذا الشهر 30 يوماً.

تشرين الأول – تشرين الثاني: اسما هذين الشهرين مشتقان من التسمية البابلية القديمة (تشريتو)، وكلمة (تشراي) في اللغة السريانية تعني الشروع في الشيء والأمر أو البداية فيه. وهذان الشهران كانت تبدأ بهما السنة السريانية، التي تبدأ عادة مع بداية موسم الحرث، فتشرين الأول بداية موسم الحرث، وبداية السنة السريانية. ومدته 31 يوماً. وتشرين الثاني مواصلة موسم الحرث، وهو الشهر الثاني من السنة السريانية. ومدته 30 يوماً.

كانون الأول: ينطبق عليه ما ينطبق على كانون الثاني، ولكنه يأتي في آخر العام لا في أوله. فقد كانت السنة عند السريان تبدأ بشهر تشرين الأول، ولكنهم عندما وفقوا بين سنتهم والسنة الشمسية عند الروم تغير ترتيب الشهور السريانية المعربة، وأصبحت تبدأ بشهر كانون الثاني، فأصبح كانون الأول هو آخر شهور السنة الشمسية، ومدته 31 يوماً.

استعمل سكان العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن هذه الشهور السريانية المعربة، قبل ظهور الإسلام، واستمروا في استعمالها بعد انتشار الإسلام بينهم، إلى جانب الأشهر القمرية في التقويم الهجري، ويستعملها العرب المسيحيون في تحديد مواعيد أعيادهم الدينية والمدنية، وفي تحديد مواسم الزراعة وما يتعلق بها من أحوال المناخ وتغيراته. أما العرب المسلمون فيحددون مواعيد أعيادهم ومناسباتهم الدينية بحساب الأشهر القمرية في التقويم الهجري، ويستعملون الأشهر السريانية المعربة في مجال الزراعة وفي سائر أمور حياتهم. فقد اعتاد سكان تلك البلاد في المشرق العربي على التوقيت

بالأشهر السريانية المعربة، لأنهم عرفوها منذ زمن طويل، يمتد إلى فترة ما قبل الإسلام، فالعديد من الوثائق والكتب العربية الإسلامية القديمة استعملت هذه الأشهر بأسمائها المعروفة بها اليوم، فالشاعر المشهور في العصر العباسي (أبو نواس) يقول:

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

وقال أيضاً:

برد الماء وطال الليل والتذ الشراب ومضى عنك حزيران وتموز وآب

2) الأشهر القبطية المعربة:

الأسماء القبطية لأشهر السنة الشمسية لا تستعمل إلا في مصر والسودان، وهي متوارثة منذ القدم، أي قبل الفتح الإسلامي، وقد اشتقت أسماء بعضها من أسماء الآلهة الفرعونية القديمة، كما اشتق بعضها الآخر من بعض الأسماء والتعبيرات الفرعونية، ومن أسماء مواسم الزراعة، لأنها استعملت في الماضي، ولا تزال تستعمل حتى الآن في تحديد مواسم البذر والزرع والحصاد، ومراحل فيضان نهر النيل. ولهذا السبب استمر استعمالها في مصر والسودان إلى جانب استعمال الأشهر القمرية الهجرية والأشهر الشمسية الميلادية المنقولة عن اللاتينية.

عدد الأيام في كل شهر من الشهور القبطية ثلاثون يوماً، فيكون عدد أيام السنة القبطية 360 يوماً، يضاف إليها خمسة أيام في السنة العادية، وستة أيام

في السنة الكبيسة، لتتساوى مع أيام سنة التقويم الميلادي. و تصنف الأشهر القبطية حسب التصنيف التالي:

شهر توت: هو الشهر الأول من السنة القبطية، التي تبدأ يوم 11 سبتمبر (أيلول). واسم هذا الشهر مشتق من اسم الإله الفرعوني (تحوت)، ويحتفل الأقباط في أول يوم من توت بعيد رأس السنة القبطية، أي في اليوم الحادي عشر من الشهر التاسع من السنة الميلادية.

شهر بابة: واسم هذا الشهر مشتق من اسم الإله الفرعوني (حهبي) أو (حابي)، وهو أبو الآلهة عندهم، لأنه يرمز إلى نهر النيل، ويبدأ هذا الشهر يوم 11 أكتوبر.

شهر هكتور: مشتق من اسم الإلهة الفرعونية (حاتور)، إلهة الحب والرقص والموسيقا. ويبدأ هذا الشهر يوم 10 نوفمبر.

شهر كيهك: يقول بعض المؤرخين إنه لفظ مشتق من اسم عيد اجتماع الأرواح الذي يرمز له الفراعنة بالثور المقدس، أي الإله (كاهاكا). ويبدأ هذا الشهر يوم 10 ديسمبر.

شهر طوبة: وكلمة (طوبة) في لغة المصريين القدامى تعني القمح، الذي يرمزون له بإله المطر عند الفراعنة، وهو الإله (طوبيا). ويبدأ هذا الشهر يوم 10 يناير.

شهر أمشير: أمشير كلمة تعني في اللغة الفرعونية القديمة تحرك الرياح أو مثير الزوابع، وهو الإله الفرعوني (مسير). ويبدأ هذا الشهر يوم 9 فبراير.

شهر برمهات: يقول بعض المتخصصين في تاريخ الفراعنة إن اسم هذا الشهر مشتق من اسم الفرعون (امنحوتب الرابع)، أو الإله (بامونت)، إله الحرارة. ويبدأ يوم 9 مارس.

شهر برمودة: هو اسم الإلهة (برمودة)، إلهة الفناء والموت عند الفراعنة، وفيه ينتهي موسم الزرع. يبدأ هذا الشهر يوم 10 أبريل.

شهر بشنس: يقول بعض المؤرخين إن اسم هذا الشهر القبطي مشتق من اسم إله الظلام وهو (خِنْسو) أو (باجنس) في معتقدات الفراعنة القديمة. وأول يوم في هذا الشهر يوافق يوم 9 مايو.

شهر بونة أو بؤونة: اسم هذا الشهر مشتق من الكلمة الفرعونية القديمة (بي آنت)، وتعني الصخور. وقد تكون مشتقة من كلمة (بالوني)، اسم إله المعادن عند الفراعنة. ولهذا يعرف هذا الشهر باسم (بؤونة الحجر) . ويبدأ يوم 8 يونية.

شهر أبيب: هو اسم مشتق من اسم الإله الفرعوني (آبيبي). وفي هذا الشهر يحل عيد الفرح الذي يقيمه الفراعنة بمناسبة انتقام الإله (حورس) من عمه (ست). ويبدأ هذا الشهر يوم 8 يوليو.

شهر مسرى: وهو نطق محرف للكلمة الفرعونية (مس رع)، التي تعني ولادة إله الشمس. وأول أيام هذا الشهر هو يوم 7 أغسطس، ويضيف إليه

المصريون القدامى خمسة أو ستة أيام لكي تتوافق السنة القبطية مع السنة الشمسية الميلادية.

استعمل الفراعنة هذه الأشهر لتحديد مواسم الزرع والحصاد، ولتوقيت فيضان نهر النيل، الذي يعتمدون على مائه في زراعتهم، كما كانوا يحددون بهذه الأشهر أعيادهم ومواقيت عباداتهم. وما زال الأقباط المصريون حتى الآن يحددون أوقات أعيادهم بهذه الأشهر، ويستعملها كل الفلاحين المصريين (أقباط ومسلمين) في تحديد مواعيد البذر والحصاد وجني الثمار، وفي كل مجالات نشاطهم الزراعي. وكان بعض بدو الصحراء الغربية والساحل الشمالي في مصر يستعملونها كمواسم زراعية. ويبدو أنها انتقلت عن طريقهم إلى بعض سكان شرق ليبيا، حيث نجد قلة من سكان منطقة البطنان وبعض المناطق شبه الصحراوية في شرق ليبيا تعرف هذه المواسم الزراعية القبطية، ولكنهم في الغالب لا يستعملونها، لأنهم يتبعون في نشاطهم الزراعي التوقيت عن طريق الأشهر الشمسية المعربة عن اللاتينية القديمة، وهم ينطقونها حسب لهجتهم الدارجة، كما سيأتي ذكره فيما بعد. وكدليل على معرفة بعض سكان شرق ليبيا الأشهر القبطية أو بعضها على الأقل، نذكر ورود بعض هذه الأشهر القبطية في الأشعار الشعبية الليبية، مثل قول المرحوم خالد رميلة في قصيدته الشهيرة (بعد مراضها في عفا دير):

بدرية وفورار وامشير على اثر مارسه جن عصايب

فاستعمال الشاعر لاسم شهر (امشير) إلى جانب أسماء بعض الأشهر الشمسية اللاتينية (فورار) و(مارس) يدل على معرفته بمواسم المطر والزرع حسب التقويم القبطي القديم. مع أن ذلك كان نادراً جداً بين سكان ليبيا من المزارعين وغير المزارعين.

هذه الأسماء القبطية للأشهر الشمسية وضعت على أساس أسماء الأشهر الفرعونية القديمة، التي كانت تستعمل في مصر قبل ظهور الديانة المسيحية، ثم بدأ المصريون المسيحيون (الأقباط) يستعملونها، ابتداء من عهد الإمبراطور الروماني (دقليانوس)، الذي اشتهر بتعذيب أتباع الديانة المسيحية واضطهادهم والتنكيل بهم، فبدأ الأقباط العمل بتاريخ وأشهر السنة القبطية القديمة منذ ذلك الوقت، وبالتحديد عام 284 ميلادية، تخليداً لذكرى شهدائهم الذين قضوا على يد ذلك الطاغية الروماني، فالاحتفال بعيد رأس السنة القبطية يمثل أيضاً الاحتفال بذكرى الشهداء من أتباع الديانة المسيحية. وهكذا يحمل الاحتفال بعيد رأس السنة القبطية معنيين: الأول تقويمي، بانتهاء سنة وبداية سنة جديدة، والثاني ديني عقائدي بتخليد ذكرى من افتدوا الديانة المسيحية بأرواحهم.

3-الشهور اللاتينية (الرومانية) المعربة:

تستعمل الأشهر الشمسية اللاتينية المعربة في البلاد العربية التي لا تستعمل الأشهر السريانية أو الأشهر القبطية المعربة، كما هو الحال في كل بلاد المغرب الغربي وبعض البلاد العربية الأخرى. ونظراً لانتشار النفوذ الروماني قديماً، ثم النفوذ الأوروبي حديثاً، فإن الأشهر ذات الأصل اللاتيني

أصبحت معروفة في كل أرجاء الوطن العربي، بما في ذلك الأقطار التي تستعمل الأشهر القبطية القديمة، أو الأشهر السريانية القديمة.

في ليبيا، كما هو الحال في كل الشمال الأفريقي، عرف الناس استعمال الأشهر اللاتينية منذ فترة الحكم الروماني القديم، واستمر استعمالها إلى وقتنا الحاضر باعتبارها أشهراً شمسية، تحدد بواسطتها مواسم الزراعة ومواعيد تغيرات الطقس. وفيما يلي استعراض موجز لهذه الشهور ذات الأصل اللاتيني الروماني:

1- **يناير**: أطلق عليه الرومان هذا الاسم، وهو اسم إله الشمس عندهم (حانوس أو يانوس JANUS)، وقد صوروه بوجهين متعاكسين، وقالوا إنه يتجه بوجه ليودع الشمس التي مضت، ويتجه بالوجه الآخر لاستقبال العام الجديد. ويقول بعض المؤرخين إن معبد الإله (يانوس) كان له اثنا عشر باباً، بعدد شهور السنة، تفتح في أيام الحروب ليزوره الناس طلباً لدعمه لهم ضد أعدائهم. وفي فترة لاحقة من التاريخ كانت أبواب المعبد تفتح في أول يوم من شهر يناير من كل سنة، ليزوره الناس، ويتبادلون الهدايا مستبشرين بحلول العام الجديد. تلك كانت البداية بالاحتفال المعروف اليوم باحتفال عيد رأس السنة الميلادية. وعدد أيام هذا الشهر 31 يوماً.

2-**فبراير**: اشتق اسمه من الكلمة اللاتينية (فيبروم FEBRUM)، وتعني الكفّارة أو المغفرة، وهو اسم يطلق على عيد التطهير أو التقديس عند الرومان،

لأن الرومان قبل المسيحية كانوا يحتفلون في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر بعيد يسمونه عيد التطهير، فيتطهرون فيه روحياً بالتوبة والاستغفار عن ذنوبهم، كما كانوا يغتسلون فيه وينظفون ملابسهم وأثاثهم وبيوتهم. أما أهل مدينة روما فكانوا يحتفلون فيه، زيادة عن ذلك، بما يسمونه (عيد الذئبة)، أي الذئبة الخرافية التي أنقذت (روموس ورومولوس) وأرضعتهما من لبنها، وهما اللذان قاما ببناء مدينة روما كما تقول الأساطير. وكان الرومان قبل ذلك يخصصون هذا الشهر لعبادة الإله نبتون (NEPTUNE)، إله البحر والماء، ويرمزون إليه بصورة امرأة تحمل في يدها بطة، وبجانبها نبع يتدفق منه الماء. وعدد أيام هذا الشهر 28 يوماً في السنة البسيطة، و29 يوماً في السنة الكبيسة.

3-**مارس:** اشتق اسم هذا الشهر من اسم الإله (مارس MARS) عند الإغريق القدامى، وهو اسم كوكب المريخ. وكان هذا الشهر أول شهور السنة عند الرومان، واستمر كذلك إلى أن تقرر أن تبدأ السنة الميلادية بشهر يناير، واستمرت بعض الشعوب الأوروبية تبدأ السنة الميلادية بشهر مارس إلى فترة العصور الوسطى. ففي فرنسا -على سبيل المثال- كان هذا الشهر هو بداية العام الميلادي، إلى أن قرر الملك شارل التاسع في سنة 1564م أن تبدأ السنة الميلادية بشهر يناير، أسوة ببقية شعوب أوروبا. وعدد أيام هذا الشهر 31 يوماً.

4-**أبريل:** اشتق اسمه من كلمة (APRICE) اللاتينية، وتعني تفتح الأزهار، وكان الإغريق القدامى يخصصونه لتقديس إلهة الحب والجمال فينوس

(VENUS)، لاعتقادهم أنها كانت تفتح أبواب السماء في هذا الشهر، ليصل ضوء الشمس إلى الأرض، بعد أن كانت محتجبة أثناء فصل الشتاء، وذلك لتخضر الأرض، وتتفتح الأزهار في الربيع. وقد ارتبط باليوم الأول من هذا الشهر التقليد الذي اشتهر باسم (كذبة أبريل)، ويؤكد بعض المؤرخين أن هذه الطرفة جاءت من الهند، حيث اعتاد الهنود منذ القدم الاحتفال بعيد (الهولي) في اليوم الأخير من شهر مارس، واليوم الأول من شهر أبريل من كل عام. وكانت تسليتهم المفضلة في ذلك العيد هي أن يدبر كل واحد منهم لصديقه بعض "المقالب والخدع". ثم انتقلت هذه العادة في مطلع القرن الثامن عشر إلى أوروبا، ومنها انتشرت في بقية أرجاء العالم.. وعدد أيام هذا الشهر 30 يوماً.

5- **مايو:** أطلق على هذا الشهر اسم الإلهة (مايا MAIA)، إلهة النمو والخصوبة عند الرومان القدامى، الذين كانوا يحتفلون بالحصاد وجني الثمار في هذا الشهر، ويقدمون القرابين للإلهة مايا. وفي العصر الحديث اتخذ أول أيام هذا الشهر عيداً للعمال، تخليداً لذكرى قمع المظاهرات والإضرابات العمالية التي حدثت في مدينة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، التي قضى فيها عدد من العمال، وفقدوا حياتهم، في سبيل نيل حقوقهم العمالية، التي لم يكن معترفاً بها قبل ذلك.. وعدد أيام هذا الشهر 31 يوماً.

6-**يونية:** سمي هذا الشهر باسم الإلهة جونيو (JUNIUS) الرومانية، تمجيداً لها، فكانت بعض الشعوب الأوروبية تسميه شهر الجفاف، أو شهر

الصيف، لأن الانقلاب الصيفي أو الرجوع الصيفي يحدث في اليوم الحادي والعشرين منه. وعدد أيامه 30 يوماً.

7-**يوليو**: سمي هذا الشهر باسم الإمبراطور الروماني الشهير يوليوس قيصر (JULIUS CEASER)، عام 44 ق.م. لأن هذا الإمبراطور ولد خلال هذا الشهر، وكان قبل ذلك يعرف باسم الشهر الخامس (QUINTILIS)، وهو ترتيبه في الأشهر عند الرومان قديماً. ويوصف عند الشعوب الأوروبية القديمة بعدة أوصاف منها: (شهر المروج)، لأن المروج والمراعي تكون مزهرة فيه، وشهر (التين) لنضج هذه الفاكهة فيه، وشهر العرس، لكثرة احتفالات الزواج عادة خلال هذا الشهر. وعدد أيامه 31 يوماً.

8-**أغسطس**: سمي هذا الشهر أيضاً باسم أحد أباطرة الروم المشهورين، هو الإمبراطور أكتافيوس أغسطس (OCTAVIUS AUGUSTUS)، لأنه حقق أعظم انتصاراته خلال هذا الشهر، وجعلوا أيامه 31 يوماً حتى لا تقل عن عدد أيام الشهر السابق، شهر الإمبراطور يوليوس قيصر، وكان قبل ذلك يسمى الشهر السادس (SEXTILIS)، حسب ترتيبه بين أشهر السنة الشمسية قديماً.

9-**سبتمبر**: أي السابع، اشتقاقاً من الكلمة اللاتينية سبتم (SEPTEM)، أي سبعة، لأن ترتيبه كان السابع بين أشهر السنة الرومانية القديمة، التي كانت تبدأ بشهر مارس. وقد حاول العديد من أباطرة الروم تسمية هذا الشهر بأسمائهم. فقد سماه الإمبراطور تبريوس باسمه، ولكن الإمبراطور الذي جاء بعده ألغى تلك التسمية، وقرر تسميته باسمه هو، ثم جاء الإمبراطور الذي

خلفه وقام بنفس العمل. وهكذا تغير اسم هذا الشهر حسب أسماء الأباطرة الروم خمس مرات، فأحدثت تلك التغييرات ارتباكاً عند الناس، فتجاهلوها جميعها، وعادوا يسمونه باسمه القديم (السابع)، على الرغم من أن ترتيبه أصبح التاسع بين شهور السنة الشمسية الميلادية، بعد قرار بداية السنة بشهر يناير. ويقع في هذا الشهر الاعتدال الخريفي، يوم 23 منه، وعدد أيامه 30 يوماً.

10-**أكتوبر:** وتعني الثامن، اشتقاقاً من الكلمة اللاتينية (OCTO)، أي ثمانية، وسمي بهذا الاسم لأن ترتيبه كان الثامن بين شهور السنة الرومانية القديمة. وقد وصفت شعوب أوروبا القديمة هذا الشهر بعدة أوصاف، مثل شهر الخمور، لأن العنب كان ينضج ويعصر فيه، ويسمونه أيضاً الشهر الأصفر لأن أوراق الشجر تذبل فيه، ويغلب عليها اللون الأصفر. وعدد أيام هذا الشهر 31 يوماً.

11-**نوفمبر:** ومعناه (التاسع) اشتقاقاً من الكلمة اللاتينية (نوفيم NOVEM)، أي تسعة، لأن ترتيبه كان التاسع بين شهور السنة الرومانية القديمة. وقد وصف في أوروبا القديمة بعدة أوصاف منها: شهر الزوابع، لاشتداد رياح الخريف فيه، وشهر الدم، لكثرة الحروب التي وقعت فيه. أما في العصر الحديث فقد وصف بأنه شهر السلام، لانتهاء الحرب العالمية الأولى فيه، وتفاؤلا بدوام السلام. وعدد أيام هذا الشهر 30 يوماً.

12-**ديسمبر**: أي العاشر، اشتقاقاً من الكلمة اللاتينية (ديسم DECEM)، أي عشرة، وذلك لأن ترتيبه كان العاشر بين أشهر السنة الرومانية القديمة، وهو الآن آخر شهور السنة الشمسية الميلادية. وعدد أيامه 31 يوماً.

يختلف نطق أسماء الأشهر الميلادية في اللغة العربية تبعاً للغة المنقول عنها، فبعض البلاد العربية نقلتها قديماً عن اللاتينية، وفي العصر الحديث نقل سكان بعض الأقطار العربية عن الإنجليزية أو عن الفرنسية. ففي ليبيا مثلاً نسمي الشهر الأول من السنة الميلادية الشمسية (يناير)، نقلاً عن اللاتينية القديمة، بينما يسمى في بعض أقطار المغرب العربي (جانفي)، نقلاً عن اللغة الفرنسية. وفي بعضها الآخر (ينير)، نقلاً عن الأسبانية. واختصاراً للحديث نثبت في الجدول الآتي الاختلافات في نطق أسماء الشهور الشمسية في بلاد المغرب العربي وبعض بلاد المشرق العربي:

جدول رقم (2)

اختلاف نطق أسماء الشهور الشمسية

في اللاتينية	في الفرنسية	في الإنجليزية	في ليبيا والمشرق العربي	في المغرب العربي	في الدارجة الليبية
JANUARIUS	JANVIER	JANUARY	يناير	ينير – جانفي	أي النار
FEBRUARIUS	FEVRIER	FEBRUARY	فبراير	فبرير – ففيري	فورار
MARTIUS	MARS	MARCH	مارس	مرسه– مارس	مارس
APRILIS	AVRIL	APRIL	أبريل	أبريل– أفريل	ابرير
MAIUS-MAIA	MAI	MAY	مايو	مايه–ماي	ميو
JUNIUS	JUIN	JUNE	يونيو	يونية– جوان	جونيو
JULIUS	JUILLET	JULY	يوليو	يولية– جويلية	جوليو
AUGUSTUS	AOUT	AUGUST	أغسطس	غشت– أوت	ازغسطس
SEPTEMBER	SEPTEMBRE	SEPTEMBER	سبتمبر	شتمبر – سبتامبر	اشتمبر
OCTOBER	OCTOBRE	OCTOBER	أكتوبر	أكتوبر – أكتوبر	تكوبر
NOVEMBER	NOVEMBRE	NOVEMBER	نوفمبر	نونمبر –	نونمبر

				توفمبر	
DECEMBER	DECEMBRE	DECEMBER	ديسمبر	ديخمبر – ديسمبر	أقجمبر

يتضح من هذا الجدول أن الأسماء العربية للأشهر الشمسية الميلادية، كما تنطق في ليبيا وبقية المشرق العربي مشتقة أصلاً من اللغة اللاتينية، ولم تتأثر بالنطق الإنجليزي أو الفرنسي، ما يدل على أ نها عرفت بهذه الأسماء منذ عهود قديمة، قد تصل إلى أيام سيطرة الرومان على المنطقة العربية قبل الإسلام، واستمر استعمالها إلى جانب الأشهر القمرية الهجرية حتى الآن.

4- الشهور اللاتينية في ليبيا:

عرفت الأشهر الشمسية بأسمائها اللاتينية في ليبيا منذ عهد الرومان، أي قبل دخول الإسلام إلى البلاد بفترة طويلة من الزمن، وكانت تستعمل في كل مجالات الحياة اليومية للناس، حتى الفتح الإسلامي، عندما حلت محلها الأشهر القمرية الهجرية في المعاملات الرسمية والدينية. وتواصل استعمال الأشهر الشمسية الميلادية في مجال الزراعة بصفة خاصة؛ إذ تحدد بواسطتها مواسم الزرع والحصاد ومواقيت الرعي ومواعيد التغيرات المناخية، وتنظيم مواعيد الرحلات البحرية بواسطة المراكب الشراعية، وكذلك تحديد مواسم صيد البر والبحر. لهذا لم ينقطع تواصل الليبيين مع هذه الأشهر. ومع طول الوقت ومضي الزمن أصبح الليبيون، وخاصة المزارعون منهم، يتناقلونها عبر الأجيال، وأصبحت معروفة لديهم كمواسم مناخية وزراعية، فيستعملون أسماء

الأشهر لتحديد تلك المواسم والمواقيت، دون استعمال التقويم الشمسي كتأريخ وقياس الزمن، فبعد دخول الإسلام إلى البلاد أصبح التقويم الزمني لديهم هو التقويم القمري الهجري، وإلى جانبه استعملوا أسماء الأشهر الشمسية الميلادية، كمواسم للزراعة والرعي والصيد، وتحديد مواعيد تغيرات الطقس. وبهذه الصفة استقرت أسماء الأشهر الميلادية في اللهجة الليبية الدارجة على الصفة التي ذكرناها في الجدول السابق، وقد توارثها الليبيون جيلاً بعد جيل، لمدة تزيد عن ألف عام.

يستعمل الناس في ليبيا، الليبيون منهم بوجه خاص، هذه الأسماء للأشهر الشمسية، وهم لا يعرفون كيف ومن أين وصلتهم، فالمزارعون يعرفون أن عليهم أن يباشروا بذر القمح والشعير، قبل بداية (تكوبر)، ليضمنوا استقبال زرعهم للمطر منذ بداية موسمه، ويسمونه (الزرع البدري). أما إذا بذروا وحرثوا قبل ذلك الموعد، أي قبل بداية موسم المطر، فيسمونه (زرع دفين)، بمعنى أنهم يدفنون البذور في الأرض، بعد فترة وجيزة من انتهاء موسم الحصاد، وينتظرون المطر، أو حسب التعبير الشائع بينهم (ينتظرون رحمة الله). أما إذا حرثوا وبذروا بعد نهاية (تكوبر) فيسمونه (زرع تلوي)، أي المتأخر. هذا بالنسبة لسكان السهول الساحلية. أما في المناطق الجبلية فإن الموسم يتأخر قليلاً، فلا يباشرون زراعة القمح والشعير إلا بعد نهاية (تكوبر)، وقد يستمر موسم الحرث في تلك المناطق الجبلية حتى شهر (أي النار).

وكما يختلف موسم الحرث في بدايته، التي يطلقون عليها اسم (نزول المحراث)، يختلف كذلك موسم الحصاد (الحصيدة)، فهذا الموسم في المناطق

السهلية يبدأ منذ منتصف (ابرير)، ويقولون في ذلك: "في ابرير يطيب الشعير، لو كان في قاع البير). أما في المناطق الجبلية فيبدأ موسم الحصاد في أواسط (ميو)، وتتقارب مواسم الحصاد مع مواسم (الجلامة واللوايا)، أي موسم جز الصوف وفرز الخراف (الموازاة)، بهدف جلبها للأسواق وبيعها. هذه المواسم كلها تتقدم مواعيدها في المناطق السهلية الساحلية عن مواعيدها على المرتفعات الجبلية. وهكذا يتضح أن أسماء الأشهر الشمسية تستعمل لدى المزارعين والرعاة كمواسم فلاحية، وشهور تقويم لحساب الزمن أو الوقت.

يدقق الرعاة والمزارعون في تحديد بداية ونهاية الأشهر الميلادية المعروفة لديهم، فبواسطتها تقاس مواسم هطول الأمطار وهبوب الرياح الممطرة. ففي شرق البلاد يستبشرون بهبوب الرياح الشمالية الغربية والرياح الغربية في فصل الشتاء، لأنها تعبر خليج سرت، وتصل وهي محملة بالرطوبة وبخار الماء، فتكون ممطرة، إذا كانت محملة بالمزن، مصحوبة بالبرق والرعد. ويقول سكان سهل بنغازي ومنطقة برقة الحمراء: (برق زويتين خلاها طين)، أي إن البرق الذي يلوح من جهة ميناء الزويتينة سيصحبه مطر غزير، يجعل التربة مبتلة موحلة، وقد يؤدي إلى فيضان الأودية.

يستبشر كل الناس في ليبيا بشهر (مارس)، لأنه يمثل موسم الربيع، وبداية الدفء واكتساب الأرض لون الربيع الأخضر الذي تزينه الأزهار بألوانها وروائحها الزكية، وهو موسم توالد المواشي وكثرة الألبان، ونضج الكثير من الخضروات، فهو موسم (خير وبركة)، كما يصفونه، حتى أن سكان المدن

الذين لا يزاولون الزراعة يخرجون في هذا الموسم في رحلات إلى البر (زردة)، لملاقاة الربيع، حسب تعبيرهم، أي استقبال موسم الربيع، ويطهون البيض، ويصبغونه بألوان متعددة، كألوان زهور الربيع، ويتسابق الصغار والفتيان بقرع البيض بعضه ببعض والفائز هو الذي تبقى بيضته سليمة لا تنكسر. وتنتهي المسابقة بأن يتشارك الجميع في أكل البيض المسلوق، والتنزه في الهواء الطلق، والاستمتاع بمناظر الطبيعة التي تزينها نباتات الربيع وأزهاره. ويقولون إن الأنعام والدواب تشاركهم فرحتهم وبهجتهم بهذا اليوم الذي يستقبلون فيه بداية الربيع. ولهذا يجب ألا يفسد أحد بهجة الناس وباقي المخلوقات في هذه المناسبة بالمشاحنات والخصام والشجار. كما يستبشر الناس في كل الشمال الليبي بهطول المطر في شهر مارس، ويقولون (مطر مارس ذهب خالص)، لأن الزرع في المناطق الشمالية من البلاد يكون قد نبت وترعرع بفضل أمطار الشتاء، ومطر مارس تزيد نموه وامتلاء سنابله فيكون الزرع (صابة) أي وافر النمو، غزير الإنتاج. ويقولون أيضاً (مطر مارس تطول عمر الربيع)، أي يمكن أعشاب المراعي بالاحتفاظ باخضرارها وطراوتها لمدة أطول.

أما أهل الواحات في الجنوب الليبي، حيث يزاول الناس نشاطاً زراعياً مختلفاً، تحتل النخلة فيه مكانة بارزة، فإنهم يستبشرون أيضاً بمارس شهر الربيع، لأن عراجين النخيل التي تبزغ في هذا الشهر تكون في وقتها الصحيح، وتنمو نمواً سليماً. أما العراجين التي تولد قبل شهر مارس فإنها لا تثمر ثمراً جيداً. والعراجين التي تولد بعد انتهاء شهر مارس تكون ضعيفة هزيلة. ولهذا يقولون "عرجون فورار اقطع وحط في النار)، و(عرجون مارس يكيد الفارس) و

(عرجون ابرير ومِيّو كيفه كيف خيّو)، أي كلها ضعيفة لا يتميز أحدها عن الآخر. ويستبشر سكان الجبل الأخضر أيضاً بشهر مارس، وخاصة إذا كانت أمطاره غزيرة، ويقولون (مطر مارس تطلّع الزرع الكارس) أي تنبت الزرع الذي تأخر إنباته.

لا يعرف أغلب الليبيين في الوقت الحاضر هذه الأشهر، ومنهم من لم يسمع بها قط، خاصة بعض سكان المدن الذين لم يزاولوا حرفتي الزراعة والرعي التقليديتين. وحتى القلة الذين لديهم بعض المعلومات عن هذه الأشهر فهم لا يعرفونها كلها، لأنها، كما سبق أن ذكرنا، لا تستعمل عندهم في التوقيت وقياس الزمن، بل تستخدم فقط كمواسم للزراعة وتبدلات الطقس، فأغلب الليبيين لا يعرفون من أسماء الأشهر الشمسية التي يسمونها الأشهر الرومية أو الأشهر العجمية، إلا ما ارتبط منها بالفلاحة والرعي. وفي الوقت الحاضر لا يعرف بعض الليبيين عنها إلا ما ذكر في الشعر الشعبي القديم، أو في غيره من مظاهر التراث القديم، مثل الأقوال المأثورة والحكم والأمثال والقصص الشعبي التراثي. ونورد هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

يقولون (ما جابه أي النار): للتشكيك في قدرة شخص ضعيف يتصدى لإنجاز عمل مهم أو صعب أو يتطلب إنجازه جهداً كبيراً. وهذه المقولة مذكورة في مطلع قصيدة من الشعر الشعبي يتداولها الناس كحكمة وهي كالتالي:

ما جابها أي النار   فحل الشتا بو العوايد
يا بال مارس بعد فوررا   اللي متقفياته صهايد

وملخص معنى هذين البيتين إن الأمطار الغزيرة، إذا لم تهطل خلال شهر يناير (أي النار) فإنها سوف لن تهطل خلال شهري فبراير ومارس (فورار ومارس)، الذين يعقبهما مباشرة موسم الحر والجفاف. لقد عجز شهر (أي النار) عن جلب المطر الغزير، وهو موسمه المعتاد، فما بالك بشهري (فورار ومارس) اللذين يحلان في أواخر موسم المطر، ويحل بعدهما موسم الجفاف والحر.

ومن الأقوال الشعبية المتداولة في ليبيا: (في قجمبر، كول وقمبر)، أي خلال شهر ديسمبر (قجمبر) تناول طعامك واجلس في بيتك. ومن المعروف أن شهر ديسمبر (قجمبر) من أكثر شهور السنة برودة، وغالباً ما تهب فيه الأعاصير، ويهطل المطر، فهو يأتي في وسط فصل الشتاء، حيث يكون موسم الحصاد وجني الثمار قد انقضى، وموسم الإنبات والتزهير لم يحن بعد، فهو إذن شهر أو موسم لا عمل فيه في مجال الزراعة التقليدية، زيادة على طقسه البارد القاسي. فليس للفلاح ما يعمل فيه إلا أن يستريح في بيته، ويتناول الطعام.

وكان سكان المدن في ليبيا يقولون (مارس خوان، ما لهش آمان)، بمعنى أن الطقس في شهر مارس متقلب مخادع لا يؤمن جانبه، وهي سمة الجو خلال هذا الشهر، فقد يتبدل الطقس أكثر من مرة في اليوم الواحد؛ إذ تسطع الشمس، ويكون الجو دافئاً صافياً، ثم يتغير في لحظات إلى جو غائم، مع هبوب رياح باردة ممطرة، أو ربما يحدث العكس، فقد يخرج الناس إلى العمل

والنزهة أو لقضاء بعض حوائجهم، وهم يرتدون ملابس ثقيلة، تقيهم البرد والمطر، ولكن ما تكاد تمر ساعة أو ساعتان حتى تسطع الشمس، وينقشع الغيم، وترتفع درجة الحرارة. وقد يحدث عكس ذلك، إذ يرتدي الناس ملابس خفيفة، لأن الجو دافئ صحو، وبعد فترة وجيزة يتغير فجأة ليصبح بارداً عاصفاً ممطراً. ولهذا تكثر في هذا الشهر الإصابة بالزكام ونزلات البرد، التي قد يكون بعضها خطراً على صحة الناس. ويقول بعضهم إنه بإمكان المرء أن يعايش جو الفصول الأربعة في ليبيا في شهر واحد هو شهر مارس.

وهناك قول آخر يردده الليبيون يقول: (في فورار يفتح النوار، وينهق الحمار، ويحن الجار على الجار)، أي خلال شهر فبراير (فورار) تتفتح زهور الربيع، وينهق الحمار لشعوره بالشبع، ويعطف الجار على جاره، لأن الشياه والماعز والأبقار تلد ويدر لبنها، فيكثر الحليب واللبن الحامض والزبد ويتهاداه الجيران فيما بينهم.

لم يعد بين الليبيين، في زمن النفط، إلا قلة نادرة تمتهن الفلاحة وتربية الأغنام والمواشي، وإن وجد منهم من يزاول النشاط الريفي الفلاحي، فقد باتوا يزاولونه معتمدين على الآلات، ومنتهجين الأساليب الزراعية الحديثة البعيدة كل البعد عن الأساليب التقليدية والأعراف التراثية، فهم لا يهتمون بمعرفة أسماء ونظام الأشهر المقترنة بالزرع والحصاد، فأغلب المزارعين أو مربي الأغنام والماشية، الذين استقيتُ منهم تلك المعلومات عن الشهور الميلادية القديمة في

ليبيا، لم يكونوا يعرفون أسماء أشهر السنة كاملة، بل يعرفون بعضها فقط. فقد كانت معلوماتهم مقتصرة على معرفة بعض الأشهر الشمسية المستعملة في تنظيم المواسم الزراعية، وكانت معلوماتهم عنها مشوهة مضطربة في غالب الأحيان.

أثبتنا في الجدول السابق صيغتين لنطق أسماء أشهر السنة الشمسية في بقية أقطار المغرب العربي، لأن تلك الأسماء عرفت في أقطار الشمال الأفريقي كلها منذ فترة الحكم الروماني، وهي مشتقة أساساً من اللغة اللاتينية القديمة، التي كانت مستعملة في ذلك الوقت. وبعد دخول أهل المغرب والأندلس في الدين الإسلامي والثقافة العربية، أصبحوا يستعملون الأشهر القمرية الهجرية في المعاملات الرسمية والدينية، وأصبح استعمال الأشهر الشمسية الميلادية مقصوراً على مجال النشاط الزراعي والرعوي، وكانوا يسمونها (الأشهر الزراعية).

أما في العصر الحديث فقد دخل عليها بعض التأثير من اللغة الفرنسية، فغلب عليها في تونس وبعض مناطق الشرق الجزائري النطق الفرنسي أو التسمية الفرنسية الحديثة، بينما استمر أغلب الناس في المملكة المغربية وفي بعض مناطق الغرب الجزائري يستعملون النطق من اللغة اللاتينية القديمة المتأثرة باللغة الأسبانية الحديثة. فمثلاً شهر يناير ينطق في تونس حسب النطق الفرنسي (جانفي)، وفي المغرب ينطق حسب النطق اللاتيني الأسباني

(ينير). وهكذا في بعض الأسماء الأخرى، إلا تلك التي اتفق فيها النطق الفرنسي مع النطق اللاتيني الأسباني مثل (أكتوبر).

أخيراً حاول معمر القذافي في ليبيا أن يغير أسماء الشهور الشمسية الميلادية، فجعل أسماء بعض الشهور الميلادية تشير إلى مظاهر تغيرات الطقس، وبعضها الآخر أطلق عليه أسماء بعض الشخصيات وبعض الأحداث، واحتفظ بالتسمية القديمة في اللهجة الدارجة الليبية للشهر الأول من السنة، فكانت التسميات على النحو التالي:

1-شهر يناير (أي النار)	2-شهر فبراير (النوار)
3-شهر مارس (الربيع)	4-شهر أبريل (الطير)
5-شهر مايو (الماء)	6-شهر يونيو (الصيف)
7-شهر يوليو (ناصر)	8-شهر أغسطس (هانيبال)
9-شهر سبتمبر (الفاتح)	10-شهر أكتوبر (التمور)
11-شهر نوفمبر (الحرث)	12-شهر ديسمبر (الكانون)

لم تلق هذه التسميات قبولا عند الناس، ولم يستسيغوها أو يتقبلوها، لأنها فرضت فرضاً من قبل السلطة. ولهذا سرعان ما انتهت بنهاية نظام حكم معمر القذافي، ونسيها الناس تماماً.

ثانياً – الأشهر القمرية:

الأشهر القمرية هي شهور السنة المحددة بتحولات أوجه القمر في كل مراحله، فكل شهر قمري يبدأ بظهور (الهلال)، وينتصف باكتمال (البدر)، وينتهي باختفاء القمر (المحاق). ويبدأ الشهر الذي يليه ببزوغ الهلال مرة أخرى .. وهكذا.

وجد الفراعنة في وادي النيل والبابليون في وادي الرافدين في تنقل القمر خلال مراحله حركة منتظمة ثابتة، تصلح لقياس الزمن، وسموا اكتمال تلك الحركة شهراً، تستغرق مدته ثلاثين يوماً عند الفراعنة. أما البابليون فقد جعلوا مدة ستة منها ثلاثين يوماً ومدة الستة الأخرى تسع وعشرين يوما لكل شهر. فيكون أول شهر 30 يوماً، والثاني تسعا وعشرين يوماً، والثالث ثلاثين يوماً والرابع تسعا وعشرين يوماً.. وهكذا، حتى الشهر الثاني عشر الأخير.

عرفت الأشهر القمرية في العديد من الحضارات القديمة، فإلى جانب المنطقة العربية عرفت هذه الأشهر أيضاً في شرق وجنوب شرق آسيا، وفي أوروبا وأمريكا الوسطى والجنوبية. ولم يتفق المؤرخون حتى يومنا هذا على الحضارة التي بدأت العمل بهذا التقسيم للأشهر القمرية، غير أن غالبيتهم يتفقون على أن العمل بالأشهر القمرية كان سابقاً على العمل بالأشهر الشمسية، ويتفقون على أن عدد أشهر السنة اثني عشر شهراً في التقويمين القمري والشمسي، وعلى أن هذا التقسيم للأشهر بدأ منذ الألف الرابعة قبل

الميلاد. ويقول علماء اللغة العربية أن لفظة (شهر) تعني تحديد الفترة الزمنية التي تُشهَر، أي تعلن، بظهور القمر واختفائه، وتجمع على شهور وأشهر.

1-الأشهر القمرية العربية القديمة:

أخذ سكان شبه الجزيرة العربية استعمال الأشهر القمرية عن سكان وادي الرافدين. ويبدو أن استعمال تلك الأشهر وصل إلى سكان شبه الجزيرة خلال الفترة التي وفق فيها سكان بلاد دجلة والفرات وسكان بلاد النيل بين الأشهر القمرية والأشهر الشمسية، عندما دعتهم الضرورة إلى ذلك، بقصد تنظيم مواسم الزراعة وحساب الفصول ومواعيد فيضان الأنهر، وأصبحت الأشهر لديهم (شمسية قمرية) لا تتغير فيها مواعيد الفصول المناخية ومواسم الفيضان ومواقيت الزرع والحصاد. ولهذا نجد أن بعض الأشهر القمرية العربية أصبحت تحمل أسماء تدل على مواعيد الحر والبرد، مثل شهر رمضان، الذي كان متوافقاً مع موسم الحر والرمضاء، أي الحرارة الشديدة، واسمي الربيعين الأول والثاني، لتوافقهما مع فترة الربيع، واسم الجمادين الأولى والثانية لتوافقها مع موسم البرد والجمود، أي البرد الشديد. واحتفظت هذه الأشهر بأسمائها حتى بعد أن ألغى الإسلام (النسيء) وحرمه، وعادت الأشهر إلى ارتباطها السابق بالقمر، ولم يعد لها أي علاقة بالفصول المناخية، ومواسم الزراعة.

عرف العرب الأشهر القمرية منذ زمن موغل في القدم، أي منذ عهد العرب البائدة، ومنهم قوم عاد أو قبيلة عاد، وقوم ثمود أو قبيلة ثمود، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وورد ذكرهم أيضاً في الشعر الجاهلي. وكانت تلك الأشهر القمرية تحمل في ذلك الزمن المبكر من تاريخ العرب أسماء غير الأسماء التي

عرفت بها قبيل الرسالة المحمدية وبعدها. وقد سرد الشاعر إسماعيل بن عباد أسماء تلك الأشهر القديمة في الأبيات التالية:

أردت شهور العرب في الجاهلية فخذها على سرد المحرم تشترك
فمؤتمر يأتي ومن بعد ناجر وخوان مع صُوانُ يجمع في شرك
حنين وزباء الأصم وعادل ونافق مع وغل ورنة مع برك

فإذا أخذنا بما ورد في هذه الأبيات فإن أسماء الأشهر القمرية العربية المعروفة عند قوم عاد هي:

1-مُؤْتمُر	2-ناجِرٌ	3-خُوانُ	4-صُوّانُ
5-حُنَيْنُ	6-زَبّاءُ	7-أَصَمُّ	8-عادِلُ
9-نافَقُ	10-وَغْلُ	11-رَنَّةُ	12-بُرَك

وقد أورد بعض المؤرخين أسماء تختلف عن أسماء الأشهر المذكورة في النطق والمعنى والترتيب، ما يوحي بأن أسماء الأشهر القمرية العربية القديمة كانت تختلف من زمن إلى آخر، ومن قبيلة أو منطقة إلى أخرى، فأسماء الأشهر سالفة الذكر هي مسميات الأشهر عند قوم عاد أو عرب عاد. أما قوم ثمود أو عرب ثمود فمسميات الشهور عندهم تختلف اختلافاً بيناً عن الأسماء السابقة. وقد صنفها شاعر آخر هو أبو سهيل عيسى بن يحيى في الأبيات التالية:

شهور ثمود موجب ثم موجر ومورد يتلو ملزماً ثم مصدر

وهَوْبَرُ يأتي ثم يدخل هوبلُ   وموهاء قد يقفوهما ثم دَيْمَرُ
ودابر يمضي ثم يقبل حَيْقَلُ   ومسبل حتى تم فيهن أشهر

فإذا أخذنا بما جاء به الشاعر أبو سهيل يتضح جلياً أن أسماء الأشهر القمرية عند عرب ثمود تنتظم كالتالي:

1-مُوجِبٌ	2-مُوجرُ	3-مُورِدُ	4-مُلْزَمُ
5-مُصْدرُ	6-هَوْبَرُ	7-هَوبلُ	8-مَوْهاءُ
9-دَيْمَرُ	10-دابرُ	11-حَيْقَلُ	12-مُسْبِلُ

على الرغم من أن مسميات هذه الأشهر مسميات عربية النطق والمعنى، إلا أنها اندثرت وبادت مع العرب البائدة، فأسماء الأشهر عند العرب البائدة، ومنهم عاد وثمود، لم تكن مستعملة ولا معروفة لدى عرب الجاهلية، منذ أن بدأ التاريخ القديم يذكرهم، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من قرنين من الزمان. وأعتقد أنها وصلت إلى هذين الشاعرين اللذين سرداها في شعرهما من طريق الروايات المتواترة المتناقلة عبر الأجيال من التراث المتوارث على الرغم من اختفاء عاد وثمود وغيرهم من العرب البائدة.

2- الأشهر القمرية العربية الهجرية:

يؤكد الدارسون لتاريخ العرب أن بعض الوثائق التاريخية التي يرتفع تاريخها إلى عام 412 ميلادية، تثبت أن أسماء الأشهر القمرية المستعملة في شبه الجزيرة العربية هي نفس أسماء الأشهر القمرية الهجرية التي نستعملها في وقتنا الحاضر، أي الأشهر التي تبدأ بشهر (محرم) وتنتهي بشهر (ذي الحجة)، مع ملاحظة أخرى سجلها المؤرخون هي أن عدد الأشهر القمرية كان خلال تلك العصور القديمة كلها اثني عشر شهراً، لم يتغير عددها باختلاف الزمن، أو باختلاف المنطقة الجغرافية داخل شبه الجزيرة. وقد ورد نص في القرآن الكريم يثبت ذلك هو قوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}[1]. وهذه الأشهر القمرية العربية هي:

1)**شهر مُحَرَّم**: هو أول شهور السنة القمرية الهجرية. وقد سمي محرماً لأن العرب كانت تحرم القتال والغزو في هذا الشهر، وهو من الأشهر الأربعة المذكورة في الآية الكريمة التي سبق ذكرها. وقد ورد ذكرها أيضاً في الحديث الشريف الذي يقول: "أفضل الصيام بعد رمضان الشهر الذي تدعونه المحرم". ويحتفل المسلمون برأس السنة الهجرية في أول أيامه.

2-**شهر صفر**: ثاني شهور السنة القمرية الهجرية. ويقول بعض المؤرخين إنه سمي (صفراً) لأن الناس كانت تبدأ فيه الغزو بمجرد انتهاء الشهر الحرام

---

[1] سورة التوبة ، الآية 37.

(محرم)، فيتركون القبيلة أو الحي الذي يغزونه صفراً من المتاع. وقال آخرون إنه سمي صفراً لأن العرب كانت تخرج فيه للغزو، وتترك منازلها خاوية، فالعرب تقول: صَفُرت الدار، أي خلت من أهلها. وقيل أيضاً إن هذا الشهر كان يأتي في آخر الصيف، حيث تصفرّ الأرض، وينتهي اخضرار الزرع والعشب، وكان العرب في الجاهلية يتشاءمون منه، لأنه شهر قتال ودمار وخراب.

3/4- **شهر ربيع الأول/شهر ربيع الثاني:** هما الشهران الثالث والرابع من السنة الهجرية، وسميت كذلك لأنها كانت تحل في موسم سقوط الأمطار في الخريف وظهور النبات والأزهار في المراعي. وكان العرب قبل الإسلام يسمون هذا الموسم ربيعاً لأن أعشاب المراعي تبدأ في النمو خلاله، بالرغم من أنه يقع في فصل الخريف حسب التقويم الشمسي الميلادي. وفي شهر ربيع الأول ولد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وفيه هاجر إلى المدينة وفيه توفي.

5- **شهر جمادى الأولى/6- شهر جمادى الثانية (الآخرة):** هما الشهران الخامس والسادس من السنة الهجرية. وقد سميا بهذا الاسم لشدة البرد فيهما، لأنهما كانا يقعان خلال المدة الفاصلة بين منتصف شهر ديسمبر ومنتصف شهر فبراير، وهي الفترة التي يشتد فيها البرد، وتقل الحركة، أي فترة السكون والجمود. وفي منتصف شهر جمادى الآخرة حدثت موقعة الجمل المعروفة في التاريخ الإسلامي.

7-**شهر رجب:** هو الشهر السابع من السنة القمرية الهجرية، واسمه مشتق من الكلمة العربية (رَجَب) ومعناها كبُر وعظُم، وهو شهر معظم لأنه من الأشهر الحرم التي يمنع فيها القتال والغزو. ويقال إن أول من عظَّمه عرب مُضر، وعنهم أخذت بقية القبائل العربية تعظيم هذا الشهر وجعله من الأشهر الحرم. وكانوا يعتقدون أن الدعاء فيه مستجاب. وفي العشرين من شهر رجب أعلن المسلمون الجهر بالدعوة إلى الإسلام في مكة المكرمة، بعد أن كانت مستترة خفية. وفي اليوم السابع والعشرين منه أسري بالنبي محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) إلى السماء. وبهذا يحتفل المسلمون بليلة السابع والعشرين من رجب، ويسمونها ليلة الإسراء والمعراج. وأصبح ذلك في ليبيا وبقية العالم الإسلامي من التقاليد الإسلامية الدائمة.

8-**شهر شعبان:** الشهر الثامن من السنة الهجرية. ويقال إنه سمي شعباناً لتشعب القبائل فيه وتفرقها، طلباً للمرعى والماء لمواشيها، وكذلك لتفادي غزوات القبائل الأخرى، بعد انقضاء الشهر الحرام رجب. وكانت بعض القبائل العربية تصوم بعض أيامه، وتدعو فيه للنجاة من الغزو والقتال، وهو الشهر الذي يسبق شهر الصوم (رمضان) عند المسلمين. وفي آخر يوم من شعبان يترصدون ظهور هلال شهر الصوم. وفي اليوم السادس عشر من شعبان المكرم، تحولت قبلة الصلاة عند المسلمين من اتجاه بيت المقدس إلى اتجاه البيت الحرام في مكة المكرمة. قال تعالى: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا

وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[1].

9-**شهر رمضان:** الشهر التاسع من السنة الهجرية، واسمه مشتق من الرمضاء، أي شدة الحر والجفاف، لأنه كان يحل وسط فصل الصيف، عندما كانت الأشهر القمرية تتوافق مع الأشهر الشمسية في التقويم الذي أخذه العرب عن البابليين، وهو أكثر الشهور تكريماً وتعظيماً عند المسلمين، ففيه نزل القرآن الكريم، وفرض صومه كاملاً على كل مسلم راشد. ولم يذكر أي شهر باسمه صراحة في القرآن الكريم إلا هذا الشهر، وذلك في قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[2]. وتكون ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ضمن الليالي العشر الأواخر من هذا الشهر. ولهذا لا يكتفي المسلمون بصيام تلك الليالي المكرمة، بل يحرصون على قيامها والإكثار فيها من الصلاة وتلاوة القرآن تضرعاً ودعاء وتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى. وفي اليوم السابع عشر من رمضان وقعت معركة بدر الكبرى، وفي العشرين منه من الله على المسلمين بفتح مكة المكرمة. وحدثت في هذا الشهر الكريم عدة أحداث وانتصارات

---

[1] سورة البقرة ، الآية 144.

[2] سورة البقرة ، الآية 185.

للمسلمين، مثل معركة عين جالوت وغيرها. لكل ذلك يجل المسلمون هذا الشهر ويعظمونه ويطلقون عليه عدة ألقاب وأوصاف، مثل شهر الصوم، وشهر الصبر ، وشهر البركات، وشهر الفتح، وشهر الرحمة، وشهر القرآن..إلخ وهكذا يحتفل به المسلمون في كل سنة احتفالاً عظيماً، ويميزونه ويفضلونه على بقية أشهر السنة القمرية الهجرية.

10-**شهر شوال:** هو الشهر العاشر من السنة الهجرية. وسمي شوال لتشويل لبن النياق فيه، أي نقصانه أو انقطاعه، لأنه كان يحل في أواخر الصيف، حيث تكون المراعي جافة قاحلة، ويتوافق مع موسم التكاثر عند الإبل، فلا تجود فيه النوق باللبن. وكان العرب قبل الإسلام يتشاءمون بالزواج فيه. واستمر ذلك إلى أن أبطل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك التشاؤم، وتزوج عائشة رضي الله عنها في شهر شوال. وفي هذا الشهر حدثت غزوة أحد (في العام الثالث للهجرة). والأيام الأول والثاني والثالث من شهر شوال هي أيام عيد الفطر المبارك عند المسلمين. وجرت العادة أن يبدأ المسلمون، بعد انقضاء أيام العيد، الاستعداد والتجهيز لرحلة الحج، التي كانوا يقومون بها عادة على ظهور الإبل، ويقولون إن شهر شوال هو أول أشهر الحج.

11-**ذو القعدة:** الشهر الحادي عشر من السنة الهجرية. سمي بهذا الاسم لأن العرب كانوا يقعدون فيه بمنازلهم، ومضارب نجوعهم، ولا يخرجون إلى الغزو والقتال، فهو من الأشهر الحرم، وكان العرب يبقون في أماكن إقامتهم، يجمعون بضائعهم ومتاعهم، ويتجهزون فيه للسفر إلى الحج والتجارة. وفي

اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من المدينة قاصداً مكة المكرمة لأداء حجة الوداع.

12-**ذو الحجة:** الشهر الثاني عشر والأخير من أشهر السنة القمرية الهجرية. أطلق عليه هذا الاسم لأنه الشهر الذي كان العرب قبل الإسلام يحجون فيه إلى مكة. وبعد الإسلام فرض على المسلمين الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، بعد أن تم تطهير البيت الحرام من عبادة الأوثان ومظاهر الشرك. قال تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[1]. وشهر ذو الحجة من الأشهر الحرم المتتالية، وهي: ذو الحجة، ذو القعدة، المحرم، وهي الأشهر التي كانت تدع فيها العرب القتال والغزو. ويقبل العرب فيه على مكة من كل أطراف الجزيرة للحج والتجارة وتبادل المنافع والمصالح. كما كانت تقام فيه المهرجانات والاحتفالات للشعر والخطابة، مثل سوق عكاظ المشهورة. يسمي المسلمون الأيام الأولى منه الأيام المعلومات، أو أيام الحج. فاليوم الثامن من هذا الشهر يعرف بيوم (التروية)، واليوم التاسع منه بيوم (الوقفة) أي وقفة الحجاج بجبل عرفات، واليوم العاشر منه يوم عيد الأضحى المبارك (يوم النحر) والأيام الثلاثة التي تليه تسمى أيام التشريق.

---

[1] سورة آل عمران ، الآية 97.

في هذا الشهر ولد إبراهيم ابن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من مارية القبطية. وفي هذا الشهر أيضاً تزوج علي ابن أبي طالب بفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. وفي اليوم الثامن عشر منه استشهد عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنه. وفي اليوم السادس والعشرين منه استشهد عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني رضي الله عنه.

3- بطلان نظام الكبس والنسيء بين نظام الأشهر الشمسية والقمرية:

الأشهر الحرم في السنة الهجرية هي الأشهر التي حُرّم فيها القتال والغزو بين قبائل العرب، وكان ذلك عرفاً وتقليداً في الجاهلية، ثم أقرها الإسلام، وهي ثلاث متتالية: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، وشهر واحد منفرد هو شهر رجب.

أخذ العرب عن سكان بلاد الرافدين نظام (الكبس)، للتوفيق بين السنة القمرية، التي تنقص أحد عشر يوماً عن السنة الشمسية، وذلك حتى تحل الأشهر القمرية في فصول ثابتة من السنة، مثلها مثل الأشهر الشمسية، أي ثلاثة أشهر في كل فصل من فصول السنة: الصيف والخريف والشتاء والربيع، وتمكنوا من تحقيق ذلك بكبس شهر ثالث عشر في سنتهم القمرية، مرة كل ثلاث سنوات.

كان يتولى هذا الكبس عند سكان الجزيرة العربية شخص متخصص بالقيام بهذا الحساب التقويمي، يطلقون عليه اسم (الناسئ). وكان هؤلاء المتخصصون في هذا الحساب رجال ثقات من بني كنانة، يتوارثونه بينهم جيلاً بعد جيل.

فكان ناسئ العرب عادة أحد رجال هذه القبيلة الذين اشتهروا بذلك لفترة طويلة من الزمن.

وقد قال أحد شعراء العرب يمدح ناسئ بني كنانة:

مشهر من بني كنانة معظم مشرّف مكانه

مضى على ذلكم زمانه

ما بين دور الشمس والهلال يجمعه جمعاً لدى الآجال

حتى يتم الشهر بالكمال.

وكان بنو كنانة يفاخرون العرب بأن فيهم نساءون تطيعهم كل قبائل العرب، ولا تخالف لهم أمراً. فقال شاعرهم.

لنا ناسئ تمشون تحت لوائه يحل إذا شاء الشهور ويحرم

وقال شاعر آخر من بني كنانة:

ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ شهور الحل نجعلها حراما

كان الناسئ يعلن النسيء حسب موعده في عرفات، بعد انقضاء شعائر الحج، ليعلمه جميع الناس من بقية عرب شبه الجزيرة في كل مناطقها. وكان الناسئ يحدد أيضاً الأشهر الحرم، لتتقيد بها كل القبائل التي كانت تبجل الناسئ وتحترمه وتتقيد بما يعلنه وتطيع أوامره في ذلك، لأن الذي يخالفه يعد مارقاً جهولاً، تقف كل القبائل ضده. وقد استمر العمل بنظام النسيء أو الكبس حتى بعد ظهور الإسلام، ولكن ذلك النظام أحدث خلخلة في ترتيب الأشهر،

فقد يحدث أن يسمى محرم صفراً، وصفراً ربيع الأول، ويتواصل ذلك حتى يدور النسيء دورته على أشهر السنة كلها، ثم يعود من جديد مع بداية النسيء التالي، وهكذا. فبسبب هذا النظام أصبحت بعض الأشهر الحرم حلالاً، وحدثت في بعضها حروب وغزوات، فنزلت الآية الكريمة التي حرم بها الإسلام النسيء وأبطله. تقول هذه الآية صراحة: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[1]. وفي حجة الوداع، عندما خطب النبي (صلى الله عليه وسلم) الناس خطبته الشهيرة، التي أقر فيها العديد من الفروض والقيم الإسلامية، قال من ضمن ما قال: "ألا وإن الزمان قد استدار، كهيئته يوم خلق السماوات والأرض"، وتلا على الناس الآية الكريمة التي تحرم النسيء، وبذلك أبطل ذلك النظام، وعاد الشهر القمري كما كان في السابق مرتبطاً فقط بحركة مراحل القمر، ولا علاقة له بالنظام الشمسي، واستمرت أسماء الأشهر القمرية أو الهجرية أو العربية تحمل نفس الأسماء ونفس الترتيب الذي هي عليه الآن في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولا تزال كل المناسبات والأعياد والفرائض الدينية الإسلامية تحدد زمنيا بواسطتها.

---

[1] سورة التوبة ، الآية 37.

الأشهر القمرية الهجرية في التراث الليبي:

نظراً لارتباط الأشهر القمرية الهجرية بالعبادات والمعاملات في الدين الإسلامي فقد تواصل استعمالها في ليبيا منذ دخول الإسلام إليها، فارتبط بها الليبيون، وأرخوا بها. واستمر ذلك لعدة قرون، حتى احتلت إيطاليا ليبيا واستعمرتها في أوائل القرن العشرين الميلادي، فرضت إيطاليا على الليبيين استعمال التاريخ الميلادي والأشهر الشمسية في كل المعاملات الرسمية. وبعد انتهاء فترة الاستعمار الإيطالي واستقلال ليبيا في أواخر عام 1951م عاد العمل رسميا بالتقويم الهجري والأشهر القمرية، واستعمل إلى جانبها التقويم الميلادي والأشهر الشمسية. وفي عهد حكم معمر القذافي حاول نظامه تغيير التاريخين الهجري والميلادي بإدخال بعض التعديلات على حسابها وإدخال بعض التسميات الجديدة عليها، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً لأن الليبيين لم يتقبلوه، ولم يقدموا على استعماله، ثم تجاهلوه تماماً بعد سقوط حكم القذافي في سنة 2011م، وعاد الاستعمال الرسمي للتقويم الهجري والأشهر القمرية، وإلى جانبها يدون التقويم الميلاد والأشهر الشمسية، باعتبارها مستعملة في كل أنحاء العالم.

كان الليبيون قديماً يستعملون الأشهر الشمسية المعربة عن اللاتينية في مواسم الزراعة والتبدلات المناخية لملاءمة الأشهر الشمسية لتلك المواسم والفصول، ويستعملون الأشهر القمرية الهجرية في كل المناسبات والمواقيت الدينية الإسلامية.

ولكن بسبب تفشي الأمية والجهل لفترات طويلة من تاريخ البلاد، فقد تحرف نطق أسماء الأشهر القمرية الهجرية، تماماً كما حدث مع نطق أسماء الأشهر الشمسية الميلادية من قبل. وقد أصبح للأشهر القمرية أسماؤها الخاصة في اللهجة الدارجة الليبية. وهي أسماء قد تختلف في طريقة نطقها من منطقة ليبية إلى أخرى. ويجب أن ننوه هنا إلى أن ذلك يتعلق بالتراث القديم الذي لم يعد مستعملاً اليوم. فمع انتشار التعليم والوعي الثقافي والانخفاض الكبير في نسبة الأمية بين سكان ليبيا، أصبحت الغالبية العظمى منهم تستعمل أسماء الأشهر القمرية العربية المعتادة، وأصبحت أسماء الأشهر القمرية الهجرية حسب نطقها في اللهجة الدارجة الليبية غير معروفة، إلا لدى قلة نادرة من كبار السن، وخاصة الأميون منهم.

سنحاول في هذه الدراسة إثبات هذه الأسماء التراثية بهدف توثيق جانب تراثي قديم، أصبح الآن بين طيات الماضي. وقد أخذْتُ أسماء الأشهر القمرية في اللهجة الليبية الواردة في هذه الدراسة عن الروايات التي سمعتها من بعض كبار السن من رجال ونساء في شرق البلاد، وخاصة من منطقة بنغازي. وقد يكون لها أو لبعضها نطق مختلف في أنحاء أخرى من ليبيا.

وهذه المسميات هي التالية:

1- شهر محرم: ينطق في اللهجة الدارجة بنفس النطق بدون أي تحريف أو تبديل، وذلك لسهولة نطقه عند الناس الأميين، وكذلك لاستعماله كاسم علم لبعض الأشخاص. وفي مناطق أخرى من البلاد يطلقون عليه اسم (شهر عاشوراء)، لأن عاشوراء توافق اليوم العاشر من هذا الشهر.

2-شهر صفر: ينطق باللهجة الدارجة بنفس النطق، دون أي تحريف، نظراً لسهولة نطقه.

3-شهر ربيع الأول: يسمونه في الدارجة الليبية (شهر الميلود)، لأنه الشهر الذي ولد فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) . ويحتفل الليبيون فيه بـ"عيد الميلود"، أي عيد المولد النبوي الشريف.

4-شهر ربيع ثان: يسمونه في الدراجة الليبية (شهر تويبع الميلود)، أي الشهر الذي يلي شهر الميلود أو يتبعه مباشرة.

5-شهر جمادى الأولى: يسمونه في اللهجة الليبية الدراجة "شهر تويبع الميلود الثاني"، أي الشهر الذي يلي مباشرة "شهر تويبع الميلود".

6-شهر جمادى الثانية: يسمونه في الدراجة الليبية (شهر قصير)، أي الشهر القصير، لأن أيامه تكون في الغالب 29 يوماً.

7شهر رجب/8-شهر شعبان/9-شهر رمضان: هذه الأشهر الثلاثة لم يتغير نطق أسمائها، ولم يدخل عليها أي تحريف في الدارجة الليبية، بسبب سهولة نطقها أولاً، وثانياً لأن الليبيين اعتادوا على تداولها كأسماء علم، يطلقونها على أبنائهم، مثلها في ذلك مثل شهر محرم.

10-شهر شوال: يسمى في الدارجة الليبية (شهر امنا عيشة). وعيشة هي النطق المحلي لاسم (عائشة). وسمي بهذا الاسم لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) تزوج فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

11-شهر ذو القعدة: يسمى في الليبية الدراجة (شهر بين العياد). وكلمة (عياد) تعني أعياد، جمع عيد، وذلك لوقوع هذا الشهر بين شهر شوال، الذي يقع فيه عيد الفطر، وشهر ذو الحجة الذي يقع فيه عيد الأضحى.

12-شهر ذو الحجة: يسمى في اللهجة الدارجة (شهر العيد الكبير)، أي شهر عيد الأضحى، لأن الليبيين يطلقون على عيد الأضحى (العيد الكبير)، وعلى عيد الفطر (العيد الصغير).

أخيراً.. أود أن أوضح في هذا المقام أن هذه التسميات للأشهر القمرية الهجرية في اللهجة الليبية الدراجة لم تعد مألوفة أو مستعملة، بل إن بعض الشباب وصغار السن من الأجيال الجديدة من الليبيين لا يعرفونها، ولم يسمعوا عنها قط. فقد كنت أسمعها من بعض الناس، وخاصة من النساء، عندما كنت في سن الطفولة والشباب، أي منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. أما الآن فقد استرجعت في ذاكرتي بعض تلك الأسماء، واستعنت للتأكد منها ببعض كبار السن ممن هم من جيلي أو من الجيل السابق لجيلنا.

أعترف أن تجميعها وتوثيقها والتأكد من نطقها لم يكن أمراً ميسراً، لوجود اختلاف في طريقة نطقها، وتنوع في تسمياتها من منطقة إلى أخرى من مناطق ليبيا، خاصة أسماء الأشهر التي لا تحمل نفس الأسماء العربية الأصلية المعروفة. ولهذا لم أوثقها أو أحصرها أو أحققها، واكتفيت بإيرادها حسب التسميات الأكثر تداولاً في شرق ليبيا.

تنوع أنماط حساب الزمن

((التقاويم))

التقويم (calender) وسيلة ابتكرها الإنسان لقياس الزمن، وتوثيق الأحداث والمناسبات والمعاملات التي تحدث في حياة البشر على سطح الأرض، سواء أكانت أحداثاً مهمة عامة، أم غيرها من الأحداث الشخصية الخاصة. ويجمع المؤرخون على أن الإنسان الأول اهتدى إلى معرفة التقويم أو قياس الزمن منذ أكثر من أربعة آلاف عام قبل الميلاد، وبالتحديد خلال الحقبة الزمنية التي بدأ الإنسان فيها يجتاز مرحلة الصيد ورعي الحيوانات، إلى مرحلة الزراعة، عندما أخذت الجماعات البشرية ترتبط بالأرض وتزرعها وتعتمد عليها في الحصول على قوت يومها، فأخذت تقيم وتستقر فيها. وهي الفترة التي بدأ الإنسان فيها يؤسس مستوطنات وقرى معتمداً في حياته المستقرة على ما ينتجه من محاصيل زراعية، ابتكر وتعلم وأتقن زراعتها والعناية بها وحصادها وجمع ثمارها، أي عندما تحولت الجماعات البشرية القديمة من جماعات متنقلة غير مستقرة ، متتبعة لطرائد صيدها، وقطعان ماشيتها، إلى جماعات مستقرة مرتبطة بالأرض التي تزرعها بالمستوطنة التي تسكنها، ثم تطورت من الاستقرار الريفي إلى الاستقرار الحضري وسكنى المدن. حدث ذلك التحول والتطور في وديان الأنهار، وفي المناطق السهلية ذات المناخ الدافئ الواقعة في العروض معتدلة المناخ من الكرة الأرضية.

تزامن هذا الاستقرار في حياة البشر مع تراكم المعلومات والخبرات الناتجة عن تكرار التجارب العملية، وتناقل هذه الخبرة شفهياً من جيل إلى جيل. وكذلك عن المشاهدة والرصد لمظاهر المناخ ولما يوجد في الفلك وفي البيئة الطبيعية، وما يحدث فيها من تغيرات المناخ والنبات، وهجرة الحيوانات والطيور، التي تتزامن عادة مع حدوث تغيرات فلكية في مواضع بعض الكواكب والنجوم، فالبابليون القدماء يتوقعون سقوط المطر بعد ظهور مجموعة معينة من النجوم في ليالي معينة ومحددة. والفراعنة قرنوا بين ظهور نجم الشعرى في السماء وحدوث فيضان نهر النيل. وهنا شعروا بحاجتهم إلى حساب الوقت وضبطه.

احتاج الإنسان في تلك العصور الغابرة إلى معرفة مواقيت الزرع والحصاد وقطف الثمار ونمو الأعشاب في المراعي، لينظم حياته، ويستعد ويتجهز لكل موسم من تلك المواسم، ويقوم بالأعمال المطلوبة في وقتها المحدد المناسب. استوطنت الجماعات البشرية القديمة أودية الأنهار ومصباتها لتوفر التربة والماء اللازم للزراعة. ولهذا كانت أول الأقوام التي عرفت تنظيم الوقت والتقويم، هي الأقوام التي استوطنت تلك الأحواض النهرية، وزاولت الزراعة المستقرة، وأسست أولى الحضارات الإنسانية القديمة.

يرجح المؤرخون أن بداية العمل بالتقويم وقياس الزمن كان لدى الحضارة البابلية في حوض دجلة والفرات والحضارة الفرعونية في حوض النيل، ولكنهم لا يقطعون بذلك بشكل حاسم، لأن فكرة التقاويم ظهرت في وقت متزامن تقريباً في مواقع أخرى من الكرة الأرضية، مثل الصين والهند، أي جنوب شرق آسيا،

ومثل أمريكا الوسطى والجنوبية، كما سنرى في الأجزاء القادمة من هذه الدراسة، كما كانت بعض الحضارات الإنسانية القديمة قادرة على اكتشاف ومعرفة أطوار القمر والمراحل التي يمر بها وتكرارها بشكل منتظم، خلال فترة محددة من الزمن، وتمكنوا أيضاً من رصد حركة الشمس عبر السماء وتزامنها مع ظهور مجموعات معينة من النجوم، ميزوها وضبطوا توقيتها وأعطوها أشكالاً محددة، وأطلقوا عليها أسماء لتعريفها وتوثيقها. فقد تمكنت تلك الحضارات القديمة من اكتشاف ما أطلقوا عليه اسم الحركات السماوية الأساسية الثلاث وهي:

حركة الأرض حول محورها (تعاقب الليل والنهار وتحديد مفهوم اليوم).

حركة القمر حول الأرض (تنقل القمر في مراحله المختلفة وتجددها دورياً، وتحديد مفهوم الشهر).

حركة الشمس وتنقلها من موقع إلى آخر في السماء، حسب اعتقادهم في ذلك الوقت (أي دوران الأرض حول الشمس وتحديد مفهوم السنة).

وهكذا بنيت فكرة التقويم أو قياس الزمن على التنسيق بين تلك الأحداث الفلكية الأساسية الثلاثة لقياس الزمن: وهي: اليوم والشهر والسنة.

توالت محاولات العلماء المتخصصين وقادة الفكر في مختلف الحضارات القديمة للتوفيق والربط بين الوحدات الثلاث سابقة الذكر، والاعتماد عليها في التقويم وحساب الوقت. وتعددت تلك المحاولات عبر عصور طويلة من تاريخ

الإنسانية، ازدهرت فيها تلك الحضارات وتطورت في العديد من مجالات المعرفة الإنسانية، ومنها مجال التقويم ورصد توالي الأيام والأشهر والسنوات، فظهرت في تاريخ الحضارة الإنسانية تقاويم مختلفة، اعتمد بعضها على أحداث مهمة أو على بعض المعتقدات والخرافات، أو على ظهور شخصيات مهمة من آلهة وحكام وقادة، ولكن كل تلك التقاويم انتهت بنهاية تلك الأحداث والشخصيات والخرافات. ولم يبق منها على مر العصور وكر الدهور، منذ بداية تلك الحضارات القديمة إلى يوم الناس هذا، إلا التقاويم المؤسسة على حركة الشمس وحركة القمر، أي التقويمان المعروفان المتداولان، على مدى التاريخ الإنساني، وهما: التقويم القمري (LUNAR CALENDER) والتقويم الشمسي (SOLAR CALENDER) .

مما تقدم اتضح لنا أن قياس الزمن أو التوقيت أو التقويم نشأ كعلم مقترناً برصد حركة الكواكب والنجوم، وحسب مواعيد ظهورها واختفائها وتحديد مساراتها. لهذا لا نستطيع اليوم الفصل بين نشأة علم التقويم ونشأة علم الفلك ونشأة علم الحساب والرياضيات في بداياتها المبكرة، فقد احتاج الناس في الحضارتين الفرعونية والبابلية إلى ضبط مواسم الزراعة ومواعيد فيضانات الأنهار وتبدل حالة الطقس ومواقيت العبادة. وقد ثبت لديهم حدوث تلك الظواهر المناخية والزراعية متزامنة مع ظهور بعض الكواكب والنجوم، وتنقلها في مواضع معينة من السماء. وثبت لديهم أيضاً تكرار حدوث تلك الظواهر في نفس مواعيد ظهور واختفاء الكواكب والنجوم التي رصدوها بشكل متكرر ومنتظم، في مكان وزمان محددين، ووجدوا أن كل ذلك يحتاج إلى حساب

وتدقيق، ليتمكنوا من استيعاب وفهم كل تلك التغيرات الكونية، واستخدامها لتحديد مواسم الزراعة والرعي والعبادة. هكذا بدأ التقويم أو قياس الوقت متزامناً مع رصد التغيرات الفلكية وتطوير المعارف الرياضية الحسابية.

كان السبق في كل تلك المعارف للحضارات الإنسانية المبكرة التي ظهرت في وادي النيل ووادي دجلة والفرات، أي في مصر والعراق. وقد ساعد في نشأة وتطور هذه المعارف والبداية في مزاولة الزراعة المستقرة المعتمدة على المياه والتربة والوديان الخصبة ووقوع تلك الأودية النهرية في مناطق جافة، يندر فيها المطر، وتلبد السماء بالغيوم، التي تعكر صفاء الجو، ما ساعد على مشاهدة ورصد الأجرام السماوية ليلاً، ومتابعة حركتها. إن استقرار الجماعات البشرية، التي كانت تتنقل وراء الصيد والرعي في تلك المناطق، ساعدها على تطور الفكر وظهور المعتقدات ومزاولة الطقوس الدينية والعبادات، التي احتاجت بدورها إلى تنظيم وتحديد مواقيت العبادات وتقديم القرابين وغيرها، ما شجعهم على رصد الكواكب والنجوم وحساب مواقيت تنقلها في منازلها من السماء، لتحديد مواعيد طقوس العبادة وتحديد مواسم الزراعة والاستعداد لها.

وقد شاهدنا عند الحديث عن الشهور والأسابيع والأيام، كيف ابتكر البابليون والفراعنة تلك الوحدات الزمنية لقياس الوقت، ورأينا كذلك كيف توصلوا إلى تحديد الأشهر القمرية والأشهر الشمسية، وكيف حاولوا التوفيق بينها، ليجعلوا الأشهر القمرية متزامنة مع مواعيد التغيرات المناخية ومواسم الزراعة، أي مع الفصول والأشهر الشمسية، لكي يتوافق التقويم القمري مع السنة الشمسية وتوالي الفصول الأربعة.

وقد انتقلت هذه المعارف الإنسانية الخاصة بقياس الوقت والتقويم من منطقتي وادي النيل ووادي الرافدين، إلى بقية الحضارات الإنسانية الأخرى التي ظهرت قديما في آسيا وأوروبا، حيث انتقلت إلى بلاد فارس والهند شرقاً، وإلى بلاد الإغريق والرومان غرباً. ونستعرض فيما يلي نشأة تطور التقاويم في أهم الحضارات القديمة باختصار شديد.

أولاً- التقويم الفرعوني أو المصري القديم (EGYPTIAN CALENDER):

هو وحدة لقياس الزمن وتنظيم التأريخ والتوقيت، عرف في مصر الفرعونية قبل ميلاد المسيح –عليه السلام– بعدة آلاف من السنين. وقد تمكن الفراعنة، في وقت مبكر، من رصد العديد من مجموعات الكواكب والنجوم، وصوروا السماء على هيئة الإلهة نوت (NUT)[1]، وهي تحمل جسمها على يديها ورجليها، مكونة القبة السماوية. وكانوا يرصدون النجوم بالعين المجردة، ساعدهم في ذلك سماء مصر الصافية أثناء الليل، وتمكنوا من تقسيم ما رصدوه من أكثر النجوم وضوحاً وتألقاً إلى 36 قسماً، يشمل كل قسم منها ما تمكنوا من رصده كل عشرة أيام متتالية. وكان أكثر النجوم تألقاً ووضوحاً عندهم نجم (الشعرى اليمانية)، الذي يتوافق شروقه أو بداية ظهوره مع بداية فيضان نهر النيل.

---

[1] ويسمونها أيضاً هاتور (HATHOR) ويرمزون لها أحياناً بصورة بقرة.

جمع الفراعنة أيام تلك الأقسام فكانت 360 يوماً. وجعلوا كل ثلاثة أقسام منها تكون جزءاً أو شهراً، فأصبحت السنة عندهم تتكون من اثني عشر شهراً، وكل شهر يتكون من ثلاثة أقسام في كل قسم عشرة أيام. أي أن السنة تتكون عندهم من 360 يوماً، أضافوا إليها 5 أيام، جعلوها أعياداً. وهكذا اهتدى المصريون القدماء إلى معرفة السنة المكونة من 365 يوماً، التي عرفت فيما بعد بالسنة الشمسية، أو سنة الفصول، وهي السنة المستعملة الآن في التقويم الشمسي الميلادي.

عرف الفراعنة أيضاً التقويم القمري، أي تحديد الشهر القمري الذي يبدأ ببزوغ الهلال، وينتهي بالمحاق، أي اختفاء القمر، ثم يبدأ الشهر الذي يليه بظهور الهلال الجديد.. وهكذا. والمدى الزمني لهذه الدورة القمرية ثلاثون يوماً تقريبا، وقد حددوا السنة القمرية باثني عشر شهراً، وكانت أيامها تقارب عدد أيام السنة الشمسية، ولكنهم فضلوا استعمال التقويم الشمسي أو سنة الفصول لأنهم عن طريقها تمكنوا من حساب مواسم الزراعة، وتمكنوا أيضاً من تحديد مواعيد فيضان النيل وتوقيت زيادة ونقصان مائه.

وتمكنوا أيضاً من تحديد مواسم البرد والحر، وتبدلات الطقس، وكانت الأشهر عندهم تميز بالأرقام من 1 إلى 12، ولا تحمل أسماء. واستمر العمل بهذا النظام في التقويم الفرعوني حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد، حين أعطى الفراعنة لشهور السنة أسماء مستمدة من أسماء آلهتهم ومناسباتهم الدينية وأعيادهم. وكان المصريون القدماء أول من حاول التوفيق بين السنة القمرية

والسنة الشمسية، بكبس شهر إضافي بعد مضي عدد من السنوات، فابتكروا ما يسمى التقويم الشمسي القمري (LUNISOLAR CALENDER).

كان هذا التقويم المصري الفرعوني من أقدم التقاويم ومن أكثرها رسوخاً وثباتاً؛ إذ استمر استعماله على مدى أحقاب طويلة من الزمن، واقتبس عنه الإغريق والرومان القدماء تقاويمهم، فالتقويم الفرعوني الذي كان متبعاً في مصر البطلمية، أي في عهد ملوك البطالمة الإغريق هو أساس التقويم الذي استمر مستعملاً في مصر حتى الآن، لتحديد المواسم الزراعية والمناسبات الدينية القبطية، الذي يعرف الآن بالتقويم القبطي، كما سبق أن ذكرنا عند دراستنا للأشهر القبطية.

في سنة 238م أبطل الملك بطلميوس الثالث العمل بهذا النظام بإضافة 5 أيام في نهاية العام، وبدأ العمل بإضافة يوم إلى السنة مرة كل أربع سنوات، وهو التقويم الذي انتقل إلى بلاد الروم، واستمر العمل به حتى تم تطويره على يد يوليوس قيصر في عام 46 ق.م. كما سيرد ذكره عند الحديث عن التقاويم الأوروبية.

ثانياً – التقويم البابلي (BABYLONIAN CALENDER)

تقويم عرف في بلاد الرافدين أو العراق القديم في العهد البابلي، ويمكن أن نطلق عليه اسم التقويم البابلي السومري والتقويم البابلي السرياني، لأنه تقويم تطور بمشاركة كل الحضارات أو الممالك المتعددة التي ازدهرت قديماً في بلاد العراق، ومنها انتقل إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وإلى شبه الجزيرة

العربية عن طريق السريان (سكان سوريا القدماء)، حتى وصل إلى الفينيقيين من سكان سواحل لبنان وفلسطين، الذين نقلوه بدورهم إلى جنوب أوروبا وشمال أفريقيا.

كان البابليون وغيرهم من سكان بلاد العراق القديم يعتمدون على حركة وتغير مراحل القمر لتحديد الأيام والأسابيع والشهور، وتكونت السنة عندهم من اثني عشر شهراً، أي اثنتي عشرة دورة قمرية كاملة، وبلغ مجمل أيامها 354يوماً، غير أن اهتمامهم بتنظيم مواسم الزراعة ومواقيت العبادة دفعهم إلى محاولة التوفيق بين التقويم القمري والتقويم الشمسي، خاصة أن أيام السنة عندهم تتقارب مع أيام سنة الفصول أو السنة الشمسية. حدث ذلك في عهد حكم الملك الشهير حامورابي، الذي أمر بإضافة شهر كبيس بعد كل فترة محددة من الزمن، فكانت البداية بإضافة شهر ثلاث مرات كل ثماني سنوات. ولكن بعد مرور الزمن وجدوا أن تقويمهم القمري يختلف مجدداً مع التقويم الشمسي، فاختلطت مواعيد بدايات الفصول ما اضطرهم إلى كبس شهر آخر. وقد اتصف التقويم البابلي القديم بالغموض وعدم الاستقرار، حتى عام 380 ق.م. عندما ثبتوا نظام الكبس، وأصبحت السنة عندهم تبدأ بشهر نيسانو (NISANU) الذي يتوافق مع بدايات الربيع.

جعل البابليون في تقويمهم القمري الشمسي (LUNISOLAR CLAENDER) السنة تتكون من 12 شهراً، مدة كل شهر منها 30 أو 29 يوماً على التوالي. أي تكون مدة الشهر 30 يوماً، ومدة الشهر الذي يليه مباشرة 29

يوماً.. وهكذا حتى آخر شهر من السنة. تزامن تنظيمهم هذا مع نفس التنظيم الذي ظهر في مصر الفرعونية، غير أنهم سبقوا الفراعنة في استعمال الأسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية، أي أنهم ابتكروا (النظام الستيني)، المعروف بتقسيم الساعة إلى ستين دقيقة، والدقيقة إلى ستين ثانية، وتقسيم الدائرة إلى 360 درجة.ولا يخفى على الملاحظ تقارب عدد درجات الدائرة من عدد أيام السنة.

لقد كان للحضارة البابلية فضل على الحضارة الإنسانية بابتكارها نظام الحساب الستيني، وتنظيم الوقت طبقاً لهذا النظام الذي ما زال الناس في كل أرجاء العالم يعتمدون عليه في حساب الزمن، وقياس الزوايا والانحرافات والاتجاهات.

استعمل البابليون والسومريون وغيرهم من سكان وادي الرافدين القدامى هذا التقويم، وعنهم أخذه السريان، الذين نشروه في كل المنطقة الواقعة بين العراق وسواحل البحر المتوسط، بما في ذلك شمال شبه الجزيرة العربية. والتقويم البابلي القديم هو أساس التقويم الشمسي الميلادي المستعمل في كل تلك المناطق من المشرق العربي، الذي تحمل شهوره نفس أسماء الأشهر البابلية السريانية القديمة، كما سبق أن ذكرنا عند دراستنا للأشهر المنقولة عن السريانية.

عن هذا التقويم البابلي السرياني وعن التقويم الفرعوني أخذ الإغريق والرومان في جنوب أوروبا تقاويمهم الأولى، التي شكلت أصول التقويم الشمسي الميلادي المعمول به في أوروبا وفي كل أنحاء العالم في الوقت الحاضر.

ثالثاً ـ التقاويم الآسيوية القديمة:

عرفت القارة الآسيوية، كما عرفت منطقة الشرق الأوسط ومناطق أمريكا الوسطى والجنوبية التقاويم منذ أزمان موغلة في القدم، وتعددت التقاويم لدى كل الحضارات الآسيوية القديمة. وعلى الرغم من اختلافها فقد كان لها قواسم مشتركة متشابهة، بفعل تقاربها وتأثرها ببعضها، واقتباس كل تقويم منها من التقاويم الأخرى في تلك القارة الشاسعة، متعددة الأعراق والحضارات. وسنكتفي في هذه الدراسة بذكر نموذجين فقط منها، هما التقويمان الأكثر شهرة وعراقة بين تقويمات الحضارات الآسيوية القديمة وهما: التقويم الصيني القديم، والتقويم الهندي القديم.

1-التقويم الصيني (THE CHINESE CALENDAR):

أثبت علماء الحفريات والتاريخ القديم، عن طريق نقش دقيق على لوح من العظم، أن الصين القديمة عرفت التقويم الشمسي الذي تكونت السنة فيه من 365 يوماً وربع. وعرفت الصين القديمة أيضاً التقويم القمري الذي يتكون الشهر فيه من دورة قمرية واحدة مدتها 29 يوما ونصف. وذلك في عهد

إمبراطورية شانج (SHANG)، منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد. هذا يعني أن حكام ومفكري تلك الحضارة القديمة كانوا يستعملون التقويم الشمسي في تحديد فصول السنة، والتقويم القمري في تحديد بداية ونهاية كل شهر من شهورها. وتمكن الصينيون القدماء، خلال الفترة الواقعة بين القرن الثامن والقرن الخامس قبل الميلاد، من تحديد نظام الكبس، أي إضافة شهر إلى السنة بعد مرور عدد معين من السنين، ما يثبت أن الصينيين القدماء امتلكوا قدرات علمية في مجال الدراسات الفلكية والرياضية والمناخية مكنتهم من تطبيق نظام الكبس والتوفيق بين التقويمين القمري والشمسي.

خلال القرن الثالث قبل الميلاد حاول الصينيون القدماء معالجة الأخطاء والتعقيدات المتعددة في نظام الكبس، وذلك بابتكارهم تقويماً يعتمد أساساً على رصد دورة تغيرات الطقس (METEOROLOGICAL CYCLE)، فقسموا السنة إلى 24 فترة، تحتوي كل فترة منها على حوالي أسبوعين (نصف شهر تقريباً)، بحيث تتوافق بداية كل فترة مع بداية موسم مظهر معين من مظاهر الطقس.

ونظموا تلك الفترات وميزوها بالأسماء التي تدل عليها، وذلك حسب التنظيم التالي:

1-فترة بداية الربيع	the spring begins
2-فترة مياه المطر	the rain water
3-فترة انتشار الحشرات	the excited insects
4-فترة الاعتدال الربيعي	the vernal equinex

the clear and bright	5-فترة الصحو واللمعان
the grain rains	6-فترة أمطار الحبوب
the summer begins	7-فترة بدايات الصيف
the grain fills	8-فترة امتلاء الحب
the grain in ear	9-فترة الحبوب في السنبلة
the summer solstice	10-فترة الانقلاب الصيفي
the slight heat	11-فترة الحرارة الخفيفة
the great heat	12-فترة الحرارة العظمى
the autumn begins	13-فترة بدايات الخريف
the limit of heat	14-فترة نهاية الحرارة
the white dew	15- فترة الندى الأبيض
the autumn equinex	16-فترة الاعتدال الخريفي
the cold dew	17-فترة الندى البارد
the hoar frost descends	18-فترة هبوط الصقيع الأشيب
the winter begins	19-فترة بدايات الشتاء
the little snow	20-فترة الثلج الخفيف
the heavy snow	21-فترة الثلج الثقيل
the winter solice	22-فترة الانقلاب الشتوي
the little cold	23-فترة البرد الخفيف
the sever cold	24-فترة البرد القارص

تطلب هذا التقسيم رصداً علمياً دقيقاً لتغيرات الطقس وتوافقها مع توقيت حلول تلك الفترات الزمنية من كل سنة، ما يدل على أن الحضارة الصينية في القرن الثالث قبل الميلاد، أي في عهد حضارة سانج (SUNG)، حققت في مجال الرصد الجوي وفي مجال التقويم الزمني ما لم تتمكن الحضارة الحديثة من تحقيقه والوصول إليه، إلا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، أي في نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث.

إن مدة كل فترة من تلك الفترات الأربع والعشرين تتوافق مع 15 درجة من درجات الدائرة البالغة 360 درجة. وقد رصد الصينيون حركة الشمس التي تسير في اتجاه معاكس لاتجاه حركة النجوم (حركة الأرض حول الشمس)، فوجدوا أن الشمس تستغرق في رحلتها هذه 365 يوماً وربع، واتضح لهم أن الشهر القمري يستغرق مدة 29 يوماً وربع، وبذلك لا يستوعب فترتين كاملتين، تتكون كل واحدة منهما 15 درجة، ما اضطرهم إلى استعمال قاعدة الكبس لشهر واحد، بين أشهر السنة، بعد مضي فترة محددة يحسبونها بدقة. ولهذا ما زلنا نلاحظ، حتى في الوقت الحاضر، أن السنة في التقويم الصيني تحتوي على شهر مكرر بعد مضي عدد من السنوات، وهو نظام مشابه لنظام الكبس في التقويم البابلي وغيره من التقاويم القديمة الأخرى.

بدأ الصينيون القدامى بتحديد الشهور عن طريق الأرقام المتسلسلة من الشهر (1) إلى الشهر رقم (12). وفي بعض الأحيان كانوا يطلقون عليها أسماء بعض الحيوانات المعروفة عندهم، وذلك حسب الترتيب التالي:

HORSE	7-شهر الحصان	RAT	1-شهر الفأر
SHEEP	8-شهر الخروف	OX	2-شهر الثور
MONKEY	9-شهر القرد	TIGER	3-شهر النمر
FOWL	10-شهر الطائر	HARE	4-شهر الأرنب البري
DOG	11-شهر الكلب	DRAGON	5-شهر التنين
PIG	12-شهر الخنزير	SNAKE	6-شهر الأفعى

أطلق الصينيون أسماء هذه الحيوانات على السنوات وعلى ساعات النهار، وما زالت السنوات في التقويم الصيني تحمل أسماء هذه الحيوانات حتى الآن.. ونحن نرى في وقتنا الحاضر كيف تحتفل الصين الحديثة برأس السنة الصينية ويعلنون في احتفالاتهم أنهم يودعون سنة (الفأر) ويستقبلون سنة (الثور).. وهكذا. ويسمون هذا التقويم (ين يانج لي YIN-YANG LI)، أي التقويم القمري الشمسي.

عرف الصينيون التقويم الميلادي الجريجوري (GREGORIAN) منذ سنة 1582م. عندما حملته إلى الصين الجماعات التبشيرية المسيحية من الجزويت (JESUIT)، ولكنه لم يستعمل إلا بعد سنة 1912م، عندما بدأ الصينيون يستعملونه على نطاق واسع، حتى فاق استعماله استعمال التقويم الصيني، الذي أصبح العمل به الآن مقتصراً على المناسبات التراثية الصينية، وحل في المرتبة الثانية بعد التقويم الميلادي.

انتشر تأثير التقويم الصيني قديماً في كل الأقطار المجاورة القريبة من الصين، مثل تايوان واليابان وتايلند وغيرها. كما تأثر التقويم الصيني بالتقاويم الأخرى، وخاصة التقويم الهندي القديم، الذي يؤكد المؤرخون أنه استعمل إلى جانب التقويم المحلي في بعض مناطق الصين على عهد أسرة تانج (TANG)، التي حكمت الصين من سنة 618م إلى سنة 907م. ولكن اهتمام الصينيين بتقويمهم المحلي أو الوطني ما زال متواصلاً، فقد اهتم العديد من علمائهم بهذا التقويم، وكثرت اجتهاداتهم في ضبط تفاصيله عن طريق الحسابات الفلكية التقليدية، حتى أصبح للصينيين اليوم أكثر من مائة نوع من الحساب التقليدي للوقت، أو الروزنامات التقليدية المبنية على التقويم الصيني القديم، الذي أصبح من أهم معالم التراث الذي يتمسك الصينيون بإحيائه والمحافظة عليه.

2-التقويم الهندي (HINDU CALENDAR):

لا يقل التقويم الهندي عراقة عن التقويم الصيني، فقد عرفت الهند القديمة التقويم منذ أكثر من تسعة قرون قبل الميلاد. قسم الهنود منذ تلك العهود الموغلة في القدم السنة إلى 12 شهراً قمرياً، أي إلى 12 فترة زمنية تستغرق كل واحدة منها دورة قمرية كاملة، من مرحلة الهلال إلى مرحلة المحاق، وقد حاول الهنود القدماء حل مشكلة الاختلاف بين السنة القمرية المكونة من 12 شهراً قمرياً، ومجموع أيامها 354 يوماً، وسنة الفصول المكونة من 12 شهراً شمسياً، مجموع أيامها 365 يوماً، وذلك بكبس، أي إضافة، شهر بعد مرور كل 30

شهراً، فتمكنوا بذلك من التقريب بين التقويمين القمري والشمسي. غير أن التقويم الهندي الذي اتخذ شكل التقويم الديني في الديانة الهندوسية هو في الواقع تقويم قمري، تحدد عن طريقه كل المناسبات الدينية الهندوسية، معتمداً على حساب أيام الشهر القمري. وما زال الهندوس يتمسكون بهذا التقويم في تحديد مواعيد عباداتهم ومناسباتهم وطقوسهم الدينية حتى في الوقت الحاضر. ما جعل هذا التقويم القديم معروفاً لدى سكان الهند على اختلاف مللهم ومناطقهم وتعدد معتقداتهم.

لا يخفى التقارب والتشابه بين التقاويم الآسيوية والتقاويم القديمة التي عرفت في العالم العربي وفي أوروبا وفي أمريكا الوسطى والجنوبية. وكذلك التقارب والتشابه بين التقاويم الآسيوية فيما بينها، أي التقاويم التي عرفت في الصين والهند واليابان والتبت وغيرها.

لم يتمكن العلماء من تحديد الحضارة القديمة التي ابتكرت وبدأت العمل بالتقويم، ومنها انتشرت فكرته إلى غيرها من الحضارات، ولكنهم أجمعوا على أن كل تلك الحضارات القديمة كانت مهداً لظهور التقاويم، وأنها تناقلت فيما بينها علوم وتقنيات تنظيم حساب الزمن، بواسطة التقاويم القمرية والشمسية، وتحديد مفهوم اليوم والأسبوع والشهر والسنة، وكل ذلك إبداع في علوم الفلك والتقويم والأرصاد الجوية والحساب. وتم تناقل ذلك الإبداع على مر العصور وعهود التاريخ. بين تلك الحضارات عن طريق السفر والتجارة في أوقات السلم، وعن طريق الغزو والاحتلال والتوسع في السيطرة والحكم في أوقات الحرب

رابعاً – التقاويم الأمريكية القديمة:

عرفت الشعوب الأصلية في الأمريكتين التقاويم الخاصة بهم، التي ازدهرت عند حضارة المايا (MAYAN CALENDAR) في أمريكا الوسطى والجنوبية، وعرفت كذلك عند حضارة الأزتيك التي عرفت تقويماً سمي التقويم الأستيكي (AZTEC CALENDAR). وقد انتشرت تلك الحضارة في المكسيك وبعض مناطق جنوب أمريكا الشمالية. وهي جميعها تقاويم ذات طابع خاص، وأسلوب محدد في تنظيم قياس الزمن، فتقويم حضارة المايا القديمة وحضارة الأزتيك القديمة يتكون من نوعين من التقاويم:

النوع الأول: السنة التقويمية الدينية (تزولكين TZOLKIN)، وتتكون من 260 يوماً، لكل يوم منها اسم ورقم. وقد قسمت السنة عندهم إلى 13 فترة زمنية، في كل فترة منها 20 يوماً.

النوع الثاني: السنة التقويمية المدنية (هاب HAAB)، وتتكون من 365 يوماً، قسمت إلى 18 فترة زمنية، في كل فترة منها 20 يوماً.

نلاحظ هنا بوضوح أن الفترة الزمنية التي تقابل الشهر في التقاويم الأخرى تتكون من 20 يوماً فقط، ما يدل على أن مفهوم الشهر وعدد أيامه اختلف اختلافاً واضحاً عن المفهوم الذي عرف في حضارات العالم القديم، أي في آسيا وأفريقيا وأوروبا، إضافة إلى أن الحضارات القديمة في الأمريكتين

استعملت تقويمين مختلفين متزامنين: أحدهما ديني والآخر مدني، وهو تقسيم لم نشاهده بهذا الوضوح في الحضارات القديمة في العالم القديم.

أضافت حضارتا المايا والأزتيك إلى سنة التقويم المدني (HAAB) خمسة أيام في آخر العام، واعتبروها أيام نحس وتشاؤم وحزن، وكانوا يتقون شرورها بتقديم القرابين للآلهة وبالصيام، ويسمونها أيام (نيمونتيمي NEMONTEMI). وكانت حضارات السكان الأصليين للأمريكتين تطلق على كل يوم من أيام السنة الدينية (تزولكين TZOLKIN) اسماً خاصاً به، وتحدده برقم خاص به أيضاً، وجعلوا لكل فترة زمنية من السنة (الأشهر) إسماً ورقما خاصاً بها أيضاً، ولكنهم لم يجعلوا للسنوات أرقاماً أو أسماء، فاضطروا إلى اتباع أسلوب رياضي معقد ومبهم في قياس مدة الأحداث التاريخية القديمة، وذلك بتقسيم التاريخ القديم إلى أحقاب مختلفة، تحدد بعدد مختلف من الأيام، بحيث لا يستطيع حسابها وتحديد مواعيدها إلا بعض الكهنة المتخصصين.

تتوافق في تقويم المايا، كما هو الحال في تقويم الأزتيك، بداية السنة الدينية المكونة من 260 يوماً، مع بداية السنة المدنية المكونة من 365يوماً، بعد مضي 18980 يوماً، أي مرة كل 52 سنة، ويكون ذلك اليوم عيداً كبيراً ومهماً ومناسبة اجتماعية دينية مقدسة، وذلك لأنه يمثل نقطة التواصل والترابط بين سنوات التقويمين الديني والمدني، وفيه يقومون بالطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية، ويعلنون فيه بداية إيقاد النار المقدسة الجديدة، حيث يقوم كبار الكهنة بإشعال نار جديدة في المعابد، كرمز لإعادة إشعال نار

الإيمان في صدور أتباع الديانة الإزتيكية، وإعلان بداية الصيام المقدس، وهكذا كانوا يستقبلون تطابق اليوم رقم 260 من سنة التقويم الديني (تزولكين) مع اليوم رقم 365 من سنة التقويم المدني (هاب)، ويسمي الباحثون المتخصصون هذا التزامن والتطابق في بداية السنة في التقويمين، الذي يحدث مرة بعد مضي أكثر من نصف قرن، الدورة التقويمية (CALENDAR ROUND).

كان النحاتون من شعب المايا ينحتون على الحجر تواريخ كل الأحداث المهمة في حياة حكامهم وقادتهم وكهنتهم، وكذلك كان يفعل شعب الأزتيك، الذين تفوقوا في هذا المجال. ولعل أشهر منحوتاتهم الحجر الذي يسمى حجر تقويم الأزتيك (aztik calendar)، وهو حجر دائري ضخم يبلغ محيطه 3.7 متر، ويزن حوالي 25 طناً، اكتشف بالقرب من مدينة المكسيك سنة 1790م، وهو من أهم معروضات المتحف الوطني المكسيكي. نحت في وسط هذا الحجر صورة إله الشمس عند الأزتيك (توناتيوه TUNATIUH)، محاطة بأربعة ألواح مربعة تجسد الآلهة القديمة الأربعة، التي تمثل عندهم الأحقاب الأربعة السابقة لتاريخ العالم، محاطة بدائرة أكبر مقسمة إلى عشرين قسماً، تمثل الأيام العشرين المكونة لكل دائرة من الفترات الزمنية في سنة التقويم الديني، تعبيراً عن أهمية هذا التقويم في الديانة الأزتيكية.

انتهى العمل بتقاويم الحضارات القديمة في الأمريكتين بعد استيلاء الأسبان وغيرهم من شعوب أوروبا على العالم الجديد، وتحويل البلاد كلها إلى الحضارة الأوروبية والديانة المسيحية، التي ساد فيها استعمال التقويم الميلادي الشمسي.

ولم تعد التقاويم القديمة معروفة إلا لدى قلة نادرة من بقايا أبتاع الديانات القديمة، أو لدى الدارسين المتخصصين في دراسة الحضارات الأمريكية الآفلة.

خامساً – التقاويم الأوروبية:

عرفت بعض الشعوب الأوروبية التقاويم بعد اتصالها بالحضارتين السريانية والفرعونية على سواحل بلاد الشام والشمال الأفريقي. وكان الإغريق أسبق الشعوب الأوروبية وأكثرها اتصالاً بسكان سواحل لبنان وفلسطين ومصر وليبيا، سواء عن طريق التبادل التجاري أو عن طريق تبادل الغزوات والحروب البحرية.

أخذ الإغريق نظام قياس الزمن عن السريان والفراعنة، وصاغوا تقويماً خاصاً بهم، وعنهم أخذه الرومان وبقية الشعوب الأوروبية. وبما أن نظام الحكم عند الإغريق القدماء كان النظام المعروف باسم (المدينة الدولة)، فقد اختلف التقويم من مدينة إغريقية إلى أخرى، وأصبح لديهم تقاويم متعددة تختلف فيها أسماء الشهور وبدايات السنوات. وقد حاولت أغلب تلك التقاويم التوفيق بين السنة القمرية المكونة من 12 شهراً قمرياً، ومجموع أيامها 354 يوماً، والسنة الشمسية المكونة من 12 شهراً شمسياً، ومجموع أيامها 365 يوماً.

مع بداية القرن الثامن قبل الميلاد تمكن الإغريق من تحقيق تقارب بين التقويمين، بإضافة (كبس) ثلاثة أشهر بعد كل ثمانية أعوام. وبذلك توصل علماء الفلك والرياضيات في أثينا إلى التوفيق بين سنة تقويمهم وبدايات

الفصول الأربعة، وجعلوا السنة تبدأ مع بزوغ أول هلال بعد يوم الانقلاب الصيفي.

يبدو أن الرومان أخذوا عن الإغريق نظام التقويم، وإن كان بعض المؤرخين يؤكدون أن الرومان عرفوا نظام التقويم عن طريق اتصالهم بالإغريق وعن طريق احتكاكهم بشعوب البحر المتوسط الأخرى مباشرة. وتقول المعتقدات الخرافية عند الرومان القدماء إن أول من استعمل التقويم ونظام حساب الزمن كانت الشخصية الأسطورية رومولوس (ROMULUS)، الذي تقول الأساطير الرومانية القديمة إنه أول من حكم روما.

كان التقويم الروماني القديم قد عرف في بلاد الروم منذ 700 سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وكان تقويماً يختلف عن التقويم اليوناني القديم في بعض جوانبه، فقد كانت السنة في التقويم الروماني القديم تتكون من عشرة أشهر، ومجموع أيامها عندهم 304 أيام، وكانت تبدأ بشهر مارس، أي مع بداية فصل الربيع، وكان ترتيب أشهر السنة الرومانية القديمة كالآتي:

1-مارس	MARTIUS	6-سكستيليس	SIXTILIS
2-أبريل	APRILIS	7-سبتمبر	SEPTEMBER
3-مايو	MAIUS	8-أكتوبر	OCTOBER
4-يونية	JUNUS	9-نوفمبر	NOVEMBER
5-كنتيليس	QUINTILIS	10-ديسمبر	DECEMBER

في أواخر القرن السابع قبل الميلاد أمر الحاكم الروماني نوما بومبيليوس (NUMA POMPILIUS) بإضافة شهرين في بداية العام، هما شهر يناير (JANUARY) وشهر فبراير (FEBRUARY)، فأصبحت السنة في التقويم الروماني تتكون من اثني عشر شهراً، ومجموع أيامها 355 يوماً، فاقتربت بذلك من عدد أيام السنة الشمسية. وبما أن عدد أيام الشهر الواحد في السنة الرومانية القديمة كان 30 و29 يوماً على التوالي، فقد أمر نوما بومبيليوس بكبس (إضافة) شهر بعد مضي كل ثلاث سنوات، وسمي ذلك الشهر المضاف (ميرسيدينوس MERCEDINUS). أدمج هذا الشهر في شهر فبراير، وبالتحديد في يوم 23 أو يوم 24 منه، وألحقت الأيام المتبقية من شهر فبراير بآخر أيام ميرسيدينوس. وهكذا أضاف هذا الكبس زيادة 22 أو 23 يوماً إلى عدد أيام السنة التي تم فيها تطبيق هذه القاعدة الحسابية. واستمر العمل بهذا النظام من التقويم الروماني حتى حلت فترة حكم يوليوس قيصر (JULIUS CAESAR)، حيث أصبح تراكم الخلل الذي أحدثه ذلك النظام يسبب اختلافاً واضحاً في توافق التقويم الروماني مع الفصول؛ إذ أصبح الشتاء يحل في شهر سبتمبر، ويبدأ الخريف في الشهر السابع من السنة. وأخذ المسؤولون عن ضبط حساب الأيام والأشهر يتلاعبون به، ما زاد من اختلاله، وجعل الناس يفقدون الثقة فيه.

خلال سنة 46 ق.م. طلب الإمبراطور يوليوس قيصر من عالم الفلك والرياضيات الإغريقي (سوسينيس SOSIGENEES) أن يتولى مراجعة التقويم الروماني، وتصحيح الخلل في طريقة حسابه. وبعد الدراسة والتمحيص اهتدى ذلك العالم إلى اقتراح إحداث تعديلات جوهرية في ذلك التقويم، نتج عنها

التقويم الشمسي الجديد، الذي أمر الإمبراطور يوليوس قيصر بتطبيقه، وعرف باسمه (التقويم اليولياني JULIAN CALENDAR)، وبدأ تطبيقه والعمل به مع مطلع عام 45 ق.م.

تتكون السنة في التقويم اليولياني من اثني عشر شهراً، مدة كل شهر منها 30 أو 31 يوماً على التوالي، ما عدا شهر فبراير الذي يكون عدد أيامه 28 أو 29 يوماً، لأن مجموع أيام السنة في هذا التقويم 365 يوماً وربع. وتراكم ربع اليوم الزائد يشكل يوماً كاملاً بعد مضي كل أربع سنوات. يضاف هذا اليوم إلى أقصر شهور السنة وهو شهر فبراير في السنة التي عرفت بالسنة الكبيسة (LEAP YEAR)، فيصبح عدد أيامها 366 يوماً. وهذا النظام هو الذي يعمل به حتى يومنا هذا في التقويم الشمسي الميلادي، حيث يكون عدد أيام شهر فبراير 28 يوماً في السنة العادية، المكونة من 365 يوماً، و29 يوماً في السنة الكبيسة المكونة من 366 يوماً.

ولكي يوفق الإمبراطور يوليوس قيصر بين شهور سنة التقويم اليولياني وبداية ونهاية الفصول الأربعة في السنة الشمسية اضطر إلى إصدار أمر بتمديد ايام عام 45 ق.م. إلى 445 يوماً. ولهذا عرف ذلك العام بأنه أطول عام في التاريخ، وعرف عند الرومان بعام الارتباك أو عام الفوضى (THE YEAR OF CONFUSION). وقد أراد الروم أن يكرموا الإمبراطور يوليوس قيصر فأطلقوا اسمه على الشهر (كنتيليسQUINTILIS)، فأصبح اسم هذا

الشهر (يوليو). وتمشياً مع هذا التقليد في تكريم الأباطرة، قرر مجلس الشيوخ الروماني إطلاق اسم الإمبراطور أغسطس على شهر (سكستيليس SEXTILIs). ولكي تتساوى أيام هذا الشهر مع شهر يوليو أمر الإمبراطور أغسطس بأخذ يوم من شهر فبراير، وضمه إلى أيام شهر أغسطس لتصبح 31 يوماً، بدلاً من 30.

استمر تطبيق نظام التقويم اليولياني في كل أوروبا مدة طويلة، تجاوزت 15 قرنا من الزمان، ولكن عدد أيام السنة البالغ 365 يوماً وربع، يزيد في الواقع بمقدار 11 دقيقة و14 ثانية على مدة السنة الشمسية الحقيقية، فأدى تراكم هذه الزيادة البسيطة على مدى أكثر من 500 عام إلى إحداث تفاوت واضح في تحديد بداية ونهاية الفصول الأربعة، فقد سجل في سنة 1580م أن الاعتدال الربيعي حل قبل عشرة أيام من التوقيت المحدد له في التقويم اليولياني. وبناء على اقتراح من بعض علماء الفلك والرياضيات لتصحيح هذا الاختلاف في التقويم اليولياني أمر البابا جريجوري الثالث (GREGORY III) بدمج عشرة أيام إضافية، فجعل يوم 5 أكتوبر من سنة 1582م يكون يوم 15 من ذلك الشهر[1]، بقصد أن يكون الاعتدال القادم في موعده الصحيح.

---

[1] أقدم البابا على زيادة تلك الأيام العشرة لشهر أكتوبر لأنه الشهر الذي يحتوي على أقل عدد من المناسبات الدينية الكاثوليكية.

يؤكد بعض المتخصصين أن سنة التقويم الجريجوري (GREGORIAN CALENDAR) هي السنة الأقرب إلى مدة السنة الشمسية الحقيقية؛ إذ أصبح الفرق بينهما في الوقت الحالي لا يتعدى 26 ثانية. وسينخفض مقدار هذا الفرق في المستقبل، حتى يصل إلى حوالي نصف ثانية فقط في كل قرن، وذلك لأن السنة الشمسية الحقيقية تتناقص طبيعياً مع مرور الوقت.

بدأ العمل بالتقويم الجريجوري منذ سنة 1582م في الدول التي تعتنق المذهب الكاثوليكي في أوروبا. أما الإمارات الجرمانية المعروفة في ذلك الوقت، التي لا تعتنق الكاثوليكية فقد استمرت تعمل بالتقويم اليولياني حتى سنة 1752م، ولم تعمل به روسيا وتركيا إلا في عام 1900م. وقد زاد انتشار العمل بالتقويم الجريجوري مع توسع الاستعمار والنفوذ الأوروبي في كل قارات العالم، حتى أصبحنا نطلق عليه اليوم اسم التقويم الشمسي الميلادي، المعمول به في كل أنحاء العالم، وفي المنظمات والمؤسسات الدولية.

وعلى الرغم من أن هذا التقويم الشمسي عرف باسم التقويم الميلادي المسيحي، لأنه ينسب إلى ميلاد عيسى عليه السلام، إلا أن الكنيسة المسيحية ما زالت تستعمل التقويم القمري في حساب مواقيت بعض الأعياد والمناسبات الدينية، وبذلك أصبح للديانة المسيحية نوعان من الأعياد: أعياد ثابتة (IMMOVABLE FEASTS)، تحدد مواعيدها بالتقويم الشمسي الميلادي، مثل عيد ميلاد المسيح عليه السلام، وعيد رأس السنة الميلادية وغيرها، وأعياد متغيرة أو غير ثابتة (MOVABLE FEASTS)، تحدد مواعيدها حسب التقويم

القمري، مثل أربعاء الرماد (ASH WEDNESDAY)، وهو عيد الصوم الكبير، وأحد السعف (PALM SUNDAY)، وهو يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح، الذي يحتفل به المسيحيون لإحياء ذكرى دخول المسيح عليه السلام ظافراً إلى بيت المقدس، حيث نثر في طريقه سعف النخيل. إلى غير ذلك من المناسبات الأخرى. وقد سميت بالأعياد المتغيرة، لأن موعدها قد يتغير من وقت إلى آخر، بحكم اختلاف التقويم القمري عن التقويم الشمسي. أما الأعياد الثابتة فإن موعدها لا يتغير، لأنه حدد حسب التقويم الشمسي الميلادي.

قامت في أوروبا عدة محاولات لتغيير التقويم الميلادي الجريجوري، لم يكتب لها النجاح، لأنها لم تعتمد على دراسة علمية دقيقة، بل جاءت نتيجة لدوافع ونزوات سياسية محلية، من أشهرها ما حدث في فرنسا بعد الثورة الفرنسية وبداية الحكم الجمهوري. وقد سمي ذلك التقويم بالتقويم الفرنسي الجمهوري (FRENCH REPUBLICAN CALENDAR). وقد بدأ العمل به في فرنسا سنة 1793م، التي اعتبرت السنة الأولى لذلك التقويم. ومن أهم ما جاء به ذلك التقويم أنه ألغى نظام الشهر المكون من أربعة أسابيع، وقسم الشهر إلى ثلاث فترات متساوية، سميت عشريات (DECADES)، لأن كل فترة منها تتكون من عشرة أيام، كما غير ذلك التقويم أسماء الأشهر وأسماء الأيام، غير أن العمل به لم يتخط حدود فرنسا، ولم يجد قبولاً عند معظم الناس، ورفضته الكنيسة، وسرعان ما أبطل العمل به رسمياً، ورجعت فرنسا إلى العمل بالتقويم الجريجوري المعتاد، ابتداء من يوم أول يناير 1806م. كما حاولت إيطاليا، تحت حكم موسوليني استحداث تقويم جديد، أطلقوا عليه اسم (التقويم

الفاشستي)، وكانت الجهات الرسمية تؤرخ به المكاتبات والمعاملات والعقود، إلى جانب التقويم الجريجوري الميلادي، وانتهى ذلك التقويم الفاشستي بسقوط الحكم الفاشي في إيطاليا، خلال الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما نسيه الناس، وأصبح جزءاً من الماضي. ثم حدثت بعض المحاولات الأخرى، في أوروبا وفي غيرها، لاستبدال التقويم الميلادي الجريجوري، بتقاويم أخرى (سياسية)، ولكن كل تلك المحاولات لم يحالفها النجاح، وتخلى عنها الناس بمجرد انتهاء فترة حكم النظام السياسي الذي فرضها. وتواصل العمل بالتقويم الميلادي الجريجوري حتى الآن.

سادساً ـ التقويم القمري الهجري:

أخذ سكان شبه الجزيرة العربية عن البابليين والفراعنة العمل بالتقويم وشهوره القمرية، وأطلقوا على تلك الأشهر أسماء عربية، استمر استعمالهم لها على مدى أحقاب طويلة من الزمن، قبل اعتناقهم الإسلام، الذي أنار عقولهم وحثهم على دراسة ومعرفة كل ما يحيط بهم من مظاهر الكون، وسبر أغوارها، وكشف أسرارها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **وَاخْتِلافِ** اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[1].

لم يكن مثل هذا التوجيه السماوي غريباً على سكان شبه الجزيرة العربية، الذين عودتهم حياة البداوة والترحال، وكذلك حياة الانتقال بقوافل التجارة في

---

[1] سورة البقرة، الآية 164.

أرجاء شبه جزيرتهم وما جاورها من مناطق على قوة الملاحظة، ومحاولة فهم كل متغيرات الطبيعة من حولهم، وميلهم الفطري إلى النظر والتمعن في كل ما يطرأ على هيئة السماء والأرض والبحر والمخلوقات من تغير وتبدل. لقد كان العرب من أكثر شعوب الأرض دقة في الملاحظة، ورصداً لحركة النجوم في السماء، وتقلب الرياح والسحب، وتبدل حالات الطقس من حر وبرد، وتغير مظاهر النباتات والكائنات الأخرى على سطح الأرض.

عندما وصل التوجيه الديني إلى العرب من خلال العديد من آيات القرآن الكريم، التي تحثهم على الاهتمام بمظاهر الكون وأنماط الحياة، كان ذلك التوجيه منسجماً مع ما لديهم من ميل فطري جبلوا عليه. ولعل في ذلك ما يفسر الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون للعديد من العلوم والدراسات الطبيعية والاجتماعية، وازدهارها المتميز في الحضارة الإسلامية، على الرغم من ظهور بعض الفقهاء، الذين تمسكوا بآراء تحث على دراسة "العلوم الدينية"، المتعلقة بالعقائد والعبادات والتفسير وغيرها، وتدعو، في مقابل ذلك، لترك العلوم الدنيوية، مثل الكيمياء والفيزياء والرياضيات والعلوم الإنسانية، مثل الفلسفة والتاريخ والجغرافيا، غير أن العديد من المفكرين والدارسين والعلماء المسلمين لم تثنهم تلك الآراء والدعوات المنغلقة عن دراستهم وتعلمهم وتميزهم في العديد من "العلوم الدنيوية"، وتمكنهم من الإسهام بها في إنارة آفاق الحضارة الإنسانية.

توارث العرب منذ عصور الجاهلية الأولى العديد من المعلومات عن التقاويم وحساب الزمن، عن طريق الأيام والأسابيع والشهور، فحددوا بها مواسم

الزراعة والرعي وتنقلات القوافل بالتجارة، ونظموا بها مواقيت المناسبات والأعياد والعبادات وغيرها.

وقد قاموا بتحديد وقياس مواقيت تلك الأحداث والمواسم مستعينين برصد حركة الكواكب والنجوم، وتعاقب فترات الحرارة والبرودة ونمو النباتات وهجرة الطيور وغيرها من مظاهر الطبيعية التي يعيشون فيها، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب في حياتهم القديمة البسيطة، حيث الارتباط بالأرض، والاعتماد شبه الكلي على الطبيعة وما تحويه من موجودات، فالمعرفة والمعلومات عن التقاويم والمواقيت تضرب بجذورها بعيداً في أعماق التاريخ البشري، منذ أن كان أجداد البشر الأوائل يعيشون حياتهم البدائية البسيطة. وقد تراكمت تلك المعلومات والخبرات في ثقافتنا جيلاً بعد جيل، فأصبحت تشكل جزءاً مهماً من تراثنا، دون أن يعلم الكثير منا مصدرها، والطريقة التي وصلت بها إلينا.

إن الكم الهائل من المعارف التراثية لم يكن كله ناتجاً عن المشاهدات والمبادرات التي يقوم بها الناس العاديون، أثناء مزاولة مهنهم وأعمالهم في مجالات الرعي والزراعة والصيد والتجارة وغيرها، بل إن جزءاً كبيراً من ذلك التراث كان نتيجة جهد وعمل الدارسين والعلماء الذين تمكنوا من تحقيق العديد من الاكتشافات والابتكارات، بعد أن تمكنوا من الاطلاع على ما توصلت إليه بعض الحضارات السابقة، مثل حضارة بلاد الرافدين وبلاد اليمن وبلاد الشام وبلاد وادي النيل، وعلى ما حققته الحضارات الإغريقية والرومانية وغيرها من

الحضارات التي احتكوا بها على سواحل البحر المتوسط ، شرقه وغربه، وكذلك على بعض ما عرفته الحضارات الهندية والفارسية التي احتكوا بها في المناطق الشرقية من بلاد الإسلام، وتناقل الناس تأثيراتها ومكتسباتها حتى بلغت بلاد المغرب والأندلس.

وقد ازداد اهتمام العرب بالتقويم وقياس الزمن منذ البدايات الأولى لانتشار الإسلام، لأن دعوة آيات القرآن الكريم إلى التعلم ومعرفة أسرار الكون والحياة كانت دعوة صريحة ومباشرة وقوية، وقد أدى تشجيع أغلب الخلفاء وأولياء الأمر من المسلمين على الاجتهاد والتعمق في العلم والمعرفة، إلى تطور دراسات حساب الزمن والتقويم تطوراً ملحوظاً، فلم يكتف العلماء المسلمون بما استمدوه من الحضارات القديمة، بل طوروه وصوبوا أخطاءه. ويرجع الفضل إليهم في الفصل بين علوم الفلك والرياضيات وبين التنجيم، وأثبتوا أن التنجيم خرافة مبنية على الوهم، لا يقرها العقل السليم، ولا تؤيدها قواعد العلم، بينما الفلك وحساب التقاويم علوم لها قواعدها وأساليبها المقننة ونتائجها الواقعية الثابتة المؤيدة بالبرهان العلمي المنطقي.

وكان من نتائج تطبيق منهج البحث العلمي الإسلامي التجريبي أن تمكن العلماء المسلمون من تعديل وتصويب الكثير من النظريات والآراء والمعلومات الواردة في الكتب التي ترجموها عن الفرس والروم وغيرهم. كما اكتشفوا العديد من الكواكب والنجوم، وتتبعوا حركتها، وحددوا مساراتها، وقالوا بكروية الأرض،

ودورانها حول محورها، وكتبوا العديد من الأزياج[1]، التي تحدد حسابياً حركة النجوم وحركة الشمس والقمر، وتسجل التقاويم الصحيحة لقياس الزمن وضبط الوقت، حتى أن البتاني[2] ضبط حساب السنة بدقة متناهية، وأكد أنها تتكون من 365 يوماً و5 ساعات و46 دقيقة، و24 ثانية، وهو قياس حسابي لا يبتعد عن الحسابات الحديثة التي أجريت بواسطة الأجهزة الإلكترونية والأقمار الصناعية، التي أثبتت أن حساب البتاني –رحمه الله– لا ينقص إلا بمقدار دقيقتين وعشرين ثانية فقط.

التقويم العربي الهجري هو في الواقع تطوير للتقويم القمري القديم، حيث تحتوي السنة على 12 شهراً قمرياً، يبدأ كل شهر منها ببزوغ الهلال، وينتصف مع اكتمال البدر، وينتهي مع المحاق، أي الاختفاء الكلي للقمر، فيمثل بذلك دورة كاملة للقمر بكل مراحله، من الهلال إلى المحاق، وتستغرق تلك الدورة 29 ونصف يوم تقريباً. ولهذا كانت مدة الأشهر القمرية 30 أو 29 يوماً، وتحتوي السنة القمرية على 354 يوماً، أي أنها تنقص عن عدد أيام السنة الشمسية بمقدار أربعة أيام تقريباً، فالسنة الشمسية تحتوي على أكثر قليلاً من 12 شهراً

---

[1] مفردها زيج، وهو جدول تحدد بواسطته مسارات النجوم في الفلك، ومواعيد ظهورها واختفائها المستعملة في حساب التقاويم والفصول.

[2] هو العالم الفلكي والرياضي محمد بن البتاني المتوفى عام 929م. والذي ترجمت بعض أعماله إلى اللغة اللاتينية، ونالت شهرة واسعة في أوروبا، خلال القرن الثاني عشر الميلادي. وقد عرف عند الأوروبيين باسم الباتينيوس (AL BATEGNIUS).

قمرياً[1]. وهذا ما جعل حساب التقويم القمري لا يتوافق مع مواعيد بداية ونهاية الفصول الأربعة بشكل ثابت، ما اضطر الذين يتبعون التقويم القمري إلى نسيء أو إضافة شهر واحد، بعد مضي كل عدد محدد من السنوات، وذلك بقصد التوفيق بين سنة التقويم القمري وسنة التقويم الشمسي أو سنة الفصول. وقد عمل العرب القدامى بهذا النظام منذ سنة 380 ق.م. وسموه النسيء لفترة من الزمن، إلى أن حرمه الإسلام وأبطله، كما سبق أن ذكرنا عند دراستنا للأشهر القمرية الهجرية.

عرف العرب القدماء الشهور القمرية منذ زمن بعيد، قبل ظهور الإسلام، غير أنهم لم يستعملوا حساباً دقيقاً للسنوات، فكانوا يؤرخون بأحداث بارزة مهمة، حدثت في حياتهم، يسمون بها السنوات التي حدثت فيها، فالعام الذي غزا فيه أبرهة الحبشي مكة المكرمة، مستعملاً الفيلة، سماه العرب عام الفيل، وهو الموافق لسنة 570م[2]. وبهذه الطريقة كانوا يؤرخون لما يمر بهم من أحداث، ويقولون إن هذا الأمر أو الحدث وقع في شهر كذا من سنة كذا، أو بعدد كذا من السنوات قبل ذلك العام المحدد أو بعده. ولكن هذا النمط من حساب الأعوام في التقويم القمري العربي القديم لا يتصف بالثبات والدقة، لأنهم كانوا يضطرون إلى تغيير العام الذي يؤرخون به إذا تقادم ونسي الناس ذلك الحدث مع مرور الزمن، خاصة إذا حدث بعده أمر آخر بارز ومهم في حياتهم،

---

[1] بالتحديد 12.37 شهراً قمرياً..

[2] ولد النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا العام يوم 21 مايو 570 م.

فيتركون التأريخ بالحدث القديم، ويبدءون التأريخ بحدث جديد. ويقول المؤرخون إن أول حدث أرخ به العرب هو بناء الكعبة، الذي يقدرون أنه يوافق 1820 ق.م. تقريباً. ثم تركوا التأريخ به وأخذوا يؤرخون بحدث مهم آخر هو انهيار سد مأرب، الذي حدث تقريباً في عام 1200 ق.م. وبعد أن تقادم العهد بهذا الحدث مع الوقت، أخذوا يؤرخون بعام الفيل الموافق لسنة 570 م، ثم أرخوا بعام تجديد بناء الكعبة وهو العام الموافق لسنة 650 ميلادية.

بعد ظهور الإسلام استمر العرب المسلمون يؤرخون ببعض الأحداث الإسلامية المهمة، مثل: عام الجهر بالدعوة، وعام الإذن بالهجرة، وعام الأمر بالقتال، وعام البراءة، وعام حجة الوداع، وعام فتح مكة.. وهكذا، إلى أن حل عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب، فأعلن اتفاق المسلمين على بداية التقويم الهجري الذي يبدأ بتاريخ هجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه من مكة إلى يثرب، وكانت تلك البداية توافق يوم الجمعة الأول من شهر محرم للسنة الأولى للهجرة، الموافق ليوم الجمعة 16 يوليو (تموز) سنة 622 ميلادية. وهكذا بدأ العمل بالتقويم الهجري، وهو التقويم القمري العربي الإسلامي، الذي تواصل العمل به منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا. وقد اعتدنا أن نسميه التقويم القمري الهجري، وإن كان يعرف عند غير المسلمين بالتقويم الإسلامي.

استعمل المسلمون، منذ عهد خلافة عمر رضي الله عنه، هذا التقويم في كل معاملاتهم الرسمية والدينية، وفي تسجيل وتوثيق كل أمورهم العامة

والخاصة، ولم يستعملوا تقويماً غيره حتى العصر الحديث، وبالتحديد خلال القرن التاسع عشر الميلادي، عندما احتل المستعمرون الأوروبيون أغلب البلاد الإسلامية، وفرضوا عليها استعمال التقويم الشمسي الميلادي الجريجوري، فبدأ المسلمون يستعملون التاريخ الميلادي إلى جانب التاريخ الهجري في المعاملات الرسمية. أما المناسبات والعبادات الدينية الإسلامية فقد استمر تحديدها وتوثيقها بالتاريخ الهجري. ولابد أن ننوه هنا بأن البلاد الإسلامية التي لم تقع تحت نير الاستعمار الأوروبي، مثل المملكة العربية السعودية، ما زالت تعتمد التاريخ الهجري، ولكنها تستعمل إلى جانبه التاريخ الميلادي، خاصة في أمور علاقتها بالدول والمؤسسات والشركات الأجنبية.

استمر العمل بالتقويم الهجري في ليبيا حتى سنة 1911م، عندما احتلت إيطاليا البلاد، وفرضت استعمال التاريخ الميلادي، كتقويم رسمي، وألزم الناس باستعماله في كل الأمور والمعاملات الرسمية، فكانت كل المعاملات تؤرخ بالتاريخ الميلادي الجريجوري وإلى جانبه التاريخ الهجري الموافق له. وقد استمر هذا الوضع حتى إعلان استقلال المملكة الليبية في 24 ديسمبر 1951م، فأعيد العمل بالتقويم الهجري كتقويم رسمي في ليبيا، ويكتب إلى جانبه ما يوافقه من التاريخ الميلادي، وهو النظام المعمول به حتى الآن، مع ملاحظة أن أغلب الليبيين الآن يستعملون التاريخ الميلادي، ولا يؤرخون بالتقويم الهجري إلا نادراً، حيث اقتصر استعماله على المكاتبات والمعاملات الحكومية الرسمية، ويكتب إلى جانبه ما يوفقه من التاريخ الميلادي. أما المناسبات والأعياد الدينية الإسلامية فهي تحدد وتوثق حسب التقويم الهجري.

سابعاً- التقاويم التراثية في ليبيا:

فيما سبق رأينا كيف أن التقويم القمري الهجري والتقويم الشمسي الميلادي يستعملان في ليبيا على الصعيد الرسمي أو القانوني، ويستعمل الليبيون التقويم الهجري على الصعيد الشعبي، غير أنهم كانوا يعطون للشهور القمرية الهجرية أسماء شعبية عامية، تعارفوا عليها فيما بينهم، خارج نطاق المعاملات الرسمية. وقد سبق أن وضحنا باختصار أسماء تلك الشهور ومواطن الاختلاف بينها وبين أسماء الأشهر القمرية الهجرية المعروفة. لقد حرف الليبيون أسماء بعض الأشهر الهجرية، ولكنهم لم يغيروا التاريخ أو التقويم بالسنة الهجرية. فمثلاً عندما كان يتحدث أحد الليبيين الأميين في الزمن الماضي عن أمر معين حدث في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة عام 1320 هجرية، فإنه يقول إن ذلك الأمر حدث في اليوم العاشر من شهر (ما بين العياد) عام 1320هـ، أي أنهم في استعمالهم الشعبي للتقويم، وخاصة بين الأميين منهم، يستعملون التاريخ الهجري كما هو، مع تحريف في اسم الشهر فقط، وبدون أي تحريف أو تغيير لأجزاء التقويم الهجري الأخرى.

وكان الرعاة والمزارعون عندما يحددون بعض الأحداث أو المواسم بالتاريخ الشمسي المعروف عندهم تراثياً بالتاريخ الرومي أو العجمي، يستعملون اليوم والشهر، ولا يستعملون السنة، لأنهم في العادة يؤرخون بالسنة الهجرية، فيقول أحدهم مثلاً: "إن ذلك الأمر حدث يوم 20 تكوبر، أي أكتوبر من سنة كذا، ويحددها بالتقويم الهجري.

كان بعض الليبيين قديما يحددون السنة بحدث بارز ، حدث خلالها، مثل عام (جيت الطليان)، وهو عام 1911م، أو عام (تشنيقة عمر المختار) أي عام 1931م. أو غيرها من الأحداث المهمة التي قد تختلف من منطقة إلى أخرى. وقد عرفنا أن هذا النوع من التقويم المحلي القديم في التراث الليبي، كان معروفاً ومستعملاً بين قبائل شبه الجزيرة العربية قبل استعمال التقويم القمري الهجري.

لم يعد بين الليبيين اليوم من يؤرخ بالأحداث المهمة، بما في ذلك كبار السن منهم، فهم يستعملون التاريخ القمري الهجري، أو التاريخ الشمسي الميلادي، أو كليهما. غير أنني أود أن أسجل هنا أنني سمعت بأذني كبار السن في بنغازي والمناطق المحيطة بها، في خمسينيات وستينيات القرن العشرين الميلادي من يروي ويتحدث عن بعض الوقائع والأحداث، ويحدد تاريخ وقوعها فيقول إنها حدثت عام (هجة الطليان) أو عام (القرامات) أو عام (جيت الأمير)، إلى غير ذلك من الأحداث التي مرت بهم. وأعتقد أن ذلك لا يعد أمراً غريباً، لأن نسبة الأمية في ليبيا كانت في ذلك الوقت مرتفعة جدا (أكثر 85%).

عرف الليبيون التقويم الشمسي قبل أن يعرفوا التقويم القمري الهجري، ويسمى التقويم الشمسي الميلادي المعروف في التراث الليبي بتقويم السنة الرومية أو تقويم السنة العجمية، وهو تقويم قديم متوارث أصبح اليوم معلماً من معالم التراث الشعبي الليبي، مثله مثل التقويم القبطي في التراث الشعبي

المصري، والتقويم السرياني في التراث الشعبي السوري واللبناني والفلسطيني والأردني.

وقد استعمل التقويم الشمسي الميلادي في ليبيا منذ أحقاب تاريخية قديمة جداً، نتيجة للتواجد الإغريقي الروماني القديم في كل الشمال الليبي، وتأثر الليبيين بالحضارتين الإغريقية والرومانية، طوال الفترة الزمنية الممتدة من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي. وقد انتهت تلك الفترة بوصول العرب المسلمين فاتحين[1]، فحلت الثقافة العربية الإسلامية محل الثقافة الرومانية البيزنطية في كل أرجاء ليبيا، وكان ذلك في عهد آخر الرومان البيزنطيين في البلاد. وهذا يعني أن آخر عهد الليبيين بالتقويم الروماني كان خلال فترة العمل بالتقويم اليولياني، الذي كان عدد أشهر السنة فيه اثني عشر شهراً، حسب تسمياتها المعروفة الآن، التي يبلغ عدد أيامها 365 يوماً. ولهذا لاحظنا أن أسماء الأشهر المستعملة في التراث الليبي هي أسماء محرفة النطق عن أسماء أشهر السنة الشمسية الميلادية المعروفة اليوم. ولا يزال بعض المزارعين والرعاة وبعض المهتمين بالتقويم التراثي الشعبي يعرفونها ويستدلون بها كمواقيت لمواسم الزراعة والرعي وتغيرات الطقس. وهم لا يستعملونها كتقويم متكامل، أي باليوم والشهر والسنة، لأنهم يؤرخون عادة بسنة التقويم الهجري. ولهذا السبب فإن الأشهر الشمسية التي يستعملونها لا تأخذ عندهم معنى الشهور حسابياً إلا لتحديد مواسم الزراعة، وتوقيت حدوث التغيرات المناخية

---

[1] تؤرخ بعض المراجع للفتح الإسلامي لليبيا بسنة 22 هـ (642م.) وبعضها الأخر بسنة 23هـ (643م.)

ومظاهر الطقس في كل فصل من فصول السنة، ويسمونها شهور السنة الرومية أو السنة العجمية، حسب المناطق، فأغلب سكان المناطق الغربية يسمونها السنة العجمية، وأغلب سكان الشرق والجنوب يسمونها السنة الرومية. وبما أن حسابهم للتأريخ ولتسجيل وتوثيق معاملاتهم الدنيوية والدينية، يكون عادة بالأشهر والسنوات القمرية الهجرية، فإن عدد أيام السنة الرومية أو العجمية التي يستعملونها تقل عن أيام السنة الشمسية الميلادية بمقدار 13 يوماً، ولهذا فإن أول أيام السنة العجمية التراثية، أي أول يوم من شهر أي النار أو (أينار) يوافق يوم 14 يناير من السنة الميلادية. ومهما يكن هذا الاختلاف فإنهم لا يهتمون به كثيراً لأنهم لا يعتبرون أشهر السنة العجمية أو الرومية إلا كمواقيت لبداية ونهاية الفصول ومواسم الزراعة ومواعيد تغيرات الطقس. يقول الأستاذ عبد السلام قادربوه: "إن هذا الحساب بالتقويم الرومي أو العجمي يسمى (حساب عبد السيد)، ويقول إنه شخصية تحتاج إلى بحث ودراسة. وقد استفسرت مراراً عن شخصية عبد السيد هذا، في العديد من مناطق ليبيا، فلم أجد لسؤالي أي إجابة واضحة، وإن كان بعضهم قال لي إنه سمع بهذا الاسم، وأن له علاقة بالتقويم الشعبي، ولكنه لا يعرف حقيقته، أو الزمن الذي وجد فيه. ولهذا فإنهم يعتقدون أنه شخصية أسطورية[1]. ومما يؤكد هذا الاعتقاد ما نجده عند سكان أقصى الغرب الليبي، بالقرب من الحدود التونسية، الذين يطلقون على حساب المواسم والمواقيت في التقويم التراثي القديم، بواسطة أشهر

---

[1] عبد السلام إبراهيم قادربوه، مقاعد أصحاب الصوب، رحلة في عالم المأثورات الشعبية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1997م، ص296.

السنة العجمية، اسم (حساب غيلان). وعندما استفسرت عن من هو غيلان هذا؟ لم أجد جواباً شافياً، وقيل لي إنه اسم أطلقه الأقدمون على هذا الحساب.. وسنستعرض هنا بعض المواسم والمواقيت المحددة في ليبيا عن طريق التقويم الشمسي التقليدي، أي عن طريق شهور السنة الرومية أو العجمية

التقويم التراثي الليبي (السنة الرومية أو العجمية) وما يقابلها بالتقويم الميلادي الجرجوري

(1) يناير – يونية

يناير	أي النار	فبراير	فورار	مارس	مارس	أبريل	ابرير	مايو	ميو	يونية	جونو
14	1	14	1	14	1	14	1	14	1	14	1
15	2	15	2	15	2	15	2	15	2	15	2
16	3	16	3	16	3	16	3	16	3	16	3
17	4	17	4	17	4	17	4	17	4	17	4
18	5	18	5	18	5	18	5	18	5	18	5
19	6	19	6	19	6	19	6	19	6	19	6
20	7	20	7	20	7	20	7	20	7	20	7
21	8	21	8	21	8	21	8	21	8	21	8
22	9	22	9	22	9	22	9	22	9	22	9
23	10	23	10	23	10	23	10	23	10	23	10
24	11	24	11	24	11	24	11	24	11	24	11
25	12	25	12	25	12	25	12	25	12	25	12
26	13	26	13	26	13	26	13	26	13	26	13
27	14	27	14	27	14	27	14	27	14	27	14
28	15	28	15	28	15	28	15	28	15	28	15
29	16	**3/1**	16	29	16	29	16	29	16	29	16
30	17	2	17	30	17	30	17	30	17	30	17
31	18	3	18	31	18	**5/1**	18	31	18	**7/1**	18
2/1	19	4	19	**4/1**	19	2	19	**6/1**	19	2	19
2	20	5	20	2	20	3	20	2	20	3	20
3	21	6	21	3	21	4	21	3	21	4	21
4	22	7	22	4	22	5	22	4	22	5	22
5	23	8	23	5	23	6	23	5	23	6	23

جونو	يونية	ميو	مايو	ابرير	أبريل	مارس	مارس	فورار	فبراير	أي النار	يناير
24	7	24	6	24	7	24	6	24	9	24	6
25	8	25	7	25	8	25	7	25	10	25	7
26	9	26	8	26	9	26	8	26	11	26	8
27	10	27	9	27	10	27	9	27	12	27	9
28	11	28	10	28	11	28	10	28	13	28	10
29	12	29	11	29	12	29	11	–	–	29	11
30	13	30	12	30	13	30	12	–	–	30	12
–	–	31	13	–	–	–	13	–	–	31	13

(2) يوليو – ديسمبر

يوليو	لوليو	أغسطس	أزغسطس	سبتمبر	اشتمبر	أكتوبر	تكوبر	نوفمبر	نونمبر	ديسمبر	اقجمبر
14	1	14	1	14	1	14	1	14	1	14	1
15	2	15	2	15	2	15	2	15	2	15	2
16	3	16	3	16	3	16	3	16	3	16	3
17	4	17	4	17	4	17	4	17	4	17	4
18	5	18	5	18	5	18	5	18	5	18	5
19	6	19	6	19	6	19	6	19	6	19	6
20	7	20	7	20	7	20	7	20	7	20	7
21	8	21	8	21	8	21	8	21	8	21	8
22	9	22	9	22	9	22	9	22	9	22	9
23	10	23	10	23	10	23	10	23	10	23	10
24	11	24	11	24	11	24	11	24	11	24	11
25	12	25	12	25	12	25	12	25	12	25	12
26	13	26	13	26	13	26	13	26	13	26	13
27	14	27	14	27	14	27	14	27	14	27	14
28	15	28	15	28	15	28	15	28	15	28	15
29	16	29	16	29	16	29	16	29	16	29	16
30	17	30	17	30	17	30	17	30	17	30	17
31	18	31	18	10/1	18	31	18	12/1	18	31	18
8/1	19	**9/1**	19	2	19	11/1	19	2	19	**1/1**	19

يوليو	لوليو	أغسطس	أزغسطس	سبتمبر	اشتمبر	أكتوبر	تكوبر	نوفمبر	نونبر	ديسمبر	اقجمبر
2	20	2	20	3	20	2	20	3	20	2	20
3	21	3	21	4	21	3	21	4	21	3	21
4	22	4	22	5	22	4	22	5	22	4	22
5	23	5	23	6	23	5	23	6	23	5	23
6	24	6	24	7	24	6	24	7	24	6	24
7	25	7	25	8	25	7	25	8	25	7	25
8	26	8	26	9	26	8	26	9	26	8	26
9	27	9	27	10	27	9	27	10	27	9	27
10	28	10	28	11	28	10	28	11	28	10	28
11	29	11	29	12	29	11	29	12	29	11	29
12	30	12	30	13	30	12	30	13	30	12	30
13	31	13	31	–	–	13	31	–	–	13	31

أهم المواسم والمواقيت حسب أشهر السنة الشمسية في التراث الليبي:

(1) **رأس السنة الشمسية الميلادية:** هو أول يوم من شهر يناير في السنة الميلادية. يوافق يوم 14 (قجمبر) حسب التقويم العجمي أو الرومي المستعمل في التراث الشعبي الليبي. وبما أن شهر (قجمبر) في هذا التقويم يعادل شهر ديسمبر في السنة الميلادية، فإن الفرق بين التقويمن يبلغ 13 يوماً. ولذلك فإن كل شهر من أشهر السنة الرومية التراثية يبدأ يوم 14 من الشهر الذي يليه من أشهر السنة الميلادية.

(2) **خروج الليالي البيض:** يكون يوم 13 يناير الموافق ليوم (31 قجمبر)، من السنة الرومية التراثية، وعدد الليالي البيض عشرون ليلة، تنتهي بانتهاء العشر الأواخر منها التي تسمى (الكوالح)، لشدة البرد فيها.

(3) **راس السنة الرومية أو العجمية التراثية الليبية:** يوم (أول أي النار)، الموافق ليوم 14 يناير، أي أنه يتأخر ثلاثة عشر يوماً عن بداية السنة الميلادية، حسب القاعدة التي سبق ذكرها.

(4) **دخول الليالي السود أو (السعد):** أول شهر (أي النار)، أي نفس يوم رأس السنة التراثية الموافق ليوم 14 يناير. وتبدأ بالعشر الأوائل منها، وتسمى (الموالح)، لأن الناس تستملحها، أي تتعود على شدة بردها. وآخر أيام (الموالح) هو يوم (10 أي النار)، الموافق ليوم 23 يناير.

(5) **خروج الليالي السود (السعد)**: يوم 20 (أي النار)، الموافق ليوم 3 فبراير، وتنتهي بالعشر الأواخر منها وتسمى (الصوالح)، لصلاح حال المراعي والزرع فيها، لأنه يبدأ بالنمو والارتفاع عن الأرض، وامتلاك القدرة على مقاومة تغيرات الطقس.

(6) **قرة العنز**: مدتها أربعة أيام، هي الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر (أي النار) واليوم الأول من (فورار)، حسب تقويم السنة العجمية التراثية، أي تكون مدتها من 11 إلى 14 فبراير، حسب التقويم الميلادي. ويقول الرعاة إنها سميت (قرة العنز) لأن الماعز يتأثر خلالها بالبرد، ويصاب بالقرّ. ويرددون حكاية أو طرفة شعبية مفادها أن العنز خاطبت شهر (أي النار) في آخر يوم فيه قائلة: (هلبتك يا أي النار)، أي أنها تجاوزت أيام قرة العنز في هذا الشهر، وهي الأيام الثلاثة الأخيرة منه، ولم تتأثر كثيراً ببردها، فيرد عليها (أي النار) محذراً: (اسلفتلك يوم من خوي فورار)، أي استعرت لك يوماً من أخي شهر فورار. ولهذا يسمون أول يوم من شهر فورار بيوم (السلف)، وهو يوافق يوم 14 فبراير من السنة الميلادية.

وتواكب أيام (قرة العنز) أيام أخرى تسمى (العزارة)، ومدتها عشرة أيام، تنتهي في اليوم الثالث عشر من شهر فبراير، حسب التقويم الميلادي. وخلال هذه الفترة من السنة يدقق الفلاحون والرعاة في مراقبة الجو، فإذا هطلت خلالها أمطار غزيرة، استبشروا بالعام، وينتظرون أن يكون عام خير، أي يغزر فيه الزرع وعشب المراعي وإنتاج أشجار الفاكهة. ويورد الأستاذ عبد السلام قادربوه

في كتابه سابق الذكر، للتدليل على ذلك بيتين من الشعر الشعبي المتداول يقولان:

ان كان قرة العنز هل ماها   يصير نوار ويصير الربيع

وكان قرة العنز ما هل ماها   الناقة تتجرب والحوار يضيع

(7) **نزول جمرة الهوا:** تسمى في بعض مناطق ليبيا (جمرة النوار)، وتوافق يوم 7 فورار، أي 20 فبراير حسب التقويم الميلادي، وهي بداية فترة الدفء في الجو، التي يصاحبها تفتح كل ما لم يتفتح بعد من أزهار الربيع (النوار). ويقولون (ما بعد فورار نوار). وهي توافق نهاية (زبر) تقليم أشجار كروم العنب.

(8) **نزول جمرة الماء:** وهي نهاية فصل الشتاء في التقويم الرومي العجمي التراثي، وتكون يوم 14 فورار، الموافق ليوم 27 فبراير، ودخول فصل الربيع في (15 فورار)، الموافق ليوم 28 فبراير. وخلال هذه الفترة تمنع الأغنام من رعي الأعشاب، قبل ارتفاع الشمس وبداية فترة الضحى، وجفاف أعشاب المراعي من الرطوبة. ويقول الرعاة إن الطل الساقط على العشب يصيب الأغنام بداء (الجعام)، وهو مرض يصيب الضأن، يصعب علاجه، وتصاب به الشاة إذا أكلت العشب قبل أن يجف وتزول عنه الرطوبة.

(9) **نزول جمرة التراب:** يوافق يوم (21 فورار)، أي يوم 6 مارس حسب التقويم الميلادي، وهي فترة تهب خلالها رياح جنوبية أو جنوبية شرقية، مثيرة للغبار،

فتنتشر الأتربة في الجو، مع احتمال أن يعقبها سقوط أمطار، غالبا ما تكون خفيفة، يطلقون عليها اسم (دموع القبلي).

(10) **رياح الحسوم:** تسمى في بعض مناطق ليبيا (المباركات)، من باب التفاؤل، كما يقال للمريض (سليم) وللفحم (بياض) وللنار (عافية).إلخ. وتبدأ فترة الحسوم يوم (26 فورار) الموافق ليوم 11 مارس من التقويم الميلادي، وتنتهي يوم (5 مارس)، الموافق ليوم 18 مارس حسب التقويم الميلادي. ويقولون إن مدتها تستغرق سبع ليالي وثمانية أيام حسب النص القرآني {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ **صَرْصَرٍ** عَاتِيَةٍ **سَخَّرَهَا** عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}[1]. وهم يتشاءمون منها، ولا يبدؤون فيها أي عمل جديد، وكانوا قديما لا يدخرون من السمن الذي يجمعونه من المخيض خلال تلك الأيام، ويتسهلكونه في حينه، ولا يضيفونه إلى ما يدخرونه من السمن الذي يجمعونه في موسم الربيع، ويدخرونه للفصول الأخرى، التي لا يكون فيها (درّ)، أي التي لا يتوفر فيها الحليب والمخيض، لاعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى لا يبارك فيه، لأنه جمع في أيام الحسوم المشؤومة أو (المباركات)، وابتدأ من نزول جمرة التراب، يوم 21 فورار، الموافق (6 مارس)، أي يوم الاعتدال الربيعي يوم (8 مارس)، الموافق 21 مارس في التقويم الميلادي، فينصحون بالتوقف عن غرس الأشجار. وإذا اضطر بعض المزارعين إلى زراعة شتول الأشجار الجديدة خلال تلك الفترة،

---

[1] سورة الحاقة، الآيات 6، 7، 8.

وجب عليهم حمايتها جيداً من الرياح، وهي رياح متقلبة في اتجاهها وسرعتها، فخلال ساعات قليلة يمكن أن تتغير سرعتها واتجاهاتها، ولا تستقر على حال. ولهذا يوصف الشخص متقلب المزاج متعدد الانفعالات، بأنه مثل (رياح المباركات).

(11) **الاعتدال الربيعي:** يوم 8 مارس حسب التقويم الرومي أو العجمي التراثي، الموافق ليوم 21 مارس من التقويم الميلادي، وفيه تتساوى ساعات الليل والنهار، ويستبشر الليبيون بسقوط المطر خلال شهر مارس كله، خاصة إذا كان غزيراً، لأنه يفيد اكتمال نمو حبوب القمح والشعير في سنابلها، ويفيد نمو أشجار الزيتون، ويكثر إنتاجها، خاصة الزيتون (البعلي)، أي الذي يعتمد على مياه المطر فقط، ولا يروى، كما يطيل عمر الربيع، أي زيادة الفترة التي تبقى فيها الأعشاب مخضرة، ويتوفر المرعى الجيد للمواشي. ولهذا يقال (مطر مارس ذهب خالص)، ويقول سكان الجبل الأخضر، حيث يتأخر موسم الحرث والحصاد قليلاً عن بقية المناطق الأخرى (مطر مارس تطلّع الزرع الكارس)، أي تساعد على نمو الزرع الذي تأخر إنباته ونموه.

(12) **مواسم تطعيم الأشجار وتلقيح (توبير) النخل وحصاد القمح والشعير وجز الصوف:** يقول المزارعون التقليديون في ليبيا إنه يفضل تطعيم الأشجار وتلقيح النخيل وكذلك جز صوف الأغنام والحصاد خلال الفترة الواقعة بين (أول ابرير) و (17 مِيُو)، وهي الفترة من يوم 14 أبريل إلى يوم 30 مايو. ويورد الأستاذ يوسف حلمي نقلاً عن أحد كبار السن من منطقة زوارة قوله:

"7تجارة، و14 نيارة، و21 خسارة"[1]، وهو يعني أن صوف الغنم الذي يجز خلال الأيام السبعة الأولى من شهر أبريل، يكون (تجارة)، لأن صاحبه يتمكن من بيعه في أول الموسم عندما يكون سعره مرتفعاً. والصوف الذي يجز خلال الأيام السبعة الثانية من شهر ابرير يكون (نيارة)، أي يكون صوفاً نظيفاً ناصع البياض، وهو أحسن أنواع الصوف. أما الصوف الذي يجز خلال الأيام السبعة الثالثة من شهر ابرير يكون (خسارة)، لأن الشاة التي تأخر جزها يتساقط جزء من صوفها، ويتأثر سلباً بالعوامل الجوية، من حرارة ورياح وغبار، فيكون أقل وزناً وأقل جودة، فيضطر صاحبه إلى بيعه بثمن بخس، فيكون بذلك (خسارة) له. وهذه التواريخ توافق الأيام التالية: السبعة الأولى من (ابرير) توافق الأيام من 14 إلى 20 أبريل، والسبعة الثانية توافق المدة من 21 إلى 27 أبريل، والسبعة الثالثة توافق المدة من 28 أبريل إلى 4 مايو.

أما في منطقة الجبل الأخضر المرتفعة وغزيرة الأمطار نسبياً فإن موسم جز الصوف (الجلامة) يمكن أن يمتد حتى منتصف شهر يونية. ويقول المزارعون التقليديون إن الموسم الأمثل لتطعيم وتلقيح أشجار الفاكهة وحصاد القمح والشعير في الزراعة (البعلية) يبدأ من الأسبوع الأول من أبريل إلى نهاية شهر مايو، حسب التقويم الميلادي، أي (25 مارس إلى 18 ميّو) من السنة العجمية. ولكن موسم حصاد القمح والشعير في الشمال الليبي، وخاصة في

---

[1] يوسف صالح حلمي، الروزنامة الفلكية، ورقة بحثية غير منشورة ، زوارة ، 1998م.

منطقة الجبل الأخضر، فيمكن أن يمتد حتى أواخر شهر يوليو من التقويم الميلادي.

(13) **الانقلاب (الرجوع) الصيفي:** يحل يوم (8 جونيو) من التقويم الرومي التراثي الموافق ليوم 21 يونية من التقويم الميلادي، وفيه يكون أطول نهار وأقصر ليل في السنة.

(14) **موسم (أَوِسُّو):** يعرف هذا الموسم بهذا الاسم عند سكان مدينة زوارة وبعض سكان مناطق الغرب الليبي، وفيه يستشفى الناس بالسباحة في مياه البحر عند الفجر، وخلال الساعات الأولى من الصباح الباكر. ويمتد هذا الموسم من 12 إلى 20 لوليو من السنة العجمية، الموافق 25 يوليو إلى 2 أغسطس من السنة الميلادية. ويقولون إن أفضل أيامه هي: من يوم 54 إلى يوم 59 من فصل الصيف، ويؤكدون أن السباحة في مياه البحر عند الفجر علاج للعديد من العلل والأمراض.

(15) **موسم أو أيام العمود:** هي الأيام 59 و60 و61 من فصل الصيف، الموافقة للأيام (14 و15 و16 من شهر لوليو)، من التقويم التراثي الشعبي أو الرومي، وهي تقابل الأيام 27 و28 و29 من شهر يوليو من التقويم الميلادي. وخلال تلك الأيام يمنعون الإبل من (الورود)، أي شرب الماء، وحسب حالة الجو خلالها يتنبؤون بغزارة أو شح الأمطار في الشتاء القادم. وقد سبق أن ذكرنا ذلك في هذه الدراسة.

(16) **بداية فصل الخريف:** يوم (17 أزغسطس) من السنة العجمية التراثية، الموافق ليوم 30 أغسطس من السنة الميلادية. يستبشر المزارعون والرعاة التقليديون بظهور أي نوع من أنواع السحب فيه، أو حتى ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، وحدوث طل عند شروق الشمس في صباح ذلك اليوم، ويعتقدون أنها علامة على كثرة هطول الأمطار وغزارتها في الشتاء القادم.

(17) **الاعتدال الخريفي:** وفيه تتساوى ساعات الليل والنهار، وهو يوم (9 اشتمبر) من السنة الرومية أو العجمية التراثية، الموافق ليوم 22 سبتمبر من السنة الميلادية.

(18) **موسم بذر وحرث القمح والشعير في الزراعة المطرية (البعلية) في ليبيا:** يبدأ يوم 18 اشتمبر حتى يوم 17 نوفمبر من السنة التراثية، أي من أول أكتوبر حتى نهاية نوفمبر من السنة الميلادية. ويسمونه موسم (نزول المحراث)، ويمكن أن يستمر في منطقة الجبل الأخضر حتى آخر شهر ديسمبر. وهذا الموسم يتزامن مع موسم جني الزيتون.

(19) **بداية فصل الشتاء:** يحل الشتاء يوم (16 نونمبر) بالتقويم التراثي، الموافق ليوم 29 نوفمبر حسب التقويم الميلادي.

(20) **الزعفرانيات:** هي أول خمسة أيام من فصل الشتاء، أي من يوم 16 إلى يوم 20 نونمبر من السنة الرومية، الموافق للأيام من 29 نوفمبر إلى 3 ديسمبر من التقويم الميلادي. ويقول المزارعون التقليديون إن النبات الذي يزرع (عود أو بذرة) خلال (الزعفرانيات) يبدأ الإنبات أو النثر بعد أسبوعين إلى ثلاثة

أسابيع. والنبات الذي يزرع خلال (الليالي البيض) يبدأ الإنبات خلال أسبوع إلى أسبوعين. أما النبات الذي يزرع خلال (الليالي السود) فيبدأ الإنبات خلال أسبوع واحد فقط.

(21) **الانقلاب (الرجوع) الشتوي:** يحل يوم (9 قجمبر) بالتقويم الشعبي الموافق ليوم 22 ديسمبر بالتقويم الميلادي، وفيه يكون أطول ليل وأقصر نهار.

(22) **الليالي البيض:** تبدأ العشر الأولى منها (الطوالح) يوم 12 قجمبر، وتنتهي يوم 21 منه، أي من 25 ديسمبر إلى 31 يناير، حسب التقويم الميلادي. أما العشر الثانية من الليالي البيض فتبدأ يوم 22 قجمبر، وتنتهي يوم 31 منه، أي ما بين 3 إلى 13 من شهر يناير. وتسمى هذه الليالي (الليالي البيض) لأن السماء خلالها تكون عادة خالية من السحب الكثيفة. أما الليالي السود (الموالح) فتقع بين 14 إلى 23 يناير، تليها (الصوالح) من 24 يناير إلى 3 فبراير، فعادة ما تكون السماء ملبدة بالغيوم وتكون لياليها شديدة الظلمة.

إن أكثر شهور السنة برودة في ليبيا هما شهرا ديسمبر ويناير، التي تشمل الليالي الأربعين سابقة الذكر (الطوالح، الكوالح، الموالح، الصوالح). وقد سميت بالليالي لشدة البرد فيها، وخاصة أثناء الليل، حتى أن أحد الشعراء الشعبيين تصور أن الشتاء كله (ليالي) عندما أراد أن يعبر عن شدة البرد خلال فصل الشتاء كله فقال:

عشرين قبل الليالي ليالي   وعشرين هنا الليالي بروحهن

وعشرين بعد الليالي ليالي   وعشرين وتي المذاري ولوحهن

وهو يعني أن البرد يبدأ قبل موسم الليالي بعشرين ليلة، ثم تبدأ الليالي المعروفة وعددها أربعون ليلة، ويستمر البرد بعدها عشرين ليلة. وبعدها تبدأ العشرون الأخيرة من فصل الشتاء، التي تبشر بقدوم الدفء، وبعدها يمكنك أن تجهز المذاري وغيرها من معدات الحصاد، فموسم الحصاد لن يتأخر كثيراً.

حديث النجوم

1-علوم الفلك والتقاويم: تاريخ حافل في الحضارة العربية:

ذكرنا في بداية هذه الدراسة كيف عرف الإنسان القديم الفلك والتقويم وحساب الزمن، وكيف تطورت هذه المعارف على مر العصور، وكيف أضافت كل حضارة المزيد من المعارف في هذا الميدان، حتى أصبح الفلك والتقويم إرثاً ثقافياً إنسانياً عاماً، ساهمت فيه كل الحضارات القديمة في كل القارات وفي مختلف العصور.

استعرضنا أيضاً كيف تطورت هذه المعارف التراثية من مجرد مشاهدات بدائية إلى وضع تمازجت فيه مع عالم الخرافات والأساطير والمعتقدات القديمة، ثم كيف تطورت إلى علم ودراسة مبنية على عمليات الرصد والحساب.

ساهم العديد من علماء العرب والمسلمين في العصور الوسطى في هذا المجال، وكانت مشاركتهم بناءة في تطور المعرفة الإنسانية في هذا الميدان، فقد طوروا ما ورثوه عن حضاراتهم القديمة في وادي النيل وفي بلاد الرافدين، وما نقلوه عن الحضارات الإغريقية والرومانية والهندية والفارسية، فصوبوا الأخطاء، واستوفوا النقص، وأضافوا وابتكروا وجددوا ومهدوا الطريق أمام رقي وتطور الحضارة الإنسانية في العصر الحديث. وليس أدل على أن علوم الأرصاد الفلكية وعلوم حساب التقاويم الأوروبية الحديثة قد أخذت عن العلوم العربية في هذا المجال، من أن علوم الفلك والتقويم الأوروبية المعاصرة تستعمل

حتى الآن العديد من المصطلحات التي نقلتها عن اللغة العربية. ونورد هنا بعض هذه المصطلحات على سبيل المثال لا الحصر[1]:

الطرف ALTAREF	كرسي الجوزاء CURSA	الكف CAPH
الأرنب ARNAB	المرقوب ARKAB	السمت AZIMECK
صدر الدجاجة SADR	سعد السعود SAD	قرن الثور TAURI
يد الجوزاء BELELGEUZE	ذنب الجدي DENEBALGEDI	فم الحوت FOMALHAUT
رجل الأسد REGULUS	سمت الرأس ZENITH	زبانيتي العقرب ZABENHAKRABI
النسر الواقع WEGA	الزورق ZAUREK	الذنب DENEB

هذه وغيرها من الأسماء والمصطلحات المستعملة اليوم في علم الفلك ما زالت تحتفظ بأصولها العربية في جميع اللغات، ما يدل على الإسهام الوافر الفعال للحضارة العربية في تطوير علوم الفلك وعمليات رصد النجوم والكواكب.

على الرغم من وجود مرصد فلكي في دمشق منذ عهد الخلافة الأموية، فإن معالم علم الفلك وحساب التقاويم لم تزدهر في العالم الإسلامي إلا بعد انتهاء عهد الخلافة الأموية، ومرور عدة سنوات على بداية الخلافة العباسية، فقد كان علم الفلك وجداول التقاويم يخالطها التنجيم المتوارث من عصور الجاهلية قبل الإسلام.

---

[1] للمزيد من المعلومات في هذا المجال يرجى الاطلاع على: د.عمر فروخ وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1990.

لم يقر الدين الإسلامي التنجيم، بل بين فساده وعدم توافقه مع تفكير العقل السليم والعقيدة الصحيحة "**كذب المنجمون ولو صدقوا**". ولكننا نجد أن التنجيم وادعاء علم الغيب والتنبؤ بأحداث المستقبل استمر حياً في التراث العربي، نظراً لتفشي الجهل والتمسك بالعادات والأفكار القديمة، حتى بعد ظهور وازدهار الدراسات المبنية على مشاهدات الرصد الفلكي، وحساب التقاويم، وظهور علم الفلك كعلم له أصوله وقواعده البعيدة عن التنجيم، فبعض مراجع التاريخ الإسلامي أثبتت كيف أن بعض الخلفاء والأمراء والقادة كانوا يستشيرون المنجمين، طوال فترة الخلافة العباسية وبعدها، في أمور السياسة والحكم والإدارة في أوقات السلم والحرب على حد سواء.

وقد نتج عن التشجيع الذي أولاه خلفاء بني العباس، منذ بداية ولايتهم، لأعمال الترجمة والاستفادة من الإنتاج العلمي والثقافي لحضارات الشرق والغرب، تطور علمي واسع في مختلف فروع المعرفة، وخاصة في علم الفلك وحساب التقاويم، التي أولاها العلماء والقادة السياسيون على حد سواء اهتماماً خاصاً، لحاجتهم لمعرفة أسرار الكون والتحقق من الاتجاه الصحيح للقبلة في كل الأمصار، والإحاطة بتفاصيل تحركات القمر وبدايات الشهور، ووضع تقويم صحيح دقيق لتحديد مواقيت العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة، وهي العبادات الأساسية في العقيدة الإسلامية، زيادة على تحديد مواسم الزراعة والرعي وتنقل قوافل التجارة.

يتفق المؤرخون على أن بدية تلك الدفعة والطفرة القوية في رقي الحضارة الإسلامية، وتطور علوم الفلك وحساب التقاويم بصفة خاصة، بدأت مع بداية

حكم الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور، الذي أمر محمد ابن إبراهيم الفزاري أن يترجم له كتاباً عن حركات النجوم، كان قد أهداه إليه رجل من حاشيته وافد من الهند، وهو الكتاب الذي اعتمد عليه فيما بعد الخوارزمي، في وضع زيجه المشهور. وقد عرف عن أبي جعفر المنصور أنه اختار عدداً من المشتغلين بالفلك ومن المنجمين ليكونوا ضمن حاشيته، مثل أبي سهل وإبراهيم الفزاري وابنه محمد، وعلي بن عيسى المشهور بالإسطرلابي، وغيرهم كثير. أما المنجم (نوبخت الفارسي) فقد كان يرافق المنصور في رحلاته وتنقلاته وغزواته. وفي عهد المنصور وبتشجيع منه نقل أبو يحيى البطريك من الإغريقية إلى العربية عدة كتب في العلوم الهندسية وعلوم الطبيعة، كان من بينها كتاب (المقالات الأربع في معرفة أحكام النجوم) لبطليموس. وورث الخلفاء العباسيون عن أبي جعفر المنصور تشجيعه العلم والعلماء، ففي عهد المهدي وعهد الرشيد زاد ازدهار العلوم، واشتهر العديد من العلماء، بفضل تشجيع الخلفاء والأمراء والولاة الداعمين لحركة التوسع في نشر العلوم، ورعاية المشتغلين بالبحث والدراسة والتأليف والترجمة. أما عهد الخليفة المأمون (813–833م) فقد كان بحق العصر الذهبي لازدهار العلوم في الدولة العباسية، فقد كان المأمون أكثر الخلفاء العباسيين تشجيعاً للعلم والعلماء، فأغدق عليهم العطايا والجوائز، وشجعهم بمختلف أنواع الرعاية والحماية والتشجيع.

تأسس مرصد بغداد الشهير في عهد المأمون (829م)، فانتقلت أهم عمليات الرصد ودراسات الفلك من مرصد دمشق إلى مرصد بغداد، التي

احتلت أبرز مكانة في مجال العلوم وتطورها، وأصبحت مركزاً علمياً وحضاريا وثقافياً، يشع نوره على العالم بأسره في ذلك العصر. وقد تمت في مرصد بغداد رصدات منتظمة ومتواصلة سجلت بواسطتها جداول لتنظيم حركات الكواكب، وجرت في ذلك الوقت محاولتان قام بهما العلماء العرب المسلمون لقياس محيط الأرض، بأمر من الخليفة المأمون، فتمت الأولى في سهل تدمر، طبقا للحساب الذي قام به ابن يونس، وأجريت الثانية في سهل سنجار، طبقاً للحساب الذي قام به أحمد بن عبد الله الملقب بحبش.

هكذا أصبح علم الفلك عند العرب علماً متكاملاً، تعدّى مرحلة النقل والاقتباس إلى مرحلة الابتكار والإبداع والريادة, ففي ذلك الزمن كان العلماء والمفكرون الذين يقولون بكروية الأرض لا يستطيعون المجاهرة بذلك في البلاد الأوروبية، لأن عقوبتها الإعدام، بينما نجد الناس في العالم الإسلامي يتقبلون في ذلك الوقت فكرة كروية الأرض، حيث قام العلماء المسلمون بمحاولات ناجعة لقياس محيط الكرة الأرضية، ولم يجادلهم أو يعارضهم أحد، لأنها كانت فكرة معروفة ومسلم بها.

تدين أوروبا في نهضتها الحديثة إلى الحضارة العربية الإسلامية، التي حافظت على بقاء شعلة العلوم مضيئة طوال فترة العصور الوسطى، التي كانت عصور ظلام وجهل في أوروبا، وربما كان علم الفلك الأوروبي الحديث من أكثر العلوم استفادة من التراث الفلكي العربي الإسلامي، فقد ترجمت إلى اللغة اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة، العديد من مؤلفات العلماء

العرب، مثل أحمد الفرجاني المعاصر للخليفة المأمون، الذي ترجم إلى اللاتينية كتابه (عناصر علم الفلك)، واشتهر في أوروبا باسم (الفراجنوس AMERAGNUS)، وكذلك العالم محمد بن باتاني أو البتاني، الذي اشتهر في أوروبا باسم (الباتجينوس ALBUTEGNIUS)، بعد أن ترجمت العديد من مؤلفاته، وخاصة مقدمة جداوله الرصدية إلى اللاتينية، واشتهرت عند علماء الفلك الأوروبيين.

أصيب علم الفلك ببعض الركود والجمود في الجزء الآسيوي من العالم الإسلامي، بعد نهاية القرن العاشر الميلادي، ولكن علماء فلك آخرين ظهروا في شمال أفريقيا والأندلس نالوا شهرة واسعة. فبعد ابن يونس والفلكي الإسكندراني الذي اشتهر باسم الحكيم، وهما فلكيان نتج عن جهودهما في علم الفلك جداول اشتهرت باسم (الجداول الحكيمية الفلكية)، ظهر في مدينة قرطبة الأندلسية الفلكي اللامع إبراهيم أبو إسحاق الزركلي (1029-1087م)، الذي اشتهر في أوروبا باسم (ارزاشيل) أو (أزراكيل) (AZRAQUIEL)، لنشره (الجداول الكوكبية) المعروفة باسم (جداول طليطلة)، كما اشتهر بعده في الأندلس الفلكي جابر بن أفلح، المتوفى سنة 1145م، الذي عرف في أوروبا باسم (JUBIER)، ومعاصره نور الدين البروجي، الذي اشتهر في الغرب باسم (البتراجيوس ALBETRAGEUS). وقد اشتهر هذان العالمان باعتراضهما على نظريات بطليموس الكوكبية. ولعل أول وأشهر فلكي أسباني أوروبي هو الملك ألفونسو الخامس (1252-1284م)، الذي واصل تقليد الحكام المسلمين في استقطاب علماء الفلك وضمهم إلى حاشيته، فساعدوه في تحضير ونشر

الجداول التي اشتهرت في كل أنحاء أوروبا باسم (جداول ألفونسو الفلكية الجديدة)، ولكن علم الفلك في أسبانيا تقهقر وأصابه الركود بعد عصر ألفونسو الخامس مباشرة.

من محاسن الصدف أن نرى علم الفلك يبعث من جديد في المشرق العربي خلال تلك الحقبة التاريخية نفسها، ففي سنة 1258م انهارت الخلافة في بغداد، تحت ضربات القائد المغولي هولاكو خان، حفيد جنكيزخان؛ إذ لم تنقض سنة واحدة على سقوط بغداد حتى وافق هولاكو خان على إنشاء مرصد جديد في (ميراغا) بشمال غرب إيران الحالية، بناء على نصيحة ناصر الدين الطوسي (1201–1274م)، وكان أحد مستشاري هولاكوخان، وكان في الوقت نفسه مهتماً بعلوم الفلك. وقد ساعده في ذلك مجموعة من الفلكيين، أشهرهم يوحنا أبو الفرج الذي نشر العديد من الأبحاث الفلكية باللغتين العربية والسريانية، ومن أشهر أعمال الطوسي ورفاقه من العاملين في مرصد ميراغا، الجداول الفلكية التي اشتهرت باسم (الجداول اللوخانية)، غير أن هذا الجهد العلمي الفلكي للقائمين على مرصد ميراغا أخذ في التراجع والاضمحلال، وساد الأعمال والبحوث الفلكية في العالم الإسلامي ضعف وركود لفترة غير قصيرة من الزمن، استمرت حتى ظهور (أولغ بك ULUG BEYH)، حفيد تيمورلنك، الذي شيد مرصد سمرقند الشهير في عام 1420م، حيث ازدهرت آخر أعمال ومنجزات علم الفلك في العالم الإسلامي التي لم تعمر طويلاً؛ إذ بدأت تضمحل بعد وفاة أولغ بك مباشرة في عام 1449م، وهو العصر الذي بدأت

فيه قيادة علم الفلك تنتقل من العالم الإسلامي إلى أوروبا، التي انبعثت فيها نهضة جديدة لهذا العلم، حققت تطوراً عظيماً، بفضل ارتكازها على قواعد علمية سليمة، وكذلك بفضل تطور صناعة آلات ومعدات الرصد الحديثة.

كان هذا التطور جزءاً من النهضة الأوروبية المعاصرة، التي بلغت الآن شأواً عظيماً في كل المجالات العلمية، وفي مجالات التقنية الآلية والإلكترونية التي مكنت العلماء الأوروبيين من اختراق مجال الأرض، ودخول مجال رحب لا نهاية له، فيما يسمى اليوم بعلوم الفضاء.

وقد أصبحت علوم الفلك اليوم في كل أرجاء الكرة الأرضية تنبع من أصول أوروبية، وترتكز على أسس تقنية متطورة. أما علوم الفلك القديمة فقد أصبحت اليوم جزءاً من التاريخ والتراث الحضاري الإنساني.

يدرك العلماء النشطون في الدراسات والبحوث الفلكية في العالم العربي اليوم أن عليهم اختراق الآفاق العلمية الحديثة ليثبتوا وجودهم في هذا الميدان الحضاري، كما فعل أسلافهم من قبل.

2-الأنواء ونجومها:

بعد اكتمال الدعوة الإسلامية وانتشارها في شبه الجزيرة العربية وخارجها، أصبح موقف الإسلام واضحاً من بعض معتقدات العرب القديمة، ومنها معتقدهم السابق بأن النجوم والكواكب وحركة ظهورها وأفولها هي السبب في تغير أحوال الطقس وسقوط المطر وهبوب الرياح وارتفاع وانخفاض درجة

الحرارة. عارض الإسلام هذا المعتقد وأكد تأكيداً قاطعاً بطلان الاعتقاد بأن النجوم والكواكب هي السبب في تغيرات أحوال المناخ، وبطلان القول بأن ظهور واختفاء النجوم والكواكب يتسبب ويتحكم في نزول الغيث وهبوب العواصف وغيرها من مظاهر الطقس، وصنف الإسلام تلك المعتقدات بأنها نوع من مظاهر الشرك، وأنها إرث من معتقدات الجاهلية، منذ أن كان بعض الناس يعبدون النجوم والكواكب من دون الله.

وفيما يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى؟ قال: أصبح عبادي مؤمناً بي كافراً بالكواكب، وكافراً بي مؤمنا بالكواكب، فأما المؤمن بي الكافر بالكواكب فهو الذي يقول مُطرنا بنوء الرحمة، والمؤمن بالكواكب الكافر بي الذي يقول : مطرنا بنوء كذا..". ويروى عنه (صلى الله عليه وسلم) أيضاً أنه قال: "إذا ذكرتم النجوم فأمسكوا"، أي أمسكوا وامتنعوا عن القول "مطرنا بنوء كذا وكذا".

إن الدين الإسلامي لا يحرم المفهوم الصحيح للعلاقة بين ظهور وأفول بعض الكواكب والنجوم وتبدلات مظاهر الطقس والمناخ، لأن حركة بعض النجوم والكواكب عند طلوعها واختفائها، تعد علامة أو توقيتاً أو دلالة على حدوث تغير مناخي معين، لأن حدوث بعض أنماط التغير المناخي من حرارة ورياح وأمطار يتم بالتزامن مع موعد بزوغ أو أفول نجم أو كوكب معين.

هكذا أبطل الإسلام المعتقد الجاهلي القديم، وأكد للناس أن حركة النجوم لا تسبب سقوط المطر أو هبوب العواصف أو غيرها من مظاهر الطقس، ولكنها

تحدث في نفس الوقت الذي يظهر أو يختفي فيه نجم أو كوكب معين. بهذا المفهوم يرى العرب اليوم تغير النجوم والكواكب وعلاقته بتغير الأنواء، أي مظاهر الطقس. وقد استمر تراثهم في هذا المجال حياً متوارثاً على مر الأجيال. وتعد المعرفة بالأنواء وعلاقتها بالنجوم من أهم معالم التراث الليبي، الذي هو في الواقع جزء من التراث العربي القديم. وليس أدل على ذلك من أن أسماء أغلب الكواكب والنجوم والأنواء في التراث الليبي الشعبي هي نفسها أسماؤها في التراث العربي القديم.

من المعلوم أن تغيرات الفصول، ومن ثم تغيرات المناخ، لها مسبباتها المناخية المعروفة، التي يهتم بدراستها علم المناخ (CLIMATOLOGY)، وأن تغيرات منازل الكواكب والنجوم ومواعيد بزوغها وأفولها أحداث أخرى، يهتم بها علم آخر هو علم الفلك (ASTRONOMY)، فالتغيرات المناخية تبنى على حقائق فلكية كشف عنها علم الفلك، وأصبحت هذه المعلومات اليوم في متناول الجميع، ولكن بعض الناس، وخاصة سكان الأرياف والبراري، ما زالوا يستخدمون مطالع واختفاء بعض النجوم في السماء علامة على موعد حدوث التغيرات الجوية حسب العادات المتوارثة في التراث القومي، لكل شعب من الشعوب.

في هذا السياق سنتناول بعض تلك الظواهر، كجزء من التراث الليبي، وهو مرتبط بتراث الجزيرة العربية والأقوام الذين عاشوا فيها، ثم غادرها، بعضهم ليستوطنوا بلاد الشمال الأفريقي. وقد يكون التراث الليبي في هذا المجال من

أكثر تراث سكان الشمال الأفريقي شبها بتراث شبه الجزيرة العربية، لأن ليبيا أقرب أقطار المغرب العربي إلى المشرق العربي.

عندما نستعرض أسماء الكواكب والنجوم والبروج، وكذلك أسماء الأنواء، التي هي في الواقع حالات من تغيرات مظاهر الطقس، سنجدها تتشابه كثيراً بأسمائها العربية الأصل، ففي هذا المجال هناك تشابه كبير بين ما هو معروف في ليبيا وبين ما كان معروفاً منذ القدم في شبه الجزيرة العربية. وهذا يدل على أن العرب الذين استقروا في ليبيا منذ الفتح الإسلامي جلبوا معهم هذه الأسماء والمعلومات عن البروج وما تحويه من كواكب ونجوم، وعن الأنواء وما يصاحبها من تغيرات جوية. ترسخت تلك المعارف التراثية في التراث الليبي مع حدوث بعض الاختلافات الناجمة عن اختلاف الموقع الفلكي الجغرافي واختلاف مظاهر الطقس وكذلك اختلاف بعض المسميات وطريقة نطقها، الناتج عن الاختلاط العرقي والثقافي مع السكان الأوائل من أمازيغ وطوارق وبقايا الروم الذين اندمجوا في العرب الوافدين من الشرق.

فيما يلي نوجز بعض المعلومات، ونلقي بعض الضوء على الأنواء عند العرب القدماء، وهي ثمانية وعشرون نوءاً، بعدد منازل القمر خلال شهر قمري واحد، وبعدد منازل الشمس في العام الشمسي الواحد.

وقد أوجزها أحد شعراء العرب القدامى في أبيات الرجز الآتية:

والدهر فاعلم كله أرباع　　　لكل ربع واحد أسباع

وكل سبع لطلوع كوكب　　　ونوء نجم ساقط في المغرب

ومن طلوع كل نجم يطلع إلى طلوع ما يليه أربع

من الليالي ثم تسع يتبع

يشير الشاعر أو الراجز في هذه الأبيات إلى تقسيم الدهر، أي الزمن، إلى أرباع، قاصداً الفصول الأربعة، لأن العرب منذ ذلك الوقت القديم كانوا يقسمون منازل النجوم أو الأنواء إلى منازل للربيع، ومنازل للصيف، ومنازل للخريف، ومنازل للشتاء. وكانت المنازل التي يرصدونها في مناطق شمال شبه الجزيرة العربية تدعى منازل شامية، وتلك التي يرصدونها في مناطق جنوب شبه الجزيرة تدعى منازل يمانية. ومن هذا التقسيم لمنازل النجوم حسب الفصول الأربعة، جاء ربطهم لها بهطول الأمطار وهبوب العواصف وانخفاض وارتفاع درجات الحرارة، وما يتعلق بذلك من تحديد مواسم الزرع والحصاد والعناية بالنخيل وغيره من الأشجار، والتنقل بقطعان الإبل والغنم في المراعي، إلى آخر هذه الأحداث والأنشطة المتعلقة بحياتهم، التي تحدث متزامنة مع طلوع وسقوط بعض النجوم التي أطلقوا عليها اسم أنواء، ومفردها نوء.

كلمة نوء في أصلها اللغوي القديم تعني مغيب نجم معين وراء الأفق الغربي عند الفجر، وبزوغ نجم آخر يقابله في الأفق الشرقي في التوقيت نفسه. وكلمة (نوء) مشتقة من المصدر (نأى) أي ابتعد واختفى، وهي تعني هنا سقوط النجم أو طلوعه، اختفاؤه أو ظهوره في الأفق، فهي من الأضداد[1]. وأحياناً

---

[1] انظر لسان العرب، ج1، ص176.

يسمى النجم الطالع في الأفق الشرقي (رقيباً)، لأنهم تخيلوه يشاهد ويرقب أفول النجم الآخر في الأفق الغربي، الذي يسمونه (نوءاً)، بمعنى ناء ومال وسقط، فالنوء يعني أيضاً الميل. وقد وردت كلمة نوء بهذا المعنى في القرآن الكريم {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ **بِالْعُصْبَةِ** أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}[1]، وعبارة (لتنوء بالعصبة)، أي تميل بها، لعجزها عن حملها. إن المعنى اللغوي للنوء طلوع النجم أو سقوطه، فكلاهما يحمل معنى (الميل)، أي مال للطلوع أو مال للغروب والسقوط. وهذا هو السبب في اختلاف العرب، منذ القدم، في تحديد معنى النوء، فمنهم من يعني به بزوغ النجم وطلوعه، ومنهم من يعني به أفول النجم وغروبه. وهذا لا يغير من جوهر الأمر شيئا، لأن أفول نجم معين يتزامن في الوقت نفسه مع طلوع النجم الآخر. وينحصر الاختلاف في نسبة تسمية النوء إلى النجم الطالع أو إلى النجم الساقط.

المهم هنا هو أن كلمة (نوء) عربية أصيلة قديمة. وهذا يثبت أن الثقافة العربية عرفت منذ قديم الزمان حركة النجوم والأنواء، ورصدتها، وحددت مواقيتها ومواسمها، وما يحدث خلال تلك المواسم من تغيرات مناخية. أما الاختلاف في تسمية النوء بالنجم الطالع أو النجم الساقط، فقد كانت ناتجة عن اتساع رقعة المنطقة العربية، ولأن تتبع نظام حركة النجوم كان يجري في مناطق مختلفة من النطاق الجغرافي العربي، وناتج أيضاً من اختلاف الأقوام

---

[1] سورة القصص، الآية 76.

والحضارات التي احتك بها العرب من فرس وروم وهنود وغيرهم. وما زال بعض العرب حتى الآن يختلفون في تحديد الأنواء، لأنهم توارثوا هذه المعارف عن أجدادهم. فمنازل الأنواء هي المنازل التي يحل بها القمر عند البعض أو تحل بها الشمس عن البعض الآخر، فالفريق الأول الذي يحدد منازل النجوم بحلول الشمس، يعني بالنوء سقوط النجم عند الغداة في الأفق الغربي، أما الفريق الثاني الذي يحدد منازل النجوم بحلول القمر فالنوء عندهم يعني طلوع النجم في الأفق الشرقي.

ما زال سكان الريف من مزارعين ورعاة يتعاملون بهذا التراث القديم، ويهتمون بحركة الأنواء ورصدها، وتحديد مواقيتها ومواسمها ومميزات كل موسم منها في كل الأقطار العربية، شرقاً وغرباً. وما زال هذا التراث الشعبي معمولاً به في ليبيا حتى يومنا هذا، عند سكان الأرياف من مزارعين ورعاة، وعند بعض سكان السواحل من المشتغلين بالصيد البحري، المهتمين بتحديد مواسم هبوب العواصف البحرية والمناطق التي تهب عليها في السواحل الليبية.

بالرجوع إلى أبيات الرجز العربي القديم سالفة الذكر وإلى غيرها من أشعار العرب القدامى، نرى بوضوح أن العرب قسموا السماء إلى ثمانية وعشرين (28) منزلاً فلكياً، حسب منازل القمر، في كل منزلة منها نجم مشهور أو أ كثر، تقطعها الشمس جميعها مرة واحدة كل سنة، وتقيم في كل منزلة منها مدة ثلاثة عشر يوماً تقريباً، ما عدا (الجبهة) فإن مدتها أربعة عشر يوماً.

وقد قسم العرب السماء كذلك إلى منازل أو أنواء ربيعية وصيفية وخريفية وشتوية. ولمحاولة فهم هذه المنازل وتقسيماتها لابد لنا من الرجوع إلى أعماق التاريخ، إلى بداية نشأة الأمم والحضارات القديمة، عندما كان الإنسان ينظر إلى السماء وما تحويه من كواكب ونجوم وشهب، وإلى تقلبات الطقس، وما تحدثه من رياح وعواصف وأمطار وبرق ورعد وصواعق. وكان فكره المحدود يعجز عن إيجاد تفسير مقنع لكل ما يشاهده ويتأثر به، فلجأ إلى الميتولوجيا (mythology)، أو ما يعرف بالقصص الأسطوري، الذي ارتبط أساساً بالمعتقد والعبادة، لأنهم تصوروا وجود قوة فيما وراء الطبيعة تحرك كل تلك الظواهر، وتتحكم في مصائر المخلوقات عن طريقها، فاعتقدوا أن وراء كل مظهر من هذه المظاهر المؤثرة في الكون قوة خفية قادرة قاهرة، فعبدوها وقدموا لها القرابين، وأقاموا الاحتفالات والمهرجانات، لنيل رضاها، واتقاء شرورها. وهكذا وجدنا أن أغلب الثقافات والحضارات القديمة جعلت لكل مظهر من تلك المظاهر الطبيعية إلهاً، فتصوروا أن للشمس إلهاً، وللقمر إلهاً، وللريح إلهاً، وللنور إلهاً، وللظلام إلهاً، وللحياة إلهاً، وللموت إلهاً..إلى آخر تلك القائمة الطويلة جداً من الآلهة المتعددة، التي تصوروها في أشكال مختلفة، وأطلقوا عليها أسماء متنوعة، وجعلوا لها أنماطاً من الطقوس والشعائر، وأقاموا لها التمثيل والهياكل. إن الحضارات الفرعونية والهندية والفارسية واليونانية والرومانية والعربية القديمة حافلة بتلك العبادات للآلهة الأسطورية، التي ما زال بعضها يعيش في ذاكرة الناس حتى الآن، على الرغم من نزول الديانات السماوية التي أبطلت كل تلك المعتقدات الوثنية.

حضارة الأمة العربية، كغيرها من الحضارات القديمة، كانت حافلة بالعديد من هذه القصص الأسطورية، التي لم يعد الناس يعتقدون بها كدين، ولكنهم ما زالوا يستلهمون منها الصور الخيالية الموحية في الشعر والنثر والموسيقا، وغيرها من الفنون، فمنْ مِنَ المثقفين اليوم لا يعرف (فينوس) رمز الحب والجمال، ولا يعرف (جوبيتر) رمز القوة، أو (مارس) رمز الشجاعة أو (هُبَل) رمز السطوة أو (اللات) رمز الخصب..إلى آخر تلك القائمة الطويلة من الرموز التي كان القدماء يقدسونها وترفَّعْنا نحن بفضل هداية الرسل والأنبياء عن عبادتها، والاتجاه إلى عبادة الله –سبحانه– القاهر فوق عباده. ولكن ذاكرة ثقافتنا التراثية ما زالت تحتفظ بها كرموز معبرة عن بعض معاني الحياة، وأصبحت جزءاً من تراثنا الثقافي الذي ورثناه عن القدماء، فبقي بعض أثر من تلك المعتقدات البالية المندثرة حياً في أذهان الناس، مؤثراً في بعض مظاهر سلوكهم. من ذلك –على سبيل المثال– ما كان يقوم به بعض الناس البسطاء من إحداث ضجيج بالدق على الأواني المعدنية في حالتي خسوف القمر وكسوف الشمس، لأن المعتقدات الجاهلية القديمة كانت تقول إن الشمس والقمر والنجوم كائنات حية، تتعرض أحياناً للهجوم من طرف كائنات أخرى شريرة، تريد افتراسها والقضاء عليها. ولهذا ما زلنا نرى في ريف مصر وفي بادية الشام والعراق، وفي جبال اليمن، وربما في غيرها من البلاد العربية. أن قرع الطبول والصنوج والآنية المعدنية الذي يقوم به بعض الناس أثناء الخسوف أو الكسوف، يصاحبه دعاء بصوت مرتفع يقول: "يا رب نجها.. يا رب خلصها..

يا رب احفظها". وقد شهدت بنفسي في بداية خمسينيات القرن الماضي، وكنت حينها فتى يافعاً، في إحدى ضواحي مدينة بنغازي، عندما حدث كسوف للشمس، امرأة عجوزاً واقفة أمام بيتها تدق بعصا على قدر نحاسي، وتقول بصوت واضح "يا رب نجنا، يا رب احفظنا.. يا رب سلمنا". أي أنها كانت تقصد بدعائها نجاة وسلامة الناس لا الشمس، ولكنه دعاء مشابه لما سبق ذكره في بعض البلاد العربية الأخرى.

ومن ذلك أيضاً ما كان يفعله بعض الأطفال الليبيين عندما تبدأ أسنانهم اللبنية في التساقط؛ إذ يمسك الواحد منهم السن الساقطة بيده، ويقذفها بقوة في اتجاه الشمس قائلاً: "يا شمس يا شموسة، يا عوينة العروسة، خذي سن حمار، وعطيني سن غزال، وقد يقول: عطيني سن حمار، فسن الحمار أقوى، وسن الغزال أجمل". ونجد لذلك مثالاً في التراث العربي القديم، ففي بعض مناطق شبه الجزيرة العربية كان الأطفال، عندما يقذفون أسنانهم الساقطة في اتجاه الشمس، يصيحون قائلين: "يا شمس أبدليني بأحسن منها، ولتجري في ظلمتها (إياتك أو إياؤك) أي شعاعك[1].

وقد وثق الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد ذلك في إحدى قصائده إذ قال:

شادن يجلو إذا ما ابتسمت عن أقاح كأقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الأثر

---

[1] نقلها صاحب كتاب النجوم في الشعر العربي القديم، ص78 من كتاب نهج البلاغة.

تراثنا الليبي غني بالعديد من مثل هذه الأحداث المتعلقة بالكواكب والنجوم وبغيرها من الأساطير والخرافات القديمة، فذاكرة الشعوب قد تحتفظ بمثل هذه الصور التي تتناقلها عبر الأجيال على مدى آلاف السنين. تفقد بعض المعتقدات الدينية الجاهلية القديمة قيمتها العقائدية ومدلولها الديني، ولكنها تبقى حية في تراث الشعوب، كقصص أو حكم أو أمثال أو عادات اجتماعية أو أغان وألحان. تنتقل من الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء، وهكذا تبقى صورتها باهتة، ولكنها حية في ذاكرة الشعوب. ووجود تشابه في معالم التراث الليبي وبعض معالم التراث القديم في المشرق والمغرب العربي وفي مناطق سواحل البحر المتوسط الأوروبية، وفي بعض مناطق أفريقيا جنوب الصحراء، دليل واضح على عراقة الشعب الليبي، وعلى انفتاحه على ثقافات جيرانه، وعلى علاقاته المتواصلة مع كل البلاد المحيطة بالبلاد الليبية القريبة منها.

عندما بدأ الإنسان يرصد مواقع النجوم والكواكب في السماء وانتظام حركتها وتحديد مواقعها، قام بتقسيمها إلى مجموعات، حسب وضعها الذي شاهدها عليه، فتخيل القدماء أن كل مجموعة من النجوم تشكل صورة معينة، وأطلقوا عليها أسماء تعبر عن تلك الصور، وسموا تلك المجموعات من النجوم بأسماء حيوانات وأشخاص خرافيين وهميين، وأطلقوا على بعضها أسماء آلهتهم القديمة. وكان سكان شبه الجزيرة العربية من السباقين في هذا المجال، فقد خاضوا غماره منذ القدم، أي قبل أن يتصلوا بالحضارات الأخرى خارج جزيرتهم، فهم سكان صحراء شاسعة، تنقلوا فيها بقطعانهم، وبقوافل تجارتهم، ما حتم عليهم معرفة النجوم والاهتداء بها في تنقلاتهم، واتخاذها علامات على

مواعيد هطول الغيث وتوفر المرعى. وعندما اتصل العرب بغيرهم من الأمم تبادلوا هذه المعلومات والمعارف معهم، فأخذ الآخرون عنهم، وأخذوا هم عن الآخرين. لهذا كان عدد غير قليل من النجوم التي رصدوها تحمل أسماء عربية، والبعض الآخر اقتبسه العرب عن الفرس والكلدانيين واليونان وغيرهم.

وردت في مراجع التاريخ العربي وكذلك في الأدب والشعر العربي القديم أسماء العديد من النجوم والكواكب والبروج الفلكية، حتى أن هناك من يقول بوجود أدب عربي متكامل وغزير في هذا المجال، زخرت به الكتب ودواوين الشعر والبحوث والدراسات القديمة والحديثة، وهو أدب منتشر في كل الأقطار العربية، يمكن للراغب في المزيد من التفاصيل الرجوع إليه، لأننا لا نستطيع في هذا المقام الإلمام به وبكل تفاصيله وفروعه. فنحن لسنا بصدد دراسة متعمقة عن تاريخ علم الفلك، ولهذا فسنكتفي هنا باستعارة جدول يبين أسماء منازل النجوم والأنواء المقترنة بها، كمثال على هذا النوع من التراث عند العرب القدامى. وهو جدول من حساب ابن قتيبة، ضمنه كتابه (الأنواء في مواسم العرب)[1]. وهناك في التراث العربي العديد من هذه الجداول الخاصة بحساب الأنواء، تختلف عن بعضها قليلاً أو كثيراً، ولكن جدول ابن قتيبة يعد من أفضلها وأوضحها.

---

[1] ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، الأنواء في مواسم العرب، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد (الهند) 1956م.

حساب الأنواء لابن قتيبة

رقم	اسم المنزلة	يوم الطلوع	يوم السقوط	مدة النوء بالأيام
1	السرطان	16 أبريل	16 أكتوبر	3
2	البطين	29 أبريل	30 أكتوبر	3
3	الثريا	13 مايو	13 نوفمبر	7-5
4	الدبران	29 مايو	26 نوفمبر	3-1
5	الهقعة	9 يونيو	9 ديسمبر	6
6	الهنعة	22 يونيو	21 ديسمبر	3
7	الذراع	4 يوليو	4 يناير	5-3
8	النثرة	17 يوليو	17 يناير	7
9	الطرف	ا أغسطس	31 يناير	6
10	الجبهة	14 أغسطس	12 فبراير	
11	الزبرة	27 أغسطس	25 فبراير	4
12	الصرفة	9 سبتمبر	9 مارس	3
13	العواء	22 سبتمبر	22 مارس	3
14	السماك	5 نوفمبر	4 أبريل	4
15	الغفر	18 نوفمبر	17 أبريل	3-1
16	الزبانى	31 أكتوبر	30 أبريل	3
17	الإكليل	13 نوفمبر	13 مايو	4
18	القلب	26 نوفمبر	26 مايو	
19	الشولة	9 ديسمبر	9 يونيو	

20	النعائم	22 ديسمبر	22 يونيو	
21	البلدة	4 يناير	4 يوليو	3-1
22	سعد الذابح	17 يناير	17 يوليو	1
23	سعد بلع	30 يناير	1 أغسطس	1
24	سعد السعود	12 فبراير	14 أغسطس	1
25	سعد الأخبية	25 فبراير	27 أغسطس	
26	الفرع الأول	9 مارس	9 سبتمبر	3
27	الفرع الثاني	22 مارس	22 سبتمبر	4
28	بطن الحوت	4 أبريل	5 أكتوبر	

لفهم جدول ابن قتيبة نورد فكرة موجزة ولمحة سريعة عن الأنواء التي وردت فيه ونجومها باعتبارها مثالاً عن الأنواء التي عرفها العرب، مع العلم بأن هناك راصدين ودارسين آخرين صمموا جداول للأنواء تختلف عما أورده ابن قتيبة. بعضهم سبقه، وبعضهم جاء لاحقاً له. ولعل أبرزهم وأشهرهم ابن رشيق[1]، الذي صمم جدولاً في الأنواء لا يقل أهمية عن جدول ابن قتيبة، ولكنه يختلف عنه في ترتيب بعض الأنواء وأسمائها. ولكننا نعود إلى القول بأننا لسنا بصدد دراسة معمقة عن الأنواء، فالغرض من تقديم جدول ابن قتيبة إعطاء فكرة عن الأنواء في التراث العربي، وتوضيح العلاقة الوثيقة بينها وبين الأنواء في تراثنا المحلي الليبي.

---

[1] أبو علي الحسن ابن رشيق، المعروف بالقيرواني، المتوفى عام 463هـ.

إذا تتبعنا منازل الأنواء في جدول ابن قتيبة نجدها تنتظم على النحو التالي:

(1) **السرطان:** وقد ورد اسمه في جداول أخرى باسم (الأشراط) و(أشراطي). والأشراط في اللغة هي العلامات. والسرطان نجمان متقاربان يشرقان ويسطعان معاً، ويسميان أحياناً (النطح والناطح)، وهما أول نجوم فصل الربيع. وقالت العرب قديماً: "إذا طلع النطح طاب السطح"، أي أنه علامة على انتهاء موسم البرد، وحلول موسم الدفء.

(2) **البطين:** هي مجموعة تتكون من ثلاثة نجوم، ضوؤها خافت، أي قليلة اللمعان، تشكل مثلثاً متساوي الأضلاع تقريباً، ولهذا يشبهونها بالأثافي، ونوؤها من أقل الأنواء مطراً، ولكنه مفيد جداً للزرع وللمراعي، لأنه يسقط في موسم يكون الزرع والعشب فيه في أمس الحاجة للماء. ولهذا يقول العرب "إذا طلع البطين، تزينت الأرض بكل زين، واقتضى الدين".

(3) **الثريا:** مجموعة الثريا من أشهر النجوم التي عرفها العرب، حتى أنهم عندما يقولون النجم، إنما يقصدون الثريا، وهي مجموعة مكونة من نجوم كثيرة على شكل رذاذ متناثر، ولكن التي يمكن أن ترى منها بالعين المجردة ستة نجوم متقاربة، يصحبها نجم سابع أقل لمعاناً، ومواقيت بزوغ هذا النجم وغروبه وردت في جداول ومراجع أخرى مخالفة للمواقيت الواردة في جدول ابن قتيبة، ولكنها على كل حال مواقيت لا تبتعد كثيراً عن مواعيد انقلابي الربيع والخريف،

وهما من مواسم تقلبات الجو التي تسبب بعض الأمراض للإنسان والحيوان، نتيجة للتبدل السريع في درجات الحرارة ولهبوب بعض العواصف، ولهذا قال العرب قديماً في نوء الثريا: "ما طلعت الثريا ولا ناءت إلا بعاهة في الناس والإبل".

وقد تكرر ذكر الثريا كثيراً في أشعار العرب القدماء، ففي وصف طول الليل. قال الشاعر الجاهلي امرؤ القيس في معلقته الشهيرة:

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

أما الفرزدق فقد شبه جود وكرم من مدحه بغزارة مطر نوء الثريا، فقال:

أبيت على الناهيك إلا تدفقا كما انهل من نوء الثريا سحابها

وفي قصة أخرى تروى عن امرأة تسمى (الثريا) ورجل يسمى (سهيل)، فأراد أحدهم أن يزوجهما.. فقال شاعر:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

بمعنى أن الثريا تقع في الشمال، وسهيل يقع في الجنوب، والمسافة بينهما بعيدة.

(4) **الدبران:** نجم يميل لونه إلى الاحمرار، يطلع بعد الثريا مباشرة، ولهذا عرف بعدة أسماء، تعني تبعيته للثريا، فقد سمي (التابع) و(الراعي) و(التالي) و(الحادي). وكان العرب قديماً يتشاءمون منه، لأنه يطلع في بداية موسم

اشتداد الحر، وهبوب الرياح الحارة الجافة، التي يسمونها السموم. ولهذا كانوا يقولون: "إذا طلع الدبران، يبست الغدران، وكرهت النيران".

(5) **الهقعة والهنعة:** هما من ضمن مجموعة النجوم التي تسمى (الجبار)، فالهقعة يتكون من ثلاثة نجوم صغار، تكون في وضعها كالأثافي، أم الهنعة التي تسمى أيضاً الجوزاء، فتتكون من نجمين متقاربين متتابعين. ونوء الهقعة ونوء الهنعة أو الجوزاء هما أول أنواء الشتاء. ونجد أحياناً من يجمع هذين النوءين معاً تحت اسم نوء الجوزاء، فقد قال الشاعر الأموي جرير في قصيدة يرثي بها الخليفة عمر بن عبد العزيز:

سقيت من سبل الجوزاء غادية وكل واكفة السعدين مدرار

ويلحق البعض بالجوزاء نجوم الشعريان، أي نجمي الشعرى اليمانية والشعرى الشآمية، وهما نجمان متقابلان يليان كوكبة الجبار من جهة الشرق. ولهذا نرى أن بعض العرب القدامى يسمون الجوزاء بنوء الشعريان.

(6) **الذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة:** مجموعات من النجوم، سميت بها هذه الأنواء الستة. هي في مجملها نجوم من نجوم كوكبة الأسد أو برج الأسد، فقد تصور القدماء هذه المجموعة الكبيرة من النجوم على صورة أسد له ذراعان، إحداهما مقبوضة في جهة الشمال، وبها سمي نوء الذراع، وبين الذراعين هالة من الضوء بين كوكبين لامعين هما: فم الأسد وأنفه، وتسمى النثرة، لأنها تبدو كأنها منثورة، يليها كوكبان صغيران يمثلان عيني الأسد تسميان الطرفة، وبعدها أربعة نجوم متقاربة في وضع مائل قليلاً، يمثلان جبهة

الأسد، سمي بها نوء الجبهة، ثم الزبرة المتمثلة في نجمين أحدهما صغير والآخر كبير، يشكلان هيكل الأسد أو زبرته، وأخيراً نرى نجماً ساطعاً لامعاً، تحيط به مجموعة من النجوم الصغيرة ضوؤها خافت أطلقوا عليه قلب الأسد.

يحل موسم الأمطار عند سقوط نوء الذراع، ولهذا نادراً ما يغيب مطره، مثله في ذلك نوء الجبهة؛ إذ يتزامن أفوله أيضاً مع منتصف موسم المطر، ويتفاءل العرب بهذين النوأين فيقولون: "إذا طلع الذراع، ترقرق الشراب في كل قاع". ويقولون: "لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفعة". وذلك لأن نوء الجبهة يروي الأرض، ويزيد في نمو عشبها وغنى مراعيها، فتزدهر قطعان الأغنام والإبل، وهي الثروة الأساسية المهمة عند عرب ذلك الزمان.

(7) **العواء والسماك:** يطلق اسم العواء أو العوّا على مجموعة من النجوم تشكل الطرف الأيمن لكوكبة نجوم العذراء، أو برج العذراء، ولأنها تأتي بعد كوكبة الأسد تخيلوها وكأنها كلاب تعوي خلف الأسد. والنجم اللامع الواضح بقرب العواء يسمى السماك الأعزل، لأن هناك نجماً آخر اسمه السماك الرامح، أي حامل الرمح. ولكن هذا الأخير لا يدخل ضمن الأنواء. وفي بعض أنحاء شبه جزيرة العرب يطلق على السماكين الأعزل والرامح اسم ساقا أو رجلا الأسد. ونوء العواء وكذلك نوء السماك يطلعان في أواخر الخريف وأوائل الشتاء. وعلى الرغم من أن مطرهما لا يكون غزيراً، إلا أنه مهم، لأنه يأتي بعد انقضاء موسم الجفاف والحر، فيلطف الجو وينبت العشب. ولهذا قال العرب قديماً: "إذا طلعت العواء طاب الهواء". وعادة ما تكون أمطار نوء السماك أغزر من

أمطار نوء العواء، ويكون الجو فيه أكثر برودة. وفي ذلك يقولون: "إذا طلع السماك، ذهب العكاك، وبرد ماء الحمقاء". فمن المعلوم أن المرأة الحمقاء لا تقوم عادة بتبريد الماء. وكان العرب يستبشرون بمطر نوء السماك إذا كان غزيراً. وقد قال في ذلك أحد الشعراء القدامى:

سقاها وإن كانت علينا بخيلة   أغر سماكي أقاد وأمطرا

وسقوط نجم السماك أو انتهاء نوئه يتزامن مع انتهاء موسم المطر، وبداية موسم الجفاف والحر، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

رعين الندى حتى إذا أوقد الحصى   ولم يبق من نوء السماك بروق

(8) **الغفر:** كان العرب يرتبونه كأول المنازل الجنوبية (اليمانية)، ولكن ابن قتيبة أورده في المرتبة الخامسة عشرة في ترتيب الأنواء، ويتكون الغفر من ثلاثة نجوم صغيرة، ضوؤها خافت، ولهذا تصوروا أنه يستر ضوءه بسبب الغفر أو الاحتشام، وهو من أنواء بداية الشتاء. ويقولون إن مطره ينبت الكمأة، وقالوا فيه: "إذا طلع الغفر اقشعر السفر، وذبل النضر".

(9) **الزبانى والإكليل والقلب والشولة:** أربعة أنواء متتالية تشكل نجومها أجزاء من مجموعة نجوم العقرب أو برج العقرب، فالزبانى نجمان متقابلان يشكلان قرني العقرب، والإكليل مكون من ثلاثة نجوم متقاربة تشكل رأس العقرب، وخلف نجوم الإكليل يقع نجم لون ضوئه أحمر لامع، أطلقوا عليه اسم قلب العقرب، وخلفه يظهر نجمان: أحدهما لامع والآخر خافت، يمثلان ذنب العقرب

أو الشولة أي الشوكة التي في طرف ذنب العقرب. ولهذا أطلقوا على هذين النجمين اسم الشولة. هذه الأنواء الأربعة تظهر متتابعة ومتزامنة مع حلول فصل الشتاء. ويقول أهل الحجاز: "إذا طلعت الزبانى، فاجمع لأهلك ولا تتوان"، إشارة إلى ضرورة الاستعداد لفصل الشتاء. وقالوا في نوء الإكليل: "إذا طلع الإكليل، هاج السيل، أو هاجت السيول". وقالوا في نوء القلب: "طلع القلب، وجاء الشتاء كالكلب". وقالوا في الشولة: "إذا طلعت الشولة، اشتدت على العيال العولة". وذلك لحلول فصل البرد وقلة الزاد.

(10) **النعائم والبلدة**: النعائم ثمانية نجوم ساطعة الضوء، تنقسم إلى مجموعتين متساويتين، تحوي كل واحدة منها أربعة نجوم، وتسمى المجموعة الأولى الواردة، والمجموعة الثانية الصادرة، وأمطار هذا النوء تزيد من نمو أعشاب المراعي، ولهذا قالوا: "إذا طلعت النعائم، توسعت البهائم"، أي شبعت لتوفر المرعى. والبلدة تتكون من مجموعة من النجوم، ضوؤها أقل سطوعاً من ضوء نجوم النعائم، ما عدا نجماً واحداً بارزاً وواضحاً، تحيط به مجموعة من النجوم على شكل دائرة تسمى القلادة أو القوس. وبما أن هذا النجم يطلع خلال اشتداد البرد فقد قالوا فيه: "في نوء البلدة، يجمد الماء، ويشتد كلب الشتاء".

(11) **السعود الأربعة**: هي نجوم تمثل منازلها أربعة أنواء هي: سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية. ويتمثل سعد الذابح في نجمين صغيرين، أحدهما في جهة الشمال، والآخر في جهة الجنوب، ويصاحب الأول نجم صغير جداً، قالوا إنه يمثل الشاة التي تذبح. ولهذا أطلقوا عليه اسم الذابح. أما

سعد بلع فيتمثل في نجمين: أحدهما أكبر وأوضح من الثاني، ويقترب النجم الكبير من النجم الصغير، كأنه يريد ابتلاعه، ولهذا سمي بلع. ويتكون نوء سعد السعود من ثلاثة نجوم: أحدها كبير ساطع الضوء، والآخران صغيران خافتان. أما سعد الأخبية فيتكون من أربعة نجوم، منها واحد ساطع لامع الضوء.

من الواضح أن الأنواء الثلاثة الأولى يكون طلوعها خلال موسم المطر، فتكون في الغالب أنواء ماطرة مفيدة للزرع وأعشاب المراعي، ولهذا يقولون: "إذا طلع سعد الذابح، حمى أهله النابح" و "إذا طلع سعد بلع صار في الأرض لمع" و"إذا طلع سعد السعود، كره في الشمس القعود". أما آخر السعود وهو سعد الأخبية فإنه يطلع مع انتهاء موسم البرد وبداية الدفء. وقد سمي بهذا الاسم لأن طلوع نجمه يتزامن مع فترة خروج الحيات والهوام من مخابئها، أي نهاية فترة بياتها الشتوي. وفيه يقولون: "إذا طلع سعد الأخبية، خلت من الناس الأبنية". أي ترك الناس المباني وفضلوا الإقامة في الخيام والسقائف وغيرها.

(12) **الفراغان الأول والثاني:** سميا الفراغان لأنهما يمثلان الفراغ الأعلى والفراغ الأسفل لكوكبة نجوم الدلو أو برج الدلو. ويسميهما البعض الفراغ المقدم والفراغ المؤخر، ويتكونان من أربعة نجوم كبيرة واضحة، وكثيراً ما يجمع العرب هذان النوءان في نوء واحد، يسمونه نوء الدلو. ويقولون: "إذا طلع الدلو، طاب اللهو". وقد ورد في شعر حسان بن ثابت قوله:

أشقاك من أم الوليد زبوع ... بلاقع ما من أهلهن جميع

عفاهن صيفي الرياح وواكف ... من الدلو رجاف السحاب هموع

(13) **بطن الحوت:** هو آخر الأنواء في جدول ابن قتيبة، ويتكون من نجوم كثيرة تشبه الحلقة، ولهذا تسمى أيضاً الرشاء. وقد شبهها بعضهم بالسمكة، وأطلقوا عليها اسم حلقة السمكة، ويكون مطلعها مع انتهاء موسم المطر. ولهذا يقولون: "إذا طلعت السمكة، أمكنت الحركة".

3- الأنواء في التراث الليبي:

يعد التصنيف الذي أورده ابن قتيبة أوضح وأفضل تصنيف للأنواء ومنازل نجومها، وهو الأكثر انتشاراً في التراث العربي والثقافة العربية. ولهذا اخترناه كمثال للتراث العربي في هذا المجال، على الرغم من وجود تصنيفات أخرى. وهذا الاختلاف في تصنيف الأنواء في الثقافة العربية قديماً انعكس على تصنيف الأنواء في تراثنا الليبي، ما يدل على أن الأنواء في التراث الليبي ما هي إلا جزء من التراث العربي القديم.

أولاً – الأنواء الفلاحية:

يستعمل الليبيون في لهجتهم كلمة (نوء)، وينطقونها (نَو) أو (نوَّه)، وهي تعني هطول الأمطار، وما يصاحبها من هبوب الرياح الباردة والعواصف. وهذا المعنى لكلمة (نو) أو(نوه) متداول بين سكان بعض مناطق ليبيا، وخاصة المناطق الشرقية. وتعني هذه الكلمة عكس ذلك تماماً، أي شدة الحر وهبوب الرياح والعواصف الحارة الجافة، في مناطق أخرى من ليبيا، وخاصة المناطق الغربية.

جاء هذا التضاد في معنى كلمة (نو) أو (نوه) في اللهجة الدارجة الليبية امتداداً لتضاد معنى كلمة نوء في اللغة الفصحى، فقد سبق أن ذكرنا أن هذه الكلمة تحمل معنى مزدوجاً، فهي تعني (طلوع) أو (سقوط) نجم من النجوم، التي اتخذها العرب القدماء علامات لتحديد وتوقيت تبدل مظاهر الطقس، فحركة شروق أو أفول نجم من تلك النجوم قد يكون في موسم البرد والمطر، وقد يكون في موسم الحر والجفاف. وهكذا انتقل هذا التضاد والاختلاف في معنى كلمة نوء في اللغة العربية الفصحى، إلى معنى كلمة (نو) أو (نوه) في اللهجة الليبية. ولتأكيد ذلك نسوق مثالين من الشعر الشعبي الليبي، ترد في أحدهما كلمة (نو) بمعنى شدة الحر، وترد نفس الكلمة في الثاني بمعنى الأمطار والزوابع الشتوية.

فالشاعر الشعبي أحمد الشايب يقول:

خشيت درب ما في قربتي لا بلة   في نو الثريا قيظ وتصرهيدة[1]

والشاعر الشعبي هاشم بو الخطابية يقول على لسان مدينة طبرق، خلال الحرب العالمية الثانية:

وعاد بنبهم ينزل يهدم فيا طراقيع نو نزلن في فورار [2]

التراث الشعبي الليبي، كغيره من تراث الأقطار العربية الأخرى، حافل بأنماط الحساب التقليدي لبدايات مواسم المطر والجفاف والحر والبرد، ومواعيد

---

[1] ديوان الشعر الشعبي ، المجلد الثاني، ص254.

[2] ديوان الشعر الشعبي، المجلد الثاني، ص93.

الفصول، ومواقيت الزراعة والرعي، وجز الصوف وغيرها. فقد اعتاد الفلاحون والرعاة على اتخاذ ظهور واختفاء بعض النجوم مواقيت لكل تلك التغيرات الجوية والمواسم الفلاحية. إن نظام الأنواء المعروف في التراث الليبي، يختلف من منطقة إلى أخرى، اختلافات جزئية طفيفة، سواء في التسميات أو في المواعيد. أثناء تنقلاتي بهدف جمع بعض البيانات والمعلومات لهذه الدراسة لمست بعض هذه الاختلافات بين المنطقة الساحلية في الشمال، والمنطقة الصحراوية في الجنوب، وكذلك بين منطقة سهل الجفارة ومنطقة خليج سرت، ومنطقة سهل بنغازي ومنطقة الجبل الأخضر والبطنان، كما يوجد اختلاف واضح في حساب الأنواء المعمول به عند الرعاة والمزارعين، وذلك المعمول به عند العاملين في البحر من صيادين وغيرهم.

حدود هذه الدراسة لا تسمح بالخوض في تفاصيل كل تلك الاختلافات، لأن الهدف من هذه الدراسة هو الإحاطة العامة بنظام الأنواء، كمظهر من مظاهر التراث الليبي القديم. ولكن ذلك لا يمنع من التنويه إلى وجود فرق جوهري بين نظام الأنواء في التراث العربي القديم، المتمثل في جدول ابن قتيبة، سابق الذكر، ونظام الأنواء في التراث الليبي، فجدول ابن قتيبة يصنف ثمانية وعشرين نوءاً، يحدد في كل واحد منها منزلة النجم الذي يسمى به النوء، وموعد طلوعه وسقوطه، أي أنه حدد لكل نوء نجماً معيناً، فالثمانية والعشرين نوءاً أخذت أسماء ثمانية وعشرين نجماً، بينما نجد الأنواء في التراث الليبي تنحصر في ثمانية نجوم، تحسب منازلها عند طلوعها قبيل الفجر، ثم تحسب

مرة أخرى عند طلوعها بعد الغروب. ولهذا يكون لكل نجم منها نوءان: نوء عن طلوعه قبيل شروق الشمس، ونوء آخر عند طلوعه بعد غروبها.

بهذا الحساب المختلف كلياً عن حساب ابن قتيبة تتكون الأنواء في التراث الليبي من ستة عشر نوءاً تصنف كالآتي:

(1) تبدأ بطلوع (الثريا)، قبيل فجر اليوم السادس من شهر مايو.

(2) يأتي بعدها نوء (الدبران) ويسمونه (الاصيفر).

(3) ثم نوء الهنعة، ويسمونه (الجوزا)

(4) بعده يأتي نوء (المرزم) ويسمونه أحياناً (الذراع).

(5) ثم نوء النثرة، ويسمونه (النجيمات).

(6) ثم يحل نوء (سهيل).

(7) ويأتي بعده نوء (العواء)، ويسمونه (العوا).

(8) وتنتهي الفترة الأولى بنوء (النسر).

بعد انتهاء هذا النوء الأخير يعودون إلى الحساب الثاني الذي يبدأ أيضاً بطلوع الثريا، بعد غروب الشمس، يليها طلوع الدبران أو (الاصيفر).. وهكذا تتوالى بقية الأنواء بنفس الترتيب السابق، إلى أن تنتهي عند نوء النسر، الذي ينتهي مع نهاية اليوم الخامس من شهر مايو في السنة التالية، ثم يعودون إلى الحساب من جديد، مبتدئين بطلوع الثريا، قبيل فجر اليوم السادس منه.. وهكذا يتوالى الحساب عاماً بعد عام.

قام الأستاذ محمد السنوسي الغزالي بصياغة نظام الأنواء هذا المعمول به في التراث الليبي في شرق البلاد في أرجوزة، سماها (منظومة الغزالي)، رأيت أن أقتبسها كاملة هنا، لأنها تعد مصدراً مكتوباً يوثق نظام الأنواء المعروف في التراث الليبي في مناطق الشرق، وأعتقد أنها لا تختلف كثيراً في المناطق الأخرى:

منظومة الغزالي[1]

أحمد خالقي عظيم الشان	مـدبر الزمـان والمكان
مصلياً على النبي المصطفى	وآله أهل الكـمال والـوفا
وهذه أرجوزة سميتها	منظومة الغزالي إذ وضعتها
على فصول العام والميقات	نقلاً عن اهل برقة الثقات
لأنهم راموا الحساب بالنجوم	وميزوا بها الحصاد والحسوم
كذا الخريف والشتاء والربيع	وعلموا بها المصيف والربيع[2]
حسابها يمشي على ميلاد	روح الإله بارئ العباد
عيسى الرسول ابن الفتاة مريما	صلى عليه ربنا وسلما
أولها نوء الثريا قد أتى	في ستة كما يقال يا فتى
أيامها عشرون بعد خمس	وعند ذا تشرق قبل الشمس

[1] محمد السنوسي الغزالي، السبك الحديث في تاريخ برقة القديم والحديث، القاهرة، 1939م، ص ص 203-211.

[2] كلمة الربيع الثانية تعني العشب أو الكلأ أو المرعى.

فصل الصيف

أخر يوم للمصيف يعتبر و(الدبران) بعد خمسة عشر

في واحد بعد الثلاثين دخل من مايو فافهم قولنا واخش الملل

كذا (الجوزاء) يأتي نورها في نصف يونية أتى أولها

وهي أيضاً كالثريا في العدد و(مرزم) من بعدها كذا ورد

وهو (الذراع) خمسة بعد عشر أوله عاشر يولية اشتهر

وبعده قالوا (نحيمات) تعد في الخمس والعشرين من يوليو استفد

ثالث يوم منه أول العمود وتمنع الذود به عن الورود

أيامها عشرون بعد خمس(سهيل) يأتي عند حر الشمس

أوله يبدا بتسعة عشر من غسطس كما أتانا في الخبر

فصل الخريف

في العشر منه ينتهي فصل المصيف وحادي عشر منه جاء للخريف

وينتهي عند انتها الثلاث من سبتمبر (عوا) برابع قمن

روى الثقات في ليالي نوئها ما رمزه أتى على كاف وها[1]

آخرها الثامن والعشرون تاسعه للتوت يحسبون[2]

و(النسر) في ست حكت بأكتوبر ثالث عشرة له تكوبر

لكل ذي الثلاثة المذكورة سبعة أيام غدت مشهورة

---

[1] أي أن مدة نوء العوا (25) يوماً، على حساب الجمل، حيث ك=20 + هـ=5 المجموع 25 يوماً.

[2] أي يوافق بداية شهر توت، حسب التقويم القبطي.

أوسطهن النسر رعيه حرام وأكله لحيوانهم جعام[1]

كذا (الثريا) جاء في العشرين أولها حقاً بلا تخمين[2]

محراث آدم أتى في العاشر على حساب السادة الأكابر[3]

ثلاثة عشرة نوفمبر يكون آخرها وفيه تبدو للعيون

بعد الغروب ثم قل بأصفر أربع عشرة له في الخبر

ففي الثمان منه والعشرينا منه انتهاؤه فلا تمينا

فصل الشتاء

في التاسع (الجوزاء والشتاء اليوم ذا له به ابتداء

ثم الثلاثة مع العشرين من ديسمبر للانتهاء يا فطن

في رابع من بعد عشرين أتى (مرزمها) سبع يناير ثبتا

وبانتهائه دعوا حرثهمو ما زوزي فاحفظه نقلاً عنهم[4]

إذا بدا للعين من بعد الغروب فالحرث حاذر إن له يوماً تؤوب

نوء (النجيمات) بحا يناير وينتهي أول من فبراير[5]

---

[1] إشارة إلى المعتقد الذي يقول إن الأغنام إذا أكلت في ذلك الوقت العشب الرطب، تصاب بمرض الجعام.

[2] بداية العد الثاني للأنواء التي تطلع نجومها بعد الغروب، والتي تبدأ من جديد بالثريا.

[3] تقول خرافة كانت منتشرة عند المزارعين والرعاة قديماً إن آدم أبو البشر –عليه السلام– هو أول من حرث الأرض، وكان أول حرث له يوم 10 من شهر أكتوبر.

[4] إن عملية حرث القمح والشعير بعد انهاء نوء (المرزم)، أي خلال النصف الثاني من فصل الشتاء، تنتج زرعاً ضعيفاً هزيلاً في إنباته وإنتاجه، ويسميه الفلاحون الليبيون التقليديون (زرع ما زوزي)، أي هزيل وضعيف.

[5] بحا ينار، أي بيوم 8 يناير حسب الحساب الأبجدي أو حساب الجمل لأن حرف ح=8

والثاني منه (السهل) في الخبر ... وينتهي في سادس مع العشر

السابع بعد العشرين للعوا أتى ... ونصف مارس تفوت يا فتى

فصل الربيع

في عشرة وواحد منه الربيع ... فكن لهم موافقاً ولا تضيع

وفيه يمنعون رعي الحيوان ... قبل ارتفاع الشمس في كل مكان

خوف الجعام ما عدا جنس البقر ... لأن فيـه الطـل لا له أثر [1]

جيم وكاف منه تبدأ الحسوم ... سبع ليال وثمانية تدوم[2]

وبعد ما مضى يرى الرجال ... أن الثريا ساقها الهلال

ففيه قد رأوا مضي الشهر ... ويحسبون ليله بعشر

وكان في الثماني والخمسين من ... رابع قرن بعد عشرة زكن[3]

الحمد لله والامر أمره ... سبحانه ولا إله غيره

انتهت منظومة الغزالي

---

[1] كان هناك معتقد قديم عند الرعاة يقول إن الحيوان الذي يؤكل لحمه، ما عدا البقر، إذا رعى العشب الذي نزل عليه الطل وقت الصباح، يصاب بالجعام، ولهذا لا يخرجون بقطعانهم إلى المراعي إلا بعد طلوع الشمس، وتبخر الطل وجفاف العشب.

[2] جيم وكاف تساوي في حساب الحمل: 3+20 = 23 منه أي من شهر مارس

[3] أي في السنة الثامنة والخمسين من القرن الرابع عشر الهجري (1358هـ)، وهو التاريخ الذي وضع فيه الغزالي منظومته.

الحساب الأبجدي:

قبل مواصلة الحديث عن الأنواء، أرى أن أتحدث بإيجاز عن الرموز الحسابية الواردة في منظومة الغزالي، التي حدد بها تواريخ بداية ونهاية بعض الأنواء، التي حاولت شرحها في هوامش التعليق على بعض أبيات المنظومة أو الأرجوزة. فقد اشتهر عند بعض الأدباء والفقهاء والشعراء القدامى حساب خاص يعرف بحساب الجمل أو بالحساب الأبجدي أو بالحساب السائر، الذي يكون فيه لكل حرف من الحروف المنتظمة على طريقة "أبجد هوز حطي كلمن"، رمز حسابي أو رقم محدد حسب التنظيم التالي:

أ=1، ب =2،ج =3،د =4،هـ =5، و=6 ،ز =7،ح =8،ط =9 ،ي=10

ك=20، ل =30،م =40،ن =50،صـ =60، ع=70 ،ف=80،س =90،ق =100

ر =200، ش =300،ت =400،ث =500،خ =600، ز =700 ،ض=800،ظ =900،غ =1000

وقد ذكر الأستاذ يوسف حلمي في دراسته[1] أبياناً من أرجوزة متداولة في منطقة زوارة في الغرب الليبي تحدد بداية الفصول الأربعة حسب التقويم المتداول في التراث الليبي، أي بتاريخ السنة الرومية أو العجمية، وقد حددت تواريخ بداية الفصول بطريقة حساب الجمل وهي كالتالي:

---

[1] الرزنامة الفلكية، يوسف صالح حلمي، ورقة بحثية غير منشورة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، زوارة، 1998م.

أول الربيع من فبراير ليلة (يه) بالحساب السائر

مقدم الفرعين قل منزلتة ويوم (يز) للمصيف نثبته

من مايو والهقعة اجعل منزلته ثم الخريف (يز) من أغسطس له

منزلته الهقعة والشتاء (يو) نوفمبر وشوله لها حكوا

فك رموز حساب الجمل الواردة في هذه الأبيات يكون كالتالي:

- أول فصل الربيع ليلة (يه): ي =10 + هـ = 5 ، أي أن بداية فصل الربيع هو يوم 15 فورار (فبراير).
- أول فصل الصيف (يز) : ي = 10 + ز = 7 ، أي يوم 17 ميو من السنة العجمية.
- أول فصل الخريف (يز): أي يوم 17 أزغسطس من السنة العجمية.
- أول فصل الشتاء (يو): ي = 10 + و = 6، أي يوم 16 نونمبر من السنة العجمية (نوفمبر).

وقد ذكر مؤلف الأرجوزة، زيادة على التواريخ، أن أول الصيف يتزامن مع طلوع نجم (الفرغين)، وبداية الخريف تتزامن مع ظهور نجم (الهقعة)، وأول الشتاء يتزامن مع طلوع نجم (الشولة). ومنازل هذه النجوم هي أسماء لثلاثة أنواء ذكرت في جدول أنواء ابن قتيبة، الذي يمثل الأنواء في التراث العربي القديم.

وثقت منظومة الغزالي التي سبق ذكرها حساب الأنواء ونظامها في التراث الليبي في منطقة برقة، وهو لا يتفق تماماً مع الأنواء المعروفة في بعض المناطق الأخرى من البلاد، والدليل على ذلك أن ما ورد من أسماء بعض منازل النجوم التي تمثل الأنواء تختلف جزئياً عن أسماء الأنواء الواردة في منظومة الغزالي. وأذكر أني عندما كنت أجمع مادة هذه الدراسة لم يحالفني الحظ بلقاء من يعرف هذه الأنواء حسب النظام الذي ذكره الغزالي في منظومته، إلا شخص واحد من منطقة هراوة، بخليج سرت، وكان رجلاً يمتهن تربية الإبل، وعمره في ذلك الوقت ثلاثة وسبعين عاماً، فقد سمعت منه أسماء الأنواء ونظامها ومواقيتها، وقمت بتوثيقه، ووجدت أنه مطابق لما ورد في منظومة الغزالي. أما بقية من سمعت منهم عن الأنواء ونظامها في التراث الشعبي الليبي فإن رواياتهم لم تتطابق مع ما ورد في منظومة الغزالي. وغالباً ما كانت رواياتهم مشوشة وقاصرة، فلم يكن من بينهم من يعرف الأنواء كلها ونظامها، وأعتقد أن ذلك ناتج عن عدم معرفة الأنواء كلها، فقد كان بعضهم يخلط بين الأنواء المرتبة حسب منازل النجوم ومتغيرات مظاهر الطقس، فمنهم من ذكر نوءاً باسم الحسوم، ونوءاً باسم الليالي، وباسم الربيع وغيرها من الأسماء، بل إن هناك من ذكر أنواء باسم الشهور، مثل نوء أي النار ونو مارس.. وهذا كله خلط بين أسماء الأنواء ومواسم البرد والمطر ومواسم الحر والجفاف. وهذا ارتباك يدل على عدم المعرفة الأكيدة بالأنواء، لأن الناس تتناقل هذه المعارف عن طريق الرواية الشفهية، ما يعرضها للنسيان والضياع، فالحقيقة أن نظام الأنواء لم يعد له ذكر واضح ودقيق في الثقافة الشعبية

الليبية، حتى بين المزارعين والرعاة، بل إنني صادفت العديد من سكان الأرياف والصحراء الذين لا يعلمون عن الأنواء إلا أصداء بعيدة باهتة، يتذكرونها بصعوبة، ضمن ذكريات روايات أجدادهم. وقد قال لي أحدهم ساخراً: هذه المعلومات التي تسأل عنها لم يعد أحد يعرفها، فالذين يعرفونها حق المعرفة قد انتقلوا جميعاً إلى رحمة الله، ونحن الآن نتذكر نتفاً من رواياتهم، وغالباً ما تكون محرفة غير منضبطة، فقد ولى زمان الأنواء ورواتها.

أقر بأن كلامه لا يجانب الواقع والحقيقة الآن، فمن بين مائة استبيان جمعتها من مناطق ليبيا المختلفة لم أجد إلا استبيانين اثنين فقط يحتويان على معلومات عن نظام الأنواء تتفق مع ما ورد في منظومة الغزالي: الأول من منطقة هراوة وقد سبق ذكره، والثاني من منطقة البردي القريبة من الحدود الشرقية. وهذا الأخير احتوى على اختلاف واحد مع منظومة الغزالي؛ إذ ورد فيه ذكر نوء (النجمات) قبل نوء (المرزم). وهو اختلاف بسيط ربما كان نتيجة السهو.

كان الرعاة والفلاحون الليبيون، قبل اكتشاف النفط، يزاولون الرعي والزراعة التقليديين، وكانوا يهتمون بالتغيرات الجوية ومواسم المطر والجفاف، ولذلك كان في كل منطقة شخص أو أكثر يعرفون نظام الأنواء ومواقيتها، وكان الناس يعتمدون عليهم في معرفتها، وتدقيق حسابها، باعتبارها ظاهرة مهمة في حياتهم اليومية، وفي تنظيم أعمالهم التي يكسبون منها عيشهم. أما بعد اكتشاف النفط وتصديره في السنوات الأولى من ستينيات القرن العشرين، فقد هجر أغلب

الليبيين مجال الزراعة والرعي، واتجهوا نحو المدن ونحو مراكز استخراج النفط وتصنيعه، ولم يواصل منهم مزاولة أعمال الفلاحة إلا قلة نادرة جداً. واستعانت هذه القلة بالميكنة والتقنية الحديثة، فاختفت تقريبا كل مظاهر النشاط الفلاحي التقليدي. وهكذا لم يعد أحد يحتاج إلى حساب الأنواء ومواعيدها، فأخذت تتلاشى وتندثر مع الأجيال القديمة التي مضت. أما الأجيال المعاصرة فلم تعد بحاجة إلى مثل ذلك الحساب. ولم يبق من المعارف التي كانت في أذهان الناس عن الأنواء إلا معلومات باهتة ترسبت في ذاكرة من سمعوا به من الأجيال القديمة، وأغلبهم لا يعرف عنه إلا بعض المعلومات القليلة المشوشة، بل إن بعض الليبيين لم يسمعوا عنه قط، ولا يعرفون عنه شيئاً، فهو الآن جزء من التاريخ الليبي، أكثر من كونه جزءاً من التراث الشعبي الليبي الحي.

ثانياً ــ الأنواء البحرية:

تختلف الأنواء البحرية المعروفة في التراث الليبي اختلافاً بيناً عن الأنواء التي كانت معروفة عند الرعاة والمزارعين، فهي لا تعتمد في الغالب في تسميتها على منازل النجوم، أي لا تأخذ أسماءها من النجوم فقط، فبعض أسمائها مشتقة من أسماء مظاهر الطقس، أو من الفصول أو غيرها. وهي جميعا متعلقة بحياة البحر، أو بمظاهر الطقس المؤثرة فيه، ومن أنماط العمل في البحر. وقد سمعت من أحد الذين يعملون في البحر، وهو بحار متقاعد من

مدينة بنغازي، أنه يعرف هذه النّوات[1] البحرية منذ بداية عمله في البحر، في فترة شبابه، وأكد أن بعض البحارة القدامى أخبروه بأن نظام النوّات البحرية معروف منذ زمن قديم، ربما يرقى إلى ما قبل فترة حكم الخلافة العثمانية، أي عندما كان العمل في البحر يتم بسفن خشبية شراعية، تبحر بقوة الرياح والأشرعة، أو بقوة البشر والتجديف، بما في ذلك قوارب الصيد الساحلية الصغيرة والسفن التجارية الضخمة وسفن الأسطول الحربي.

إن المناهج الدراسية للمدرسة الثانوية البحرية العسكرية، التابعة للسلاح البحري الليبي، وغيرها من الأكاديميات البحرية المتخصصة، تتضمن بيانات ومعلومات عن هذه النوّات البحرية. ورأيت أنه من المفيد أن أورد هنا مثالاً أو وثيقة مكتوبة عن نظام النوات البحرية في التراث الشعبي الليبي، منقولة عن المنهج الدراسي في إحدى مؤسسات السلاح البحري الليبي، معنونة بالعنوان التالي: "**السلاح البحري الليبي – قيادة الأسطول – العواصف السنوية التي يحتمل هبوبها على السواحل الليبية**". وهي على شكل جدول نشر بتاريخ 25 ديسمبر 1976م، ضمن مقررات المدرسة الثانوية العسكرية البحرية بجنزور.

---

[1] رجال البحر ينطقونها (نوّات) ومفرده نوّة.

العواصف السنوية التي يحتمل هبوبها على السواحل الليبية

رقم	التاريخ	اسم العاصفة النوة	مدتها بالأيام	اتجاهها	قوتها على جدول بيفرت	نوعها
1	5 يناير	رأس السنة	2	غربية إلى شمالية غربية	8-6	ممطرة
2	8 يناير	الغيضة الكبيرة	5	جنوبية غربية إلى غربية	8-6	ممطرة
3	17 يناير	الغطاس	5	جنوبية غربية إلى شمالية غربية	8-6	ممطرة
4	26 يناير	الكرم	6	شمالية غربية	8-6	ممطرة
5	2 فبراير	باقي الكرم	7	شمالية غربية	8-6	ممطرة
6	13 فبراير	الشمس الصغيرة	2	شمالية غربية	8-6	ممطرة
7	3 مارس	السلوم	3	شمالية غربية	8-6	ممطرة أحيانا
8	7 مارس	الحسوم	2	شمالية غربية	8-6	ممطرة أحياناً
9	12 مارس	باقي الحسوم	2	شمالية غربية	8-6	ممطرة أحياناً
10	21 مارس	الشمس الكبيرة	3	غربية إلى شمالية غربية	8-6	ممطرة أحياناً

11	28 مارس	العوّة	2	شمالية غربية	8-6	ممطرة أحياناً
12	1 أبريل	باقي القوة	2	شمالية غربية	8-6	ممطرة أحياناً
13	21 نوفمبر	المكنسة	4	شمالية شرقية إلى شمالية غربية	8-6	ممطرة
14	27 نوفمبر	باقي المكنسة	2	شمالية شرقية إلى شمالية غربية	8-6	ممطرة
15	5 ديسمبر	قاسم	4	شمالية غربية إلى جنوبية غربية	8-6	ممطرة
16	11 ديسمبر	باقي قاسم	2	شمالية شرقية إلى شمالية غربية	7-6	ممطرة
17	14 ديسمبر	الغيضة الصغيرة	2	شمالية غربية	7-6	ممطرة
18	22 ديسمبر	باقي الغيضة	2	جنوبية غربية إلى شمالية غربية	7-6	ممطرة
19	30 ديسمبر	عيد الميلاد	2	شمالية غربية	7-6	ممطرة

يعد هذا الجدول مرجعاً مدوناً للعواصف (النوات) البحرية، يوثق ما يعرف عنها في التراث الليبي. وقد تمكنت من تسجيل بعض الروايات الشفهية عن هذه النوات ونظامها، وهي روايات سمعتها من بعض كبار السن من الليبيين الذين كانوا يعملون في البحر، في مناطق زوارة وطرابلس وبنغازي وطبرق،

فوجدتها لا تتطابق تطابقاً كاملاً مع ما ورد في جدول الثانوية البحرية، ولا تتطابق فيما بينها أيضاً، وتنحصر أهم الاختلافات في تاريخ حدوث تلك النوات وقوتها، واكتفت جميعها بتحديد تاريخ حدوثها بشكل تقريبي.

ونورد –على سبيل المثال–الرواية الشفهية التي سمعتها في منطقة طبرق، لأنها أكثر الروايات دقة في تحديد تاريخ بداية النوة. أما الروايات الأخرى فكانت تواريخها تحدد بصفة تقريبية، مثل بداية شهر كذا، أو أواخر شهر كذا، دون تحديد الأيام.

جدول نوات البحر حسب الرواية المسجلة من منطقة طبرق

رقم	اسم النوة	التاريخ
1	راس السنة	2 يناير
2	الغيض (الثاني)	12 يناير [1]
3	الغطاس	19 يناير
4	الكرم	24 يناير
5	الشمس الصغيرة	18 فبراير
6	السلوم	2 مارس
7	الحسوم	9 مارس
8	الشمس الكبيرة	11 مارس
9	برد العجوز	24 مارس[1]

[1] وردت في الروايات الأخرى وفي جدول الثانوية البحرية بصيغة تاء التأنيث (الغيضة)

10	الصلبية	20 أكتوبر [2]
11	المكنسة	17 نوفمبر
12	قاسم	2 ديسمبر
13	الغيض (الأول)	20 ديسمبر

للمزيد من الإيضاح نورد هنا بعض الملاحظات الموجزة عن النوات البحرية في التراث الليبي مستمدة من الروايات الشفهية سابقة الذكر، ومقارنتها بما ورد في جدول الثانوية البحرية العسكرية:

(1) النوات البحرية المذكورة في جدول المنهج الدراسي للثانوية العسكرية البحرية أكثر عدداً مما ذكر في أي رواية من الروايات الشفهية، فقد بلغ عددها في جدول الثانوية البحرية تسع عشرة نوة أو عاصفة، بينما الروايات الشفهية الأربعة سجلت جميعها عدداً أقل، حيث تراوح عدد النوات المسجلة فيها من 11 إلى 13 نوة.

(2) اتفقت الروايات الشفهية مع جدول الثانوية البحرية في حصر النوات (العواصف) خلال أشهر الفصل البارد من السنة، فهي جميعا تبدأ في شهر يناير، وتستمر حتى شهر أبريل، ثم تتوقف خلال موسم الحر، لتبدأ من جديد في شهر أكتوبر، فلا توجد نوات بحرية خلال الفترة الواقعة بين أواخر أبريل

---

[1] وردت بهذا الاسم في الرواية المسجلة في منطقة بنغازي. أما في الروايات الأخرى فقد وردت باسم (العوا).

[2] لم يرد هذا الاسم في أي رواية أخرى.

وأواخر أكتوبر، وهي فترة المناخ الدافئ والحار من السنة، فخلال هذه الفترة لا تهب على السواحل الليبية عواصف باردة، ولا تهطل أمطار، وهي الفترة التي يزداد فيها النشاط البحري على السواحل الليبية، عندما كانت السفن والقوارب تعتمد على الشراع والمجداف.

إن الفترة الحارة من السنة تهب خلالها عواصف الرياح الجنوبية (القبلي) المثيرة للغبار والأتربة ذات التأثير السلبي الضار على الزراعة والرعي والسفر في الصحراء. ولا نجد أي نوّة بحرية خاصة بعواصف رياح القبلي، ما يدل على قلة تأثيرها في النشاط البحري. وقد تأكدت أثناء القيام بتجميع معلومات هذه الدراسة أن بعض سكان مساعد والبردي المحاذية للحدود مع مصر يعرفون رياح (الخماسين)، وقالوا إنها تبدأ يوم 23 أبريل، وتستمر خمسين يوماً تقريباً. وهي نوع من رياح القبلي، غير أنني لم أجد في بقية المناطق الليبية الأخرى من يعرفها، ولم أجد لها ذكراً في أي نوع من أنواع النوّات.

(3) النوات البحرية أو الأنواء البحرية أصبحت الآن غير متداولة بين الناس، بما في ذلك سكان المدن الساحلية، فعلى طول الفترة التي كنت أجمع فيها معلومات هذه الدراسة لم أحصل إلا على الروايات الشفهية الأربع آنفة الذكر، ولم أحصل عليها إلا بصعوبة بالغة، فالسفن الشراعية اختفت تماماً من سواحل ليبيا، والعاملون بصيد السمك اليوم أغلبهم من غير الليبيين (مصريون وتونسيون في الغالب)، أما الليبيون فهم أصحاب قوارب الصيد التي يعمل عليها صيادون غير ليبيين. وعندما طلبت من بعض أصحاب السفن من

الليبيين ما إذا كانوا يعرفون بعض المعلومات عن الأنواء، كانت إجاباتهم: "كنا نسمع عن هذه النوات من القدماء، ولكننا لا نعلم ما هي وما فائدتها"، ما يدل على أن هذا الجانب من التراث في طريقه إلى التلاشي والنسيان.

(4) سألت بعض العاملين في البحر من الليبيين، مالكي مراكب صيد، هل للنّوات البحرية علاقة بصيد السمك، من حيث أصنافه وتكاثره وأماكن تواجده؟ فكانت إجابتهم تتلخص في أنهم ليس لديهم أي علم بتأثير النوات على الصيد، وإنما يعرفون مواسم تكاثر وأماكن وجود بعض أنواع السمك، عن طريق تحديد مواعيدها بالأشهر الشمسية الميلادية. فمثلاً تتكاثر أسماك (الشلبة) في فترة الصيف، من شهر يوليو إلى شهر سبتمبر، وموسم صيد سمك (المغزل) يبدأ من بداية الصيف إلى بداية الخريف، أي من أول مايو إلى آخر سبتمبر. أما سمك (الشولا) فموسم صيده من أول أبريل حتى نهاية يوليو. وسمك (الصاورو) سمك شتوي يمتد موسم صيده من أول أكتوبر حتى نهاية فبراير. وأسماك الأعماق، أي التي يتم صيدها في عرض البحر بعيداً عن الساحل، فموسم صيدها يبدأ من شهر مارس ويستمر حتى نهاية شهر أكتوبر.. وهكذا إلى آخر قائمة الأسماء الطويلة للأسماك المعروفة على السواحل الليبية، وهي بفضل الله كثيرة ووفيرة,

وربما انطبق مثل هذا الحديث على العهود القديمة. أما الآن فإن موسم الصيد البحري مستمر طول العام، بفضل المراكب الحديدية ذات المحركات القوية، وخاصة الجرافات الحديدية.

مواسم ومواقيت المناسبات الدينية:

عرفت ليبيا، قبل دخول الإسلام، العديد من الديانات الوثنية والسماوية، كان آخرها اليهودية والمسيحية، ولكن كل تلك الديانات تلاشت واندثرت على مدى مراحل من الزمن، وحل محلها الإسلام الذي يمثل اليوم دين سكان ليبيا وعقيدتهم. ومن المعروف أن كل المناسبات والشعائر الدينية الإسلامية تحدد مواقيتها بالتاريخ القمري الهجري { يَسْأَلُونَكَ عَنِ **الأَهِلَّةِ** قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}[1].

إن المناسبات الدينية المعروفة في ليبيا قد تكون فرائض أو سنن، وقد تكون مجرد اجتهادات من بعض علماء الدين وشيوخ الطرق الصوفية وبعض الأئمة والمصلحين الدينيين. لا نتعرض في هذا المقام لدراسة هذه المناسبات الدينية من جهة المعتقد أو الفكر، ولا من حيث صحتها أو بطلانها، ولا من حيث ارتباطها بالممارسات والطقوس الدينية أو العبادات، ولكننا سوف نستعرضها هنا باختصار من حيث كونها معلماً من معالم التراث، لأن لها وجهاً آخر يرتبط بالعادات والتقاليد والعرف، أي بالتراث الشعبي الليبي. ونستعرض هنا أهم المناسبات الدينية الإسلامية التي يحتفل بها الناس في ليبيا اجتماعيا وتقليدياً إلى جانب تطبيقها الديني، سواء أكانت فرضاً أم سنة أم مجرد مناسبة تاريخية اجتماعية مرتبطة بالدين، وأصبحت تقليداً وجزءاً من

---

[1] سورة البقرة، الآية 189.

التراث الليبي، ونحدد مواقيتها بالتاريخ القمري الهجري. ونذكر –على سبيل المثال لا الحصر– المناسبات التالية:

(1) عيد رأس السنة الهجرية (أول محرم):

اعتاد الليبيون الاحتفال بهذه المناسبة وإحيائها بقراءة القرآن الكريم في المساجد والزوايا، والتوسعة والترويح عن الأهل، وخاصة الأطفال، بالأطعمة الخاصة بالمناسبة والحلوى والمكسرات، ويكون عشاء تلك الليلة أكلة الكسكسي، الذي يطهى على بقايا لحم أضحية العيد (عظام القديد)، ويسمونها ليلة (الفتاشة)، ويشجعون الأطفال على الأكل حتى الشبع، ويقولون إن الذي ينام تلك الليلة شبعاناً، سيقضي بقية العام لا يجوع أبداً. كما يضعون على عتبات مداخل منازلهم ودورهم علامات صغيرة من الجير، تعبيراً عن التسامح والسلام والتفاؤل بالعام الجديد، الذي يعبرون عنه باللون الأبيض.

وأدون هنا هذا الدعاء الذي كان يقرأ جماعياً بصوت مرتفع بعد تلاوة القرآن في الزاوية الرفاعية في بنغازي، في أول ليلة من العام الهجري الجديد: "اللهم إنك أنت الأبدي القديم الأول، وعلى فضلك العظيم وجودك المعوّل، وهذا عام جديد قد أقبل، نسألك العصمة فيه من الشيطان، والعون على هذه النفس

الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربنا إليك زلفى، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"[1].

هذا ما شاهدته وعرفته في مدينة بنغازي حتى ستينيات القرن العشرين الميلادي. أما الآن فقد اختفت هذه العادة في مدينة بنغازي، ولست أعلم ما إذا كانت مستمرة في مناطق أخرى من البلاد أم لا. غير أن هذا اليوم هو يوم عطلة رسمية في ليبيا.

(2) يوم عاشوراء (10 محرم):

كان الليبيون يحيون هذا اليوم بصيامه وبالذكر والدعاء في المساجد، بعد تلاوة ما تيسر من القرآن الكريم، بعد صلاة العشاء من اليوم التاسع من شهر محرم، كما تقام حلقات الذكر وقراءة القرآن (الختمة) في الزوايا، ويكثرون من الدعاء. وقد كان المجتمعون في الزاوية الرفاعية في بنغازي يرددون هذا الدعاء: "سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات ربنا التامات كلها، نسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين".

---

[1] هذا الدعاء ودعاء عاشوراء ودعاء ليلة النصف من شعبان، التي سيرد ذكرها في هذه الدراسة دونت نصها الذي أمدني به أحد مريدي الطريقة الرفاعية، وأكد لي أن المرحوم سالم الزياني شيخ الطريقة الرفاعية في بنغازي الأسبق، أملاها عليه فدونها واحتفظ بها.

وكان الليبيون يتناولون ويتهادون مع الأقارب والجيران (الفول والحمص المطبوخ)، وبعضهم يتناولون أكلة (الفتات)، إلى جانب الفول والحمص. وفي مساء يوم 9 محرم (ليلة عاشوراء) ينتظم الأطفال في جماعات تجوب الشوارع، ينشدون بعض الأهازيج وهم واقفون أمام البيوت، فيمنحهم سكان تلك البيوت الفول والحمص، وبعض الحلويات والمكسرات. ومن تلك الأهازيج التي يرددها الأطفال ليلة عاشوراء "عاشورا عاشورتي، تنفخ لي زكورتي، اللي ما تعطيش الفول، يصبح راجلها مهبول، واللي ما تعطيش الحمص يصبح راجلها يتلمس"...إلخ.

اختفت هذه العادة من شوارع أغلب المدن الليبية، ولم نعد نسمع تلاوة القرآن والذكر والدعاء في المساجد والزوايا، بل إن بعض رجال الدين أفتوا بأنها بدعة، ودعوا إلى إبطالها ومنعها.

(3) المولد النبوي الشريف (12 ربيع الأول):

يطلق الليبيون اسم شهر (الميلود) على شهر ربيع الأول، لأنه الشهر الذي ولد فيه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). منذ اليوم الأول من هذا الشهر يشرع الليبيون في إقامة (حلقات البغدادي)، فيما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء من كل ليلة. واحتفالات البغدادي مناسبة يجتمع فيها الناس في المساجد والزوايا، وفي بعض البيوت، ينشدون في نغم رتيب (منظومة البغدادي) في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهي مديح منظم وضعت أبياته على حروف اللغة العربية، من الألف إلى الياء، وفي كل حرف مجموعة أبيات،

يرددها المنشد ويردد بعده الحاضرون اللازمة بلحن وإنشاد صوتي، لا يصاحبه أي نوع من الآلات الموسيقية أو ضبط الإيقاع. وهكذا ينشدون في كل ليلة أبيات من تلك المنظومة، تبدأ بالأبيات الخاصة بحرف الألف في أول ليلة من ليالي شهر ربيع الأول، وتنتهي بالأبيات الخاصة بحرف الياء في آخر أيام شهر ربيع الأول، ويسمى (يوم الختمة)، أي اختتام منظومة البغدادي، وهو احتفال يجتمع فيه الناس في المساجد والزوايا، يبدأ بتلاوة جهرية جماعية لجزء من القرآن الكريم، يليه إنشاد آخر أبيات منظومة البغدادي، وإنشاد بعض المدائح الأخرى. ويكون هذا الإنشاد صوتياً فقط في المساجد والمنازل. أما في زوايا الطرق الصوفية فيصاحب إنشاد المدائح العزف على بعض الآلات الموسيقية، والدق على الدفوف والطبول.

في يوم المولد (12 ربيع الأول) يفطر الليبيون على العصيدة، وهو تقليد مستمر لم ينقطع حتى الآن. وخلال الفترة ما بين العصر والمغرب، أو خلال الفترة ما بين المغرب والعشاء يتجمع الناس في المساجد والزوايا للاحتفال بيوم المولد الشريف، الذي يبدأ بتلاوة القرآن الكريم، ثم تلاوة "**قصة المولد**"، وهي سرد للسيرة النبوية الشريفة، كتبت بأسلوب يشبه الشعر المنثور، يتلوها المنشدون بلحن هادئ، وسرد منتظم، يتناول مولد وحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) مرحلة مرحلة، يتوقفون عن التلاوة بين كل مرحلة وأخرى، ليفسحوا المجال لإنشاد المدائح المناسبة لتلك المرحلة.. وهكذا، حتى ينتهون من تلاوة قصة المولد. ويكون هذا الاحتفال أكثر صخباً وبهجة في الزوايا، لأن الإنشاد يصاحبه إيقاعات (آلات الفن)، من طبول ودفوف وصناجات ومزامير، يؤدي

الصوفيون على إيقاعاتها حركات جماعية منتظمة. وفي هذه الأثناء تكون الزوايا مكتظة بأعداد كبيرة من الناس، الذين يصطحبون أطفالهم لمشاهدة هذا المهرجان السنوي البهيج، ويقبلون على شراء (حلوة الزاوية). وهي حلوى مصنوعة من السكر المعقود الملون بألوان متعددة، ويخلط بعض هذه الحلوى بالمكسرات، كالفول السوداني والحمص واللوز والبندق والسمسم، وتصنع هذه الحلوى خصيصاً لهذه المناسبة، حتى أنها تسمى أيضاً (حلوة المولد)، وكانت لها في تلك الأيام أهمية وشهرة، ولكنها اليوم اختفت ولم تصمد في وجه الحلويات الحديثة المستوردة، التي انتشرت وغمرت الأسواق، وقدمت في كل المناسبات، لا في مناسبة المولد فقط.

في يومي (المولد) و(الختمة) يخرج منتسبو بعض الطرق الصوفية في مواكب صاخبة، بدفوفهم وطبولهم، مارين ببعض الشوارع، مرددين مدائحهم وأناشيدهم، رافعين راياتهم بألوانها الزاهية، ويتبعهم جماعات من الشباب والأطفال مبتهجين فرحين. وغالباً ما تتبادل هذه الجماعات الصوفية الزيارات، فيبدأ موكب زاوية معينة من مقرهم وينتهي إلى مقر زاوية أخرى، حيث يستقبلهم أعضاؤها بالترحاب والتهليل، ثم يردون لهم الزيارة في موكب مماثل. وقد كان يوما المولد والختمة مميزين في بعض المدن الليبية؛ إذ يأخذان طابع المهرجانات الشعبية، التي تطوف أحياء المدينة وشوارعها.

توقفت الطرق الصوفية عن الخروج في مثل هذه المواكب الاحتفالية التراثية منذ سبعينيات القرن العشرين، واختفى هذا المظهر التراثي الفلكلوري

الجميل، ولم تعد الأجيال الشابة تعرف عنه شيئاً، علماً بأنه في الوقت الذي اختفت فيه هذه المظاهر التراثية لاحتفالات المولد في بلادنا، احتفظت به أقطار إسلامية أخرى، تمكنت من تحويله وتطويره كمظهر من مظاهر الفن الفلكلوري التراثي، وكونت له فرق إنشاد متخصصة ومنظمة، أخذت طابع الفرق الصوفية القديمة، ووضعت له ضوابط وقوانين تنظمه، وأقيمت له الملتقيات والمهرجانات على المستوى الوطني وعلى المستوى الإقليمي والعالمي، وذلك بقصد المحافظة عليه وحمايته كتراث شعبي فني تقليدي، وكنشاط لإدخال البهجة والسرور وتنشيط الحركة السياحية في البلاد. وقد حققت بعض الأقطار الإسلامية نجاحاً في هذا المجال، أما في ليبيا فإن هذا الجانب من التراث يتجه إلى مزيد من الاضمحلال والتلاشي، مع أن هناك بعض الجهود الخجولة تبذل في سبيل المحافظة على هذا التراث، والعمل على تكوين فرق متخصصة في هذا المجال، مثل فرق إنشاد المالوف وفرق الفنون الشعبية الأخرى.

استمر العمل حتى الوقت الحاضر بإحياء تقليد قديم لم يندثر هو (قنديل المولد)؛ إذ يخرج الأطفال في الشوارع، بعد صلاة مغرب يوم 11 ربيع الأول (كبيرة المولد)، يحملون القناديل والشموع والمشاعل لاستقبال ذكرى المولد النبوي الشريف، مبتهجين يترنمون بأهازيج خاصة بقنديل المولد، مثل: "صلوا على النبي اللهم صل عليه" و "هذا قنديل وقنديل، يضوي في ظلمات الليل" و"هذا قنديل النبي فاطمة زوجة علي" وغيرها من الأهازيج. تنصب الأكشاك في الشوارع والميادين منذ اليوم الأول من شهر ربيع الأول، وتستمر حتى يوم

المولد، وتتخصص هذه الأكشاك في عرض وبيع القناديل والشموع والمشاعل وألعاب الأطفال الخاصة بالمناسبة، ويقبل الناس على شرائها لإدخال البهجة والسرور على نفوس أبنائهم الصغار، ولإحياء هذه الذكرى العطرة، ذكرى مولد خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

(4) ليلة 27 رجب:

ويسميها الليبيون (كبيرة رجب) [1]، ويحيونها كمناسبة اجتماعية ودينية بقراءة القرآن بين صلاتي المغرب والعشاء، ويكثرون فيها من الذكر والدعاء، ويوسعون على أهلهم في النفقة، ويطهون في وجبة العشاء طعاماً خاصاً، غالبا ما يتكون من الأرز ولحم الخروف، يأكلون منه، ويتصدقون ويتهادونه مع الأقارب والجيران، ويبعثون منه إلى قراء القرآن في المساجد والزوايا، إكراماً لهم، حيث يجتمع القراء لتلاوة القرآن، بشكل جماعي، وبصوت جهوري مسموع؛ إذ يقرأ كل واحد منهم جزءاً أو حزباً، فيتمون قراءة القرآن كله على هذه الصورة، ويسمون ذلك (ختمة القرآن). يلي تلك التلاوة إنشاد بعض المدائح والدعاء، ثم

---

[1] مصطلح (كبيرة) يطلقه الليبيون عادة على بعض الليالي المميزة إكباراً وتقديراً لها، مثل: (كبيرة 27 رجب) و(كبيرة نصف شعبان)، كما يطلقونها على الليالي التي تسبق الأعياد والمناسبات الدينية، مثل: (كبيرة عيد الفطر) و(كبيرة عيد الأضحى) أو (كبيرة الوقفة) و(كبيرة رمضان) و(كبيرة الميلود) أي الليلة التي تسبق أول أيام رمضان، والليلة التي تسبق يوم المولد النبوي الشريف.. وهكذا.

يقدم لهم الطعام الذي اشتركت في إعداده أغلب عائلات الحي. وهكذا يكون عشاء جماعياً في المسجد أو في الزاوية يدعى إليه كل الحاضرين.

تقول بعض الروايات إن إحياء تلك الليلة احتفال بذكرى ليلة الإسراء والمعراج، وتقول روايات أخرى إنها احتفال بذكرى استرداد بيت المقدس من الصليبيين، الذي حدث يوم 15 رجب من سنة 538هـ. ولكن الرواية الأولى تعد أكثر تأكيداً وانتشاراً، وهي أن إحياء هذه الليلة هو احتفال بذكرى الإسراء والمعراج الشريفين.

(5) ليلة نصف شعبان:

يسميها الليبيون "**كبيرة نصف شعبان**"، ويبدأ الاحتفال بها مساء يوم 14 شعبان، فيجتمع الناس في المساجد والزوايا بعد الغروب، ويقرؤون القرآن بطريقة جماعية وصوت جهوري (القراية)، ثم يتوجهون إلى الله بالدعاء والاستغفار والتسبيح حتى أذان صلاة العشاء. ومن أدعيتهم في تلك الليلة، بعد تلاوة سورة يس (اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطول والإنعام، لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين.. اللهم إن كنت ستكتبني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقترا على في الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل، يمح الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب..إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر

شعبان المكرم، التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم، أن تكشف عنا من البلاء، ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم".

من المعلوم أن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي أمر الله فيها نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) بتحويل قبلة الصلاة من الاتجاه إلى بيت المقدس إلى الاتجاه إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة. قد يكون هناك اختلاف في مدى قدسية هذه الليلة، فهناك من المتشددين من قال بتحريم إحيائها والاحتفال بها، لأن ذلك لم تثبت الدعوة إليه في القرآن والسنة، ولكن الليبيين تعودوا قديماً على الاحتفال بها وإحيائها بالصوم في ذلك اليوم، وبقيام ليلها، بالتلاوة والذكر والدعاء، ويتوسعون في الإنفاق على أهلهم وإدخال السرور على نفوس أطفالهم بالهدايا والحلوى، ويتواصلون مع ذوي القربى والجيران بالزيارة والهدايا من الطعام وغيره، ويخرج المقتدر منهم الصدقات على الفقراء الذين كانوا يتجمعون في هذا اليوم أمام المساجد والزوايا والمقابر انتظاراً لتلك الصدقات. وقد استمر العمل بهذه العادة في الاحتفال بليلة نصف شعبان حتى أواخر القرن العشرين الميلادي، حيث توقف هذا النوع من الاحتفالات التراثية، خاصة بعد انتشار التيار الديني السلفي في ليبيا.

(6) شهر رمضان (من 1 إلى 30 رمضان):

صيام شهر رمضان، مثل غيره من الفرائض، عبادة يلتزم بها كل مسلم. قال تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}[1]. وقد اعتاد الليبيون على التمسك بصيام أيام هذا الشهر الكريم، أولاً كعبادة، وثانياً كعادة، فقد نجد من بينهم من يغفل عن أداء الصلاة في غير رمضان، ومن لا يؤدي الزكاة، وربما نجد بينهم من يقترف بعض المحرمات الأخرى، لكنه يتمسك بصيام رمضان وإظهار التوبة والطاعة طوال الشهر، لأنهم يرون في إفطار رمضان عاراً ومنقصة اجتماعية، زيادة على كونه عصياناً واقترافاً لذنب. ويحرص الليبيون على أداء الصلوات جماعة طوال شهر رمضان، ويتمسكون بأداء صلاة القيام أو التراويح في كل ليلة من ليالي الشهر. ومن عاداتهم في هذا الشهر التجمع قبيل المغرب في المساجد، يوزعون فيما بينهم التمور ومياه الشرب، مع رفع الأذان لصلاة المغرب. وبعد أداء الصلاة جماعة يرجعون إلى بيوتهم، يتجمعون على موائد الإفطار، حيث تلتقي كل العائلة كباراً وصغاراً، ويدعون بعض الأقارب والأصدقاء والجيران لمشاركتهم طعام الإفطار، كما كانوا يحرصون على تفقد الطرق والشوارع، بقصد دعوة الغرباء من أبناء السبيل، ويحرصون على إكرامهم بالطعام والشراب، وتلبية طلباتهم في كل ما يحتاجون إليه، يستوي في ذلك المقتدرون والمعوزون، كل حسب جهده ومقدرته، ولو استدعى الأمر تقديم الطعام لضيف رمضان، وحرمان أنفسهم، امتثالاً للحديث

---

[1] سورة البقرة، الآية 185.

الشريف الذي يقول: "من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء".

بعد شرب القهوة أو الشاي، يكون صحن الشوربة الليبية (شربة رمضان) في مقدمة مائدة العشاء في كل ليلة رمضانية، وتختتم الوجبة بالحلوى والمشروبات. وهناك حلويات خاصة بشهر الصوم، لا تؤكل في غير رمضان إلا نادراً جداً، أشهرها السفنز والزلابية والعسلة والمحلبية والكنافة ولقمة القاضي.

يحرص الليبيون على أداء صلاة القيام في كل ليلة من ليالي الشهر الكريم في المساجد، ويحتفلون بليلة النصف من رمضان، ويسمونها (كبيرة النص)، كما يحيون ليلة 17 رمضان، احتفالاً بذكرى غزوة بدر الكبرى، وذلك بتلاوة القرآن الكريم، ويلقي الفقهاء والوعاظ دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، مذكرين بغزوة بدر، والترحم على شهدائها الأبرار، وشهداء المسلمين جميعاً. وقد تقام بهذه المناسبة حلقات الذكر والمديح في زوايا الطرق الصوفية. كما يحرص بعض الليبيين، وخاصة المتقدمون في السن، على أداء صلاة التهجد في المساجد خلال العشر الأواخر من رمضان، ويخصون ليلة 27 رمضان (ليلة القدر) باهتمام زائد، فيقومون ليلها بتلاوة القرآن، والإكثار من الدعاء، حتى أذان الفجر، ولا يرجعون إلى بيوتهم إلا بعد أداء صلاة الصبح.

تسهر كل المدن والقرى الليبية حتى ساعة متأخرة من الليل في شهر رمضان، حيث يتبادل الناس الزيارات، وترى الأسواق عامرة حتى ساعات متأخرة من الليل، وتنشط حفلات السمر في المقاهي والبيوت، كما يذهب

الأطفال لمشاهدة خيال الظل (الكراكوز)، أو للعب في الساحات، إذا كان الجو مناسباً..إلى غير ذلك من مظاهر الحياة الرمضانية النشطة. كان هذا فيما مضى من الزمان، أما اليوم فقد حلت مظاهر تقليدية جديدة، ستصبح بدورها جزءاً من التراث في المستقبل، فالمسلسلات التلفزيونية والإذاعية أصبحت عادة من عادات شهر رمضان، ومباريات كرة القدم المصغرة، أصبحت مظهراً من مظاهر نشاط رمضان، تقام فيها المسابقات والبطولات، حتى أن مسابقاتها تسمى (دوريات رمضان)، تخصص لها الجوائز والكؤوس. وهكذا يختلف الاحتفال بشهر رمضان، من حيث التقاليد الاجتماعية، لا من حيث العقيدة الدينية، من زمن إلى زمن، ومن جيل إلى جيل. ولكن مهما كان نوع هذا الاختلاف، فإن شهر رمضان سيظل مميزاً في مجال العبادة، كما في مجال التراث والتقاليد في المجتمع الليبي على مر العصور، فهو شهر التآلف بين أفراد العائلة الواحدة، وشهر التسامح والتقارب والألفة بين الناس، وستظل لرمضان مكانته العقائدية الدينية، ومكانته الاجتماعية في التراث الليبي.

(7) عيد الفطر المبارك (أول شوال):

يسميه الليبيون (العيد الصغير). يبدأ استقبال هذا العيد بمراقبة ظهور هلال شوال، وبعد ثبوت رؤية الهلال في آخر ليلة من ليالي رمضان، يحتفل الليبيون بهذه الليلة، ويطلقون عليها اسم (كبيرة العيد الصغير). فبدلاً من صلاة القيام وصلاة التهجد يجتمع الناس في المساجد والزوايا يقرؤون القرآن (ختمة)، ثم يكثرون من التكبير والتهليل والدعاء، ويخرجون زكاة الفطر، ويوزعون الحلويات والمشروبات، ويتأكدون من إتمام التجهيزات لملاقاة يوم العيد، وما

يتطلبه من ملابس جديدة، وهدايا للأطفال، وإعداد للحلويات والمشروبات وكعك العيد، التي ستقدم للضيوف والزوار والمعايدين، خلال أيام العيد.

في الصباح تقام صلاة العيد في المساجد أو في الساحات. وبعد الانتهاء من الصلاة يتبادل المصلون تهاني وتبريكات العيد، ثم يعود كل واحد منهم إلى بيته، سالكاً طريقاً غير الطريق الذي جاء منه، وذلك بقصد تقديم التهنئة بالعيد لكل من يقابله في الطريق، ويتبادل الناس الزيارات والتهاني. وجرت العادة أن يقوم صغار السن بزيارة من هم أكبر منهم سناً من الأقارب في بيوتهم للمعايدة، ويقوم الكبار بإكرامهم بتقديم الحلويات والمشروبات، ويمنحون الأطفال الصغار مبلغاً من المال، يسمونه (العيدية)، كما يقوم بعض الليبيين بزيارة قبور موتاهم، وقراءة القرآن وتوزيع الصدقات، وذلك خلال فترة ما بعد ظهر أول يوم من أيام العيد أو خلال فترة ما قبل ظهر اليوم الثاني للعيد.

من العادات الطريفة في يوم العيد أن لكل عائلة نوعاً من الأكل يتناولونه في وجبة غداء يوم العيد، لا يغيرونه أبداً، ويقولون إن ذلك (سبر العائلة)، أي عادة خاصة بالعائلة، تنتقل فيها من جيل إلى جيل، منذ القدم، لا تتبدل ولا تتغير، فهناك عائلات يكون غداؤهم يوم العيد (البازين)، وعائلات أخرى (حرايمي حوت)، وثالثة (طبيخة البطاطا)، ورابعة (طبيخة الحمص والزبيب).. وهكذا.. ويكون ذلك عادة ثابتة، تتكرر كل عيد، وتحرص ربات البيوت على تطبيقها وعدم الإخلال بها.

أيام العيد الأربعة في ليبيا عطلة رسمية. ولهذا ينتهز بعض الشباب هذه الفرصة ليقوموا برحلة مع زملائهم أو مع أسرهم يسمونها (زردة العيد)، وهم يحرصون على القيام بها، خاصة في المواسم التي يكون الجو فيها معتدلاً ربيعياً.

ومن المؤسف أن نجد بعض الشباب يعودون إلى ما سبق أن تعودوا عليه من إهمال العبادات، وارتكاب بعض الآثام والذنوب، بمجرد انقضاء شهر الصوم.

(8) عيد الأضحى المبارك (10 ذو الحجة):

يسميه الليبيون (العيد الكبير) أو (عيد اللحم). يبدأ الاحتفال به يوم 9 ذي الحجة، أي يوم الوقفة بعرفات (كبيرة الأضحى)، كما يسميها الليبيون. وأغلب الناس في ليبيا يصومون نهار ذلك اليوم، ويحيون ليله بتلاوة القرآن والتسبيح والتهليل والدعاء، وتكون الوجبة الرئيسة في ذلك اليوم وجبة العشاء، حيث يفطر الصائمون، ويتهادون الطعام مع الأقارب والمعارف والجيران، ويقدمون الطعام إلى قراء القرآن، وإلى الفقراء وعابري السبيل، الذين يتجمعون في المساجد والزوايا والمقابر.

يقبل الليبيون على شراء الأضاحي، ويختارون الجيد منها الخالي من العيوب، ولو ارتفع ثمنها. وبعد صلاة العيد ينتظر الناس حتى يذبح إمام المسجد أضحيته، ثم يشرعون في ذبح أضحياتهم. كانت العناية بالأضحية

وذبحها تتم في المنازل، عندما كان الناس يسكنون البيوت التقليدية الليبية (الحوش العربي)، لأنه يحتوي فناء يتسع لذلك. أما اليوم فأغلب الناس يسكنون الشقق التي لا تسمح بالعناية بالأضحية وذبحها، ما يضطرهم إلى التأخر في شراء الأضحية، ثم ذبحها عند الجزارين الذين يجهزون مجازر خاصة، وأحياناً يقومون بذلك في الشوارع، ما يؤدي إلى تلويث البيئة، وإلحاق الضرر بالشوارع، وإرباك التنقل وحركة المرور. وهذا مظهر مشين، لا يتلاءم مع حرمة العيد وبهجته.

يأكل الليبيون من لحم الأضحية، ويهدون بعضه، ويتصدقون بجزء منه، ويصنعون مما يتبقى منه القديد، وذلك بتشريح اللحم وفركه بالملح والتوابل، وتجفيفه، ثم غليه في الزيت والدهن، ويحتفظ به في أواني فخارية خاصة لاستعماله فيما بعد.

والمطبخ الليبي يحتوي على عدة أكلات خاصة، تطهى باستعمال القديد بديلاً عن اللحم الطازج. كان هذا قبل أن توجد الثلاجات والمجمدات. أما الآن فأغلب الناس يتناولون لحم الأضحية المحفوظ في الثلاجة، ولا يضطرون إلى تحويله إلى قديد. وقلة منهم تحرص حتى الآن على صنع القديد، وتخزينه حسب الطريقة التقليدية.

فيما عدا ذبح الأضاحي وأكل لحومها، فإن الاحتفال بعيد الأضحى يماثل تماماً الاحتفال بعيد الفطر، من حيث ارتداء الملابس الجديدة، وتبادل الزيارات

والمعايدة، وتبادل الهدايا، ومنح الأطفال (العيدية)، وشراء الملابس الجديدة والألعاب لهم، وقيام الشباب بالرحلات المعروفة بزردة العيد.

بعد انقضاء أيام العيد واحتفالاتها كان المقتدرون من الناس يحصرون ممتلكاتهم، وأرباح تجارتهم، ويقدرون زكاة مالهم، ويجهزونها لإخراجها في نهاية العام الهجري. وكان كل واحد منهم يعرف العائلات المحتاجة والفقراء الذين يؤدي إليهم الزكاة. أما اليوم فإن أغلب الناس يدفعون زكاة مالهم إلى إدارة الأوقاف، التي أصبحت جزءاً من الجهاز الإداري الحكومي.

هذه أهم المناسبات الدينية ذات الطابع التراثي التقليدي في أغلب المدن الليبية. وربما كان لبعض المناطق الليبية الأخرى، وخاصة الأرياف والواحات مناسبات أخرى، لم أذكرها لأنني لا أملك معلومات أكيدة عنها. وفوق كل ذي علم عليم.

خاتمة

عمليات قياس الزمن ومضي الوقت، من تقاويم ومواقيت ومواسم وغيرها، عمليات قديمة قدم الفكر الإنساني، فقد اهتدى إليها الإنسان منذ أن بدأ يخطو خطواته الأولى في طريق التحضر، فهي قديمة قدم الحضارة الإنسانية نفسها. وقد عُرفت في كل الحضارات القديمة في كل القارات. وهكذا تعد اليوم إرثاً لكل الحضارات البشرية، ولكل شعوب الأرض، ابتداء من الشعوب الأصلية في العالم الجديد، إلى شعوب الصين واليابان في شرق آسيا، مروراً بشعوب أوروبا والشرق الأوسط والهند. هذا القِدَم وهذا الانتشار دلالة قاطعة على أن التقاويم والمواسم والمواقيت كانت ضرورة حتمها واقع الحياة البشرية ومتطلبات التطور في كل الحضارات، ولدى كل الشعوب والأمم التي عمرت هذه الأرض التي نعيش عليها.

والشعب الليبي، كغيره من الشعوب، نال نصيبه منها، فقد شارك في أغلب الحضارات الإنسانية التي ازدهرت في غرب آسيا وفي حوض البحر المتوسط، وعرف منذ ذلك الزمن البعيد التقاويم والمواقيت، واستعملها في حياته اليومية، وتنظيم أوقاته ومواسمه ونشاطه، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من تراثه الأصيل، الذي واكب حياة الناس في ليبيا، وأكسبهم طابعاً خاصاً مميزاً، كما في كل مظاهر تراثه الأخرى.

يرى بعض الدارسين والكتاب أن كل تلك المعارف التراثية تعد جزءاً من الماضي، فقد انتهت مع أهلها وأجيالها التي مضت، واختفت كما اختفوا،

وانتهت كما انتهوا. وهذه سنة الحياة، ومصيرها دائماً إلى زوال، فيجب ألا نشغل أفكارنا بما مضى وانتهى، بل يجب أن نكرس كل فكرنا وجهدنا لحاضرنا ومستقبلنا.

لا يخلو هذا القول من بعض الحقيقة، فالماضي انتهى، وللإنسان الساعة التي هو فيها، ولكن الذين يدرسون التراث، ويدعون للمحافظة عليه، لا يدعون إلى ربط حياتنا الحاضرة والمستقبلة ربطاً كاملاً بالماضي، بل يدعون فقط إلى أن يتعرف الجيل الحاضر على ما كانت عليه حياة الأجيال التي مضت، ففي تلك الحياة الغابرة معالم وأنماط معاملات وفنون وآداب تخص الليبيين وحدهم، وتمثل أصالتهم وطابعهم الذي يميزهم، ولا ينتج عن معرفتها والإلمام بها والمحافظة عليها أي حركة تشد تطورها الحاضر إلى الوراء. وعلى الأجيال الحاضرة والقادمة معرفتها والاحتفاظ بها، لتبقى على مر الأيام مؤشراً وعنواناً لأصالتهم، وقوة لوحدتهم، ونمطاً لأسلوب حياتهم، ومعلماً لهويتهم.

تشكل التقاويم والمواقيت ووسائل ضبط وقياس الوقت جزءاً من تراث الشعوب. وللتراث الليبي نصيب منها، ولكن يجب أن نعترف بأننا من أقل الشعوب اهتماماً بتراثنا، وبصفة خاصة في مجال التقاويم وقياس الزمن، فهذا الجانب من تراثنا لم يحظ، حتى الآن، بالاهتمام الكافي، فالدراسات في هذا المجال ما هي إلا محاولات ذات أثر محدود. وهذه الدراسة التي أضعها بين يدي القارئ الكريم محاولة من تلك المحاولات، أرجو أن تسهم في إثراء هذا الموضوع. وأرجو أن يجد فيها الدارسون ما يعينهم على مواصلة الجهد في

دراسة هذا الجانب المنسي من تراثنا، الذي يعتريه بعض الضعف والاختلاف من منطقة إلى أخرى من مناطق ليبيا. وهذه الدراسة لم تتسع لحصر كل تلك التنوعات في كل أرجاء البلاد. وسيلاحظ المهتمون غياب تراث بعض المناطق الليبية، أو المرور عليه مرور الكرام. لهذا أنظر إلى هذه الدراسة على أنها مجرد مساهمة محدودة، قد يعتريها بعض النقص، فأرجو أن نرى في القريب العاجل مساهمات أخرى، تعوض هذا النقص، وتلقي المزيد من الضوء على هذا الجانب من تراثنا.

على الرغم من أن التقاويم والمواقيت والمواسم لا تحتل من تراثنا مساحة واسعة، فإن بعدها التاريخي دليل على تعمق كياننا الليبي في جذور الماضي، وعلى تأكيد أصالة هويتنا، كجزء لا يتجزأ من الكيان العربي المسلم في الشمال الأفريقي، وهو كيان يجمع خليطاً من أعراق وثقافات وإثنيات منصهرة جميعها في بوتقة العقيدة الإسلامية والحضارة العربية. فقد رأينا عند استعراضنا لبعض معالم تراثنا في هذا المجال الخاص بالتقاويم والمواقيت وقياس الزمن، كيف أن هذا الإرث يصلنا بعقيدتنا الإسلامية وبثقافتنا العربية، ويمتد إلى جذور التاريخ، ليصلنا أيضاً بحضارات وثقافات عاشت في بلادنا قبل دخول الإسلام، ويصلنا كذلك بأمم وحضارات عاشت بجوارنا فيما وراء الصحراء جنوباً، وفي حوض البحر المتوسط شمالاً.

إن معرفة أجيالنا الصاعدة بتراثنا العريق يؤكد تقاربها وتلاحمها، ويبرز معالم هويتها بين الشعوب العربية الأخرى وبين الشعوب الأفريقية والأوروبية المتوسطية. وهو هدف نرجو أن نصل إليه. وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت، ولو بقدر يسير، في السعي وراء تحقيق هذا الهدف، وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الكريم.

المراجع

1- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، الأنواء في مواسم العرب، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1956م.

2- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، الآثار الباقية من القرون الخالية، دار صادر، بيروت.

3- حلمي، يوسف صالح، الرزنامة الفلكية، ورقة بحثية غير منشورة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، زوارة، 1998م.

4- ديورانت، ول ، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجبل، بيروت، 1988م.

5- شامي، يحيى عبد الأمير، النجوم في الشعر العربي القديم، حتى أواخر العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م.

6- علي، أسعد، الثقة بالتراث والمستقبل، دار السؤال، دمشق، 1979م.

7- عبده، عبد الله كامل موسى، دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002م.

8- الغزالي، محمد السنوسي، السبك الحديث في تاريخ برقة القديم والحديث، القاهرة، 1939م.

9- فروخ، عمر، وماهر عبد القادر، وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.

10- قادربوه، عبد السلام إبراهيم، مقاعد اصحاب الصوب: رحلة في عالم المأثورات الشعبية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1997م.

11- لجنة جمع التراث، كلية الآداب، الجامعة الليبية، ديوان الشعر الشعبي، ج 1 ، 2 ، منشورات جامعة قاريونس، ج1 طبعة ثانية بنغازي 1989م، ج2 طبعة أولى بنغازي 1993م.

12- اليازجي، نصيف، مجمع البحرين، دار صادر، بيروت، 1961م.

13- الوحيشي، فوزي عبد الباسط، التقويم الليبي المحلي لفصول السنة، نشرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، وزعت على طلبة الدراسة الحقلية، قسم الجغرافيا، جامعة بنغازي، فرع الأبيار، الأبيار، 2013م.

فهرس الأشكال

فهرس الموضوعات